مختارات من تراث السلف (٢)

قال الذهبي

الإمام العلامة والبحر الفهامة

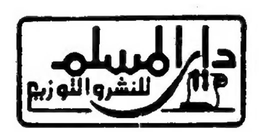
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨ هجرية

جمع وترتيب

عمر بن موسى الحافظ

عضو رابطة الأدب الإسلامي



ح دار المسلم للنشر والتوزيع ،

عمر بن موسى الحافظ، ١٤١٨ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

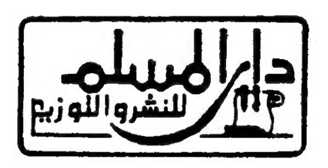
الحافظ، عمر بن موسى
مختارات من تراث السلف .- الرياض .
٢٢٨ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك ٠-٥٩٢-٣٤-٩٩٦٠ (مجموعة)
٩-٥٩٣-٣٤-٩٩٦٠ (ج ٢)
١-التاريخ الاسلامي أ - العنوان .
ديوي ٩٥٣ ١٨/٢٨٧٣

رقم الإيداع : ١٨/٢٨٧٣
ردمك : ٠-٥٩٢-٣٤-٩٩٦٠(مجموعة)
٩ -٥٩٣-٣٤-٩٩٦٠ (ج ٢)

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الإخراج
مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس ٤٩٣١١٤٩

المقدمـــة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وأنقذتنا وفرّجت عنا ولك الحمد بالقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبتّ عدونا وأظهرت أمننا وبسطت رزقنا وجمعت فرقتنا وأحسنت معافاتنا ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث أو سر أوعلانية أو خاصة أو عامة أو شاهد أو غائب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت والحمد لله بعد الرضا ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وسلم تسليماً كثيراً .

ثم أما بعد : فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة ((مختارات من تراث السلف)) للإمام العلامة الحافظ الثبت المحدث المؤرخ الناقد المتفنن الحجة الفقيه شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقي ثم الدمشقي المعروف بالذهبي صاحب التصانيف السائرة في الأقطار وأكثر أهل عصره تصنيفاً حامل لواء الانصاف والذب عن الأفاضل رحمه الله رحمة واسعة.

وهذه المختارات جمعتها من كتاب الذهبي العظيم ((سير أعلام النبلاء)) ((الذي هو مختصر من تاريخ الإسلام له أيضاً باعتبار أن الأصل لمن نبل ولمن لم ينبل في الغالب ، والنبلاء ليس إلا لمن نبل لكنه أطال تراجم النبلاء فيه بما لم يكن في تاريخ الإسلام))[1] ، وقد رتبت هذه المختارات على أبواب - انظرها في الفهرس - وذلك نزولاً على رغبة كثير من الأحبة عوض كونها منثورة بتنوع لا يضويها نسق معين ، فأتت هذه المختارات على النحو الذي ستتطلع عليه بمشيئة

---

(١) البدر الطالع (١١٢/٢) .

الله تعالى سائلاً المولى الجليل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وألا يجعل لأحد من خلقه فيها شيئاً البتة .

أما طريقتي في هذا الكتاب فهي كالتالي : أذكر الحدث أو الواقعة التاريخية المعينة ثم أذكر تعليق الذهبي عليها الذي يصدره غالباً بقوله رحمه الله : قلت ، أو وقد قلنا ، أو أقول ، وهكذا.. وقد طبعت هذه التصدريات بخط متميز عن بقية الكلام أما تعليقاته رحمه الله التي لم يصدرها بقلت ونحوها فقد جعلت أولها بخط مميز ليعرف موضع بدء تعليقه على الحدث أو القصة ونحوها أما الفقرات التي تكون كلها من كلامه رحمه الله فأذكرها بتمامها - أو بتصرف- دون تمييزها بخط معين ولا يفوتني أن أشير إلى أنني أبقيت التعليقات والتخريجات والكلام على الأحاديث ورجال الأسانيد التي في الحواشي كما هي في الأصل الذي نقلت منه باستثناء بعض التصرف والاختصار غير المخل إن شاء الله .

والآن أتركك قارئي الكريم مع تعليقات الذهبي الرقراقة البراقة كاسمه رحمه الله تعالى .

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه

أ- القرآن الكريم وعلومه

بتدبر وتفكر ..

عن هلال بن يِساف ، قال : قال مسروق : من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين ، وعلم الدنيا والآخرة ، فليقرأ سورة الواقعة .

قلت : هذا قاله مسروق على المبالغة ، لعظم ما في السورة من جمل أمور الدارين . ومعنى قوله : فليقرأ الواقعة ، أي : يقرأها بتدبر وتفكر وحضور ، ولا يكن كمثل الحمار يحمل أسفاراً [١].

هذا السبب

عن يحيى بن سعيد، قال : سُئل سعيد بن المسيَّب عن آية ، فقال سعيد : لا أقول في القرآن شيئاً .

قلت : ولهذا قَلَّ ما نُقِل عنه التفسير [٢].

---

(١) السير (٤ / ٦٨) .
(٢) السير (٤ / ٤٢) .

عبارة رديئة

قال الخصيب بن ناصح : حدَّثنا خالد بن خداش قال : شهدت حماد بن زيد في آخر يوم مات فيه ، فقال : أُحَدِّثكم بحديث لم أُحَدِّث به قط ، إني أكره أن ألقى الله ولم أُحَدِّث به ، سمعتُ أيوب يُحدِّث عن عكرمة قال : إنما أنزل الله متشابه القرآن ليُضلَّ به .

قلت : هذه عبارة رديئة ، بل إنما أنزله الله تعالى ليهدي به المؤمنين ، وما يُضِلُّ به إلاّ الفاسِقين ، كما أخبرنا عز وجل في سورة البقرة [1].

فنّ دون فنٍّ

قال أبو هشام الرفاعي : حدثنا يحيى ، حدثنا أبو بكر ، قال : دخلتُ على عاصم فأغمي عليه ، ثم أفاق ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **ثم رِدُّوا إلى الله** ﴾ الآية فهَمَز فعلمتُ أنَّ القراءات منه سجية .

قلت : كان عاصم ثبتاً في القراءة ، صدوقاً في الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة وجماعة ، وقال أبو حاتم : محلُه الصدق ، وقال الدارقطني : في حفظه شيء يعني : للحديث لا للحروف ، وما زال في كل وقت يكون العالِم إماماً في فنّ مقصَّراً في فنون . وكذلك كان صاحبه حفص بن سليمان ثبتاً في القراءة ، واهياً في الحديث ، وكان الأعمش بخلافه كان ثبتاً في الحديث ، ليناً في الحروف ، فإن للأعمش قراءة منقولة في كتاب « المنهج » وغيره لا ترتقي إلى رتبة القراءات السبع ولا إلى قراءة يعقوب وأبي جعفر.والله أعلم[2] .

---

(١) السير (٥/ ٣٢-٣٣) .
(٢) السير (٥/ ٢٦٠) .

العجب منا ومن جهلنا

قال أبو بكر : وحدثنا محمد بن إدريس ، حدثنا عَبدة بن سُليمان ، عن ابن المبارك قال : قيل لابن عون : ألا تتكلم فتُؤجر؟ فقال : أما يرضى المتكلمُ بالكفاف ؟! روى مِسْعَر عن ابن عوْن قال : ذِكر الناس داء ، وذكر الله دواء.

قلت : إي والله ، فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندعُ الدواء ونقتحمُ الداء؟!

قال تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُوني أذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٥٣] ﴿ **وَلَذِكْرُ الله أكْبَرُ** ﴾ [العنكبوت ٤٦] ، وقال : ﴿ **الَّذِينَ آمنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبهم بِذِكر الله ألا بِذِكر الله تَطْمَئِن القُلُوب** ﴾ [الرعد: ٢٩] ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله. ومن أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فُتحَ له .

وقد كان ابنُ عون قد أتي حلماً وعلماً ، ونفساً زكية تعين على التقوى ، فطوبى له [1].

---

(١) السير (٦/ ٣٦٩) ترجمة الإمام القدوة الحافظ عبدالله بن عون بن أرطبان .

قراءة حمزة

قال حسين الجُعْفي : ربَّما عطِش حمزة ، فلا يَسْتَسقي كراهية أن يُصادِفَ من قرأ عليه .

قال ابن فُضَيل : ما أحسِب أن الله يَدفَعُ البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزَة.

وكان شُعيب بن حرب يقول لأصحاب الحديث : ألا تسألُني عن الدُّرِّ ؟ قراءةُ حمزةَ .

قلت : كره طائفةٌ من العلماء قراءة حمزة لما فيها من السكت ، وفرط المدِّ واتباع الرسم والإضْجاع [1]، وأشياء ثم استقر اليوم الاتفاقُ على قبولها ، وبعضٌ كان حمزة لا يراه .

بلغنا أن رجلاً قال له : يا أبا عُمارة ! رأيتُ رجلاً من أصْحَابك ، هَمَزَ حتى انقطع زِرُّه . فقال : لم آمُرْهُمْ بهذا كُله .

وعنه قال : إنَّ لهذا التحقيق حداً ينتهي إليه ، ثم يكونُ قبيحاً. وعنه : إنَّما الهمزةُ رياضةٌ ، فإذا حسَّنها ، سلَّها [2].

---

(١) الإضجاع : الإمالة . وجاء في ((المغني)) لابن قدامة المقدسي : ٤٩٢/١ : ((ولم يكره الإمام أحمد قراءة أحد من العشر إلا قراءة حمزة والكسائي ، لما فيها من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد . وقال الأثرم : قلت لأبي عبدالله : إمام كان يصلي بقراءة حمزة ، أصلي خلفه؟ قال : لايبلغ به هذا كله ولكنها لا تعجبني قراءة حمزة)) . وقال ابن الجوزي في ((غاية النهاية)) : ٢٦٣/١ : ((وأما ما ذكر عن عبدالله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهية قراءة حمزة ، فإن ذلك محمول على قراءة من سمع منه ناقلاً عن حمزة . وما آفة الأخبار إلا رواتها ، قال ابن مجاهد : قال محمد بن الهيثم : والسبب في ذلك أن رجلاً ممن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس ، فقرأ فسمع ابن إدريس ألفاظا فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك ، من التكلف ، فكره ذلك ابن إدريس ، وطعن فيه. وقال محمد بن الهيثم : وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه)) .

(٢) السير (٩١/٧) ترجمة الإمام القدوة شيخ القراء حمزة بن حبيب بن عمارة .

فضول الكلام

قال بِشْرٌ الحافي : كان المُعَافى صاحب دنيا واسعةٍ وضياع كثيرة ، قال مَرَّةً رجلٌ : ما أشدَّ البردَ اليوم ، فالتفتَ إليه المُعَافى ، وقال : أستدفأتَ الآن ؟ لو سكتَّ ، لكان خيراً لك .

قلت : قولُ مثلِ هذا جائزٌ ، لكنهم كانوا يكرهون فُضُول الكلام ، واختلف العلماءُ في الكلام المباح ، هل يكتبه المَلَكان ، أم لا يَكتُبان إلا المستحبَّ الذي فيه أجرٌ ، والمذموم الذي فيه تَبِعَة ؟ والصحيحُ كتابةُ الجميع لعموم النَّصِّ في قوله تعالى: ﴿ **ما يَلْفِظُ منْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رقيبٌ عَتيد** ﴾ [ق : ١٨] ثم ليس إلى الملكين اطِّلاعٌ على النِّيات والإخلاص ، بل يكتُبانِ النُّطْقَ ، وأما السَّرائر الباعثةُ للنُّطقِ ، فالله يتولاَّها [1].

---

(١) السير (٩/ ٨٤) ترجمة الإمام شيخ الإسلام ياقوتة العلماء المعافى بن عمران الأزدي .

آمنت

قال داودُ بنُ أحمد : رأيتُ أسداً يعرِضُ التفسير ، فقرأ : ﴿ **إنني أنا اللهُ لا إله إلا أنا فاعْبُدْني** ﴾ ، فقال : ويلُ أُمِّ أهلِ البدع ، يزعمون أنَّ الله خلقَ كلاماً ، يقول : أنا .

قلت : آمنتُ بالذي يقولُ : إني أنا اللهُ ، وبأنَّ موسى كليمَهُ سَمِعَ هذا منه ، ولكنّي لا أدري كيف تكلَّم الله ؟ (١).

مسألة أفعال التالين

قال الحافظ أبو بكر الأعين : مشايخُ خراسان ثلاثة : قُتيبةُ ، وعليٌّ بن حُجْر ، ومحمد بن مِهران الرازي . ورجالُها أربعة : عبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي ، ومحمد بنُ إسماعيل البخاري قبل أن يظهر منه ما ظهر ، ومحمدُ بنُ يحيى ، وأبو زُرعة .

قلت : هذه دَقَّةٌ من الأعين ، والذي ظهر من محمد أمرٌ خفيف من المسائل التي اختلف فيها الأئمةُ في القول في القرآن ، وتُسَمَّى مسألة أفعال التالين ، فجمهورُ الأئمة والسلف والخلف على أنَّ القرآن كلامُ الله مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوق . وبهذا ندِينُ الله تعالى ، وبدّعوا من خالف ذلك ، وذهبت الجهميةُ والمعتزلة ، والمأمون ، وأحمد بن أبي دُواد القاضي ، وخلقٌ من المتكلمين والرافضة إلى أن القرآن كلام الله المَنَزَّل مخلوق. وقالوا : الله خالقُ كلِّ شيء ، والقرآن شيء . وقالوا : تعالى الله أن يُصف بأنه مُتكلم . وجرتْ مِحنةُ القرآن ، وعظم البلاء ، وضُرِبَ أحمد بن حنبل بالسِّياط ليقول ذلك ، نسألُ الله السلامة في الدِّين . ثم نشأتْ طائفةٌ ، فقالوا : كلامُ الله منزَّل غير مخلوق، ولكنَّ ألفاظنا به مخلوقة ،

---

(١) السير (١٠ / ٢٢٧) ترجمة الإمام العلامة القاضي الأمير مقدم المجاهدين أسد بن الفرات الحراني .

يعنون : تَلَفُّظَهم وأصواتهم به ، وكتابتهم له ، ونحو ذلك ، وهو حُسين الكرابيسي ، ومن تبعه ، فأنكر ذلك الإمام أحمدُ ، وأئمة الحديث ، وبالغ الإمام أحمدُ في الحطِّ عليهم ، وثبتَ عنه أن قال : اللفظيةُ جهمية . وقال : من قال : لفظي بالقرآن مخلوقٌ ، فهو جهمي . ومن قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع ، وسدَّ باب الخوض في هذا . وقال أيضاً : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، يريد به القرآن ، فهو جهمي . وقالت طائفةٌ : القرآن مُحْدَث كَدَاود الظاهري ، ومن تبعه ، فبدَّعهم الإمام أحمد ، وأنكر ذلك ، وثبت على الجزم بأنَّ القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق ، وأنه من علم الله ، وكفَّر من قال بخلقه ، وبدَّع من قال بحدُوثه ، وبدَّع من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، ولم يأتِ عنه ولا عن السلف القولُ : بأن القرآن قديم . ما تَفَوَّه أحدٌ منهم بهذا. فقولنا : قديم: من العبارات المُحدثة المُبتدعة. كما أنَّ قولنا : هو مُحدثٌ بدعةٌ .

وأما البخاري فكان من كبار الأئمة الأذكياء ، فقال : ما قلتُ : ألفاظُنا بالقرآن مخلوقة ، وإنما حركاتهم ، وأصواتهم وأفعالهم مخلوقة ، والقرآن المسموع المتلوُّ الملفوظ المكتوب في المصاحف كلامُ الله غير مخلوق .وصنف في ذلك كتاب ((أفعال العباد)) مجلد ، فأنكر عليه طائفةٌ ، وما فهموا مرامه كالذُّهْلي ، وأبي زُرعة ، وأبي حاتم ، وأبي بكر الأعين ، وغيرهم . ثم ظهر بعد ذلك مقالةُ الكُلاَّبية ، والأشْعَرِيَّة ، وقالوا : القرآنُ معنى قائمٌ بالنفس ، وإنما هذا المُنزَّل حكايته وعبارته ودالٌّ عليه . وقالوا : هذا المتلوُّ معدودٌ متعاقب ، وكلام الله تعالى لا يجوز عليه التعاقب ، ولا التعدُّد . بل هو شيءٌ واحدٌ قائم بالذات المقدَّسة ، واتسع المقالُ في ذلك ، ولزم منه أمور وألوان ، تركُها - والله - من حُسْنِ الإيمان . وبالله نتأيد [1].

---

(١) السير (١١/ ٥٠٩ - ٥١١).

الكفُّ هو السّنّة

قال أبو داود : سألتُ أحمد بن صالح عمن قال : القرآن كلامُ الله ، ولا يقول : مخلوق ، ولا غير مخلوق . فقال : هذا شاكٌّ ، والشاكُّ كافر .

قلت : بل هذا ساكتٌ . ومن سكتَ تورُّعا لا يُنسَبُ إليه قولٌ ، ومن سكت شاكّاً مُزْرِياً على السَّلَف ، فهذا مُبتدع .

وقال محمد بن موسى المصري : سألتُ أحمد بن صالح ، فقلتُ : إن قوماً **يقولون: إن لفظنا بالقرآن غير الملفوظ، فقال: لفظنا بالقرآن هو الملفوظ،** والحكايةُ هي المحكيُّ، وهو كلام الله غير مخلوق، ومن قال: لفظي به مخلوقٌ فهو كافر.

قلت : إن قال : لفظي ، وعنى به القرآن ، فنعم ، وإن قال لفظي ، وقصد به تلفُّظي وصوتي وفعلي أنه مخلوق ، فهذا مُصيبٌ ، فالله تعالى خالقنا ، وخالق أفعالِنا وأدواتِنا . ولكن الكفُّ عن هذا هو السنة ، ويكفي المرء أن يؤمن بأنَّ القرآن العظيم كلامُ الله ووحيه وتنزيله على قلب نبيِّه ، وأنه غير مخلوقٍ ، ومعلومٌ عند كلِّ ذي ذهنٍ سليم أنَّ الجماعة إذا قرؤوا السورة ، أنَّهم جميعهم قرؤوا شيئاً واحداً ، وأن أصواتهم وقراءاتهم ، وحناجرهم أشياءُ مختلفةٌ ، فالمقروءُ كلام ربهم ، وقراءتُهم وتلَفُّظهم ونغماتُهم متباينة ، ومن لم يتصور الفرق بين التلفظ وبين الملفوظ ، فَدَعْهُ وأعرض عنه [1].

الله خالقنا وأعمالنا

قال الحافظ أبو عبدالله بن مَنْدَة في مسألة الإيمان : صرَّح محمد بن نصر في كتاب ((الإيمان)) بأنَّ الإيمان مخلوق ، وأن الإقرار ، والشهادة ، وقراءة القرآن بلفظه مخلوق . ثُمَّ قال : وهَجَرَهُ على ذلك علماءُ وَقْتِهِ ، وخالفه أئمَّةُ خُراسان والعراق .

---

(١) السير (١٢ / ١٧٧).

قلت : الخوض في ذلك لا يجوز ، وكذلك لا يجوز أنْ يُقال : الإيمانُ ، والإقرار ، والقراءة ، والتلفظ بالقرآن غير المخلوق ، فإنَّ الله خلق العباد وأعمالهم ، والإيمان : قولٌ وعمل ، والقراءة والتلفظُ ، من كَسْبِ القارئ ، والمقروءُ الملفوظ : هو كلامُ الله ووحيه وتنزيله ، وهو غير مخلوق ، وكذلك كلمة الإيمان ، وهي قول (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ، داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق ، والتكلم بها من فِعْلنا ، وأفعالُنا مخلوقة، ولو أنَّا كُلَّما أخطأنا إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له، قُمنا عليه وبدَّعناه ، وهجرناه ، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نصْر ، ولا ابنُ مندة ، ولا من هو أكبرُ منهما ، والله هو هادي الخلق إلى الحق ، وهو أرحم الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة [1].

(١) السير (١٤/ ٣٩- ٤٠).

أدب التلاوة

عن علي رضي الله عنه : ((أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يرفع الرَّجُلُ صوته بالقُرآنِ قَبْلَ العِشَاءِ وبعْدَها ، يُغَلِّطُ أصحابهُ في الصلاة ، والقومُ يُصَلُّون)) .

هذا حديثٌ صالح الإسناد [١]، فيه النَّهي عن قراءة الأسْبَاع التي في المساجد وقت صلوات الناس فيها ، ففي ذلك تشويش بيِّنٌ على المصلِّين ، هذا إذا قرؤوا قِراءةً جائزةً مرتَّلَة ، فإن كانت قِراءتُهُم دمْجاً وهَذْرمةً [٢] وبلْعاً للكلمات ، فهذا حرامٌ مكرَّر ، فقد - والله - عمَّ الفساد ، وظهرتِ البِدع ، وَخفِيَتِ السُّنن ، وقلَّ القَوَّالُ بالحق ، بل لو نطق العلمُ بصدقٍ وإخلاصٍ لعارضهُ عدَّةٌ من علماء الوقت ، ولَمقَتُوه وجهَّلُوه ، فلا حول ولا قوَّةَ إلاَّ بالله[٣].

---

(١) كيف يكون صالح الإسناد وفيه الحارث بن عبدالله الهَمْداني الأعور ، وقد ضعّفه غير واحد من العلماء ، منهم المصنف في ((الميزان)) ١/ ٤٣٥ ، ولكن معنى الحديث قد ثبت من وجه آخر ، فقد أخرج أبو داود في سننه (١٣٣٢) في الصلاة : باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ، ومن طريق عبدالرزاق ، عن معمر ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد قال : اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد ، فسمعهم يجهرون بالقراءة ، فكشف الستر ، وقال : ((ألا إنَّ كلكم مناجٍ ربه ، فلا يؤذينَّ بعضكم بعضاً ، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة)) أو قال : ((في الصلاة)) . وهذا إسناد صحيح .

وأخرجه مالك في ((الموطأ)) ١/ ١٠١ في العمل في القراءة ، من طريق يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي حازم التمار ، عن البياضي أن رسول الله ﷺ خرج على الناس ، وهم يصلون ، وقد علت أصواتهم بالقراءة ، فقال : ((إن المصلي يناجي ربَّه ، فلينظر بما يناجيه به ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن)). وإسناده صحيح أيضاً .

(٢) في ((اللسان)) : ((الهذرمة : السرعة في القراءة ، قال ابن عباس : لأن أقرأ القرآن في ثلاثٍ أحبُّ إلي من أن أقرأه في ليلةٍ هَذرمة)) .

(٣) السير (١٤/ ١٦٥ - ١٦٦).

ب- السنَّة المشرفة وعلومها

رتبة الكمال

عن يونس بن بُكير ، وعدة : عن المسعودي ، عن نُفَيل بن هشام بن سعيد ابن زيد ، عن أبيه ، عن جدّه قال : مرَّ زيد بن عمرو على رسول الله ﷺ ، وزيد ابن حارثة ، فدعواه إلى سُفْرةٍ لهما ، فقال : ((**يا ابن أخي ، إني لا آكل مما ذبح على النصب**)) ، فما رؤي رسول الله ﷺ بعد ذلك اليوم يأكل مما ذُبح على النُّصب . المسعودي ليس بحجة .

أخرجه الإمام أحمد في ((مسنده)) ، عن يزيد ، عن المسعودي ، ثم زاد في آخره : قال سعيد : فقلتُ : يا رسول الله ! إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك ولو أدركك لآمن بك واتبعك فاستغفر له . قال : ((**نعم ، فأستغفر له ، فإنه يُبعث أمةً واحده**)) [1] .

وقد رواه إبراهيم قال : حدثنا إبراهيم بن محمد ، حدثنا أبو قطن ، عن المسعودي ، عن نفيل ، عن أبيه ، عن جدّه قال : مرَّ زيدٌ برسول الله ﷺ وبابن حارثة وهما يأكلان في سفرة فدعواه ، فقال : إني لا آكل مما ذبح على النُّصُب . قال : وما رؤي رسول الله ﷺ آكلاً مما ذبح على النُّصُب [2] .

فهذا اللفظ مليح يفسِّر ما قبله . وما زال المصطفى محفوظاً محروساً قبل الوحي وبعده ولو احتُمل ذلك ، فبالضرورة ندري أنه كان يأكل من ذبائح قريش قبل الوحي ، وكان ذلك على الإباحة ، وإنما تُصف ذبائحهم بالتحريم بعد نزول الآية ، كما أنَّ الخمرة كانت على الإباحة ، إلى أن نزل تحريمُها بالمدينة بعد يوم أحُد ، والذي لا ريب فيه ، أنه كان معصوماً قبل الوحي ، وبعده وقبل التشريع من الزنى قطعاً ، ومن الخيانة ، والغدر ، والكذب ، والسكر ، والسجود لوثن ، والاستقسام بالأزلام ، ومن الرذائل ، والسَّفهِ ، وبَذَاءِ اللسان ، وكشف العورة ، فلم يكن يطوف عُرياناً ، ولا كان يقف يوم عرفة مع قومه بمزدلفة ، بل

---

(١) - (٢) ضعفهما الأرنؤوط ، انظر السير ١ / ١٣٠ .

كان يقف بعرفة ، وبكل حال لو بدا منه شيء من ذلك ، لما كان عليه تبعةٌ لأنه كان لا يعرف ، ولكنَّ رتبة الكمال تأبى وقوع ذلك منه ، صلى الله عليه وسلم تسليماً [١].

(١) انظر السير (١/ ١٢٩ - ١٣١).

رضيت

وفي ترجمة فاطمة بنت محمد ﷺ قال رحمه الله : ولما توفي أبوها ﷺ تعلقت آمالها بميراثه ، جاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق . فحدثها أنه سمع من النبي ﷺ ((**لا نورث ما تركناه صدقةٌ**))[1] فوجدت عليه ، ثم تعلَّلت [2].

وعن الشعبي ، قال : لما مرضتْ فاطمةُ ، أتى أبو بكر فاستأذن ، فقال عليٌّ : يا فاطمةُ ، هذا أبوبكر يستأذن عليك . فقالتْ : أتُحِبُّ أن آذن له . قال : نعم .

قلت : عملت السنة رضي اللهُ عنها ، فلم تأذنْ في بيت زَوجها إلا بأمره.

قال : فأذنتْ له . فدخل عليها يترضَّاها ، وقال : والله ما تركتُ الدار والمال والأهل والعشرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ومرضاتكم أهل البيت .

قال : ثم ترضَّاها حتى رضِيَتْ [3].

---

(١) أخرجه البخاري في فرض الخمس ، في المغازي باب حديث بني النضير ، في أول الفرائض. ومسلم في الجهاد والسير ، باب قول حديث بني النضير ، في أول الفرائض . ومسلم في الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ : ((لا نورث ما تركناه صدقة)) .

(٢) تعللت : أي تلهت عنه وتشاغلت .

(٣) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات)) ٨/٢٧ ، وإسناده صحيح ، لكنه مرسل ، وذكره الحافظ في ((الفتح)) ٦/١٣٩ ، ونسبه إلى البيهقي وقال : وهو وإن كان مرسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح ، أنظر السير (٢/ ١٢٠ - ١٢١) .

يا حميراء

وقد قيل : إنَّ كُلَّ حديثٍ فيه : يا حمُيراء ، لم يصح [١].

وأوهى ذلك تشميسُ الماء ، وقولُ النبي ﷺ لها : ((**لا تفعلي يا حُميراء فإنَّهُ يُورِثُ البرص**))[٢]. فإنه خبر موضوع . والحمراءُ ، في خطاب أهل الحجاز : هي البيضاءُ بُشقرة ، وهذا نادر فيهم ، ومنه في الحديث : ((**رجل أحمر كأنَّه من الموالي**))[٣] . يريد القائل أنه في لون الموالي الذين سُبُوا من نصارى الشام والروم والعجم .

ثم إن العرب إذا قالت : فلانٌ أبيض فإنهم يريدون الحِنطيَّ اللون بلحية سوداء ، فإن كان في لون أهل الهند ، قالوا : أسمر وآدم ، وإن كان في سواد التكرور ، قالوا : أسود ، وكذا كل من غلب عليه السواد . قالوا : أسود ، أو شديد الأدْمَة . ومن ذلك قوله ﷺ : ((بُعِثْتُ إلى الأحمرِ والأسود)) [٤]. فمعنى

---

(١) قال الأرنؤوط : في هذه الكلية نظر ، فقد أخرج النسائي في ((عشرة النساء)) ورقة ١/٧٥ من حديث يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني بكر بن مضر ، عن ابن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : دخل الحبشة المسجد يلعبون ، قال لي : يا حميراء ، أتحبين أن تنظري إليهم ؟ فقلت : نعم ، فقام بالباب ، وجئته ، فوضعت ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده ، قالت : ومن قولهم يومئذ : أبا القاسم طيباً ، فقال رسول الله ﷺ : حسبك ، قلت : يا رسول الله لا تعجل ، فقام لي ثم قال : حسبكِ فقلت : لا تعجل يا رسول الله ، قالت : وما بي حب النظر إليهم ، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه ، قال الحافظ في ((الفتح)) ٢/ ٣٥٥ : إسناده صحيح ، ولم أر في الحديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا ، وقال الزركشي في المعتبر ٢/١٩ ، و ١/٢٠ : وذكر لي شيخنا ابن كثير ، عن شيخه أبي الحجاج المزي أنه كان يقول : كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثاً في الصوم في سنن النسائي. قلت : وحديث آخر في النسائي ... ودخل الحبشة المسجد ... وذكر الحديث السابق .

(٢) أخرجه الدارقطني ص (١٤) والبيهقي ٦/١ من طريق خالد بن إسماعيل المخزومي ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : أسخنت ماءً لرسول الله في الشمس ليغتسل به. فقال لي : ((يا حُميراءُ لا تفعلي فإنه يُورثُ البرص)) قال الدارقطني : خالد بن إسماعيل متروك ، وقال ابن عدي : يضعُ الحديث على ثقات المسلمين ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به بحال.

(٣) قطعة من حديث مطول أخرجه البخاري في الإيمان : باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها ، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ، عن أبي موسى الأشعري .

(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم في ((صحيحه)) في أول المساجد من حديث جابر بن عبدالله.

ذلك : أن بني آدم لا ينفكون عن أحد الأمرين . وكل لون بهذا الاعتبار يدور بين السواد والبياض الذي هو الحمرة (١).

لو ذكر أكثر

عن حُذَيفة ، قال : قام فينا رسولُ الله مقاماً ، فحدَّثنا بما هو كائنٌ إلى قيام الساعة ، فحفِظَه من حفظه ، ونسيه من نسيه (٢).

قلت : قد كان ﷺ يُرتِّلُ كلامه ويُفسِّرُهُ ؛ فلعلَّه قال في مجلِسه ذلك ما يُكْتَبُ في جُزء ؛ فذكر أكبر الكوائن ، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود ، لما تهيأ أنْ يقوله في سنة ، بل ولا في أعوام ، ففكِّرْ في هذا (٣).

إن صح

عبدالله بن سلام ، عن أبيه : أنه جاء إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : إني قد قرأتُ القرآن والتوراة . فقال : ((اقرأ بهذا ليلة ، وبهذا ليلة)). إسناده ضعيف (٤).

فإن صحَّ ، ففيه رخصةٌ في التكرار على التوراة التي لم تُبَدَّل ، فأما اليوم ، فلا رخصة في ذلك ؛ لجواز التبديل على جميع نسخ التوراة الموجودة ، ونحنُ نُعظِّمُ التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، ونُؤمنُ بها . فأماً هذه الصحف التي بأيدي هؤلاء الضُّلَّال ، فما ندري ما هي أصلاً . ونقِفُ ، فلا نُعاملها بتعظيم ولا بإهانة ، بل نقولُ : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله . ويكفينا في ذلك الإيمانُ المُجْمَل ، ولله الحمد (٥).

---

(١) السير (٢/ ١٦٧ - ١٦٨) .
(٢) أخرجه البخاري في القدر : باب ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ .
(٣) السير (٢/ ٣٦٥ - ٣٦٦).
(٤) السير (٢/ ١٦٧ - ١٦٨) .
(٥) السير (٢/ ٤١٨ - ٤١٩) .

تدليس جائز

قيل لابن عمر : هل تُنكر مما يحدِّثُ به أبو هريرة شيئاً ؟ فقال : لا ، ولكنه اجترأ ، وجَبُنَّا .

فقال أبو هريرة : فما ذنبي ، إن كنتُ حفظتُ ونسُوا ! .

قال يزيدُ بنُ هارون : سمعت شعبة يقول : كان أبو هريرة يُدلِّسُ [١].

قلت : تدليس الصحابة كثيرٌ ، ولا عيب فيه ؛ فإنَّ تدليسهم عن صاحبٍ أكبر منهم ؛ والصحابةُ كُلُّهم عُدول [٢].[٣]

(١) ذكره ابن عساكر ١٩/١ : ١٢٢ . قال الحافظ ابن كثير في ((البداية)) ١٠٩/٨ : وكأن شعبة يشير بهذا إلى حديثه : ((من أصبح جُنباً فلا صيام له)) فإنه لما حوقق عليه ، قال : أخبرنيه مخبر ، ولم أسمعه من رسول الله ﷺ .

(٢) قال ابن حبان في مقدمة ((صحيحه)) ١٢٢/١ : وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله ﷺ ما رووها عن النبي ز وإن لم يبينوا السماع في كل ما رووا ، وبيقين نعلم أن أحدهم ربما سمع الخبر عن صحابي آخر ، ورواه عن النبي ﷺ من غير ذلك الذي سمعه منه ، لأنهم رضي الله عنهم أجمعين - وقد فعل - كلهم أئمة سادة قادة عدول ، نزه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول الله ﷺ عن أن يلزق بهم الوهن .

(٣) السير (٢ / ٦٠٨) .

هذا لا شيء

عن منصور عن إبراهيم ، قال : ما كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة إلا ما كان حديثَ جَنَّة أو نار .

قلت : هذا لاشيءَ ، بل احتجَّ المسلمون قديماً وحديثاً بحديثه ؛ لحفظه وجَلالَتِه وإتقانه وفقهه ، وناهيك أنَّ مثلَ ابنِ عباس يتأدَّبُ معه ، ويقولُ : أَفْتِ يا أبا هريرة .....

وأين مثلُ أبي هريرة في حفظه وسعة علمه [١] .

لا أشبع الله بطنه

عن عبدالله بن عمرو ، قال : كان معاوية يكتبُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] .

عن ابن عباس ، قال : كنتُ ألعبُ مع الغلمان ، فدعاني النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : ((**ادعُ لي معاوية**)) وكان يكتب الوحي .

رواه أحمد في ((مسنده))[٣] وزاد فيه الحاكم : قال : فدعوته ، فقيل : إنه يأكل .

فأتيتُ ، فقلتُ : يا رسول الله ، هو يأكل .

قال : ((**اذهب فادعه**)) فأتيتهُ الثانية ، فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله ، فأخبرته ، فقال في الثالثة : ((**لا أشبع الله بطنه**)) قال : فما شبع بعدها.

رواه الطيالسي : وفيه : ((**لا أشبع الله بطنه**)) [٤].

---

(١) السير (٢/ ٦٠٩) .

(٢) رجاله ثقات .

(٣) ١/ ٣٣٥ ، وسنده قوي ، وهو في ((المستدرك)) . وانظر ((المسند)) ١/ ٢٤٠ و ٣٣٨ .

(٤) هو في ((مسند الطيالسي)) رقم (٢٧٤٦) ، وأخرجه مسلم في البر والصلة : باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك ، كان له زكاة وأجراً ورحمة من طريق شُعبة ، عن أبي حمزة القصاب ، عن ابن عباس . وانظر : ((أنساب الأشراف)) ٤/ ١٢٥ ، ١٢٦ .

فسَّره بعضُ المُحبين قال : لا أشبع الله بطنه ؛ حتى لا يكون ممن يجوعُ يوم القيامة ، لأن الخبر عنه أنه قال : ((**أطول الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة**)) (١).

قلت : هذا ما صحَّ ، والتأويل ركيك ، وأشبهُ منه قوله عليه السلام : ((**اللهم منْ سببته أو شتمته من الأمة فاجعلها له رحمة**)) (٢). أو كما قال . وقد كان معاوية معدوداً من الأُكلة (٣).

المعيـــار

روى هشام بن حسَّان ، عن محمد ، عن عبيدة ، قال : اختلف الناسُ في الأشربة فمالي شراب منذ ثلاثين سنة إلاَّ العسل واللبن والماء .

قال محمد : وقلت لعبيدة السلماني : إن عندنا من شعر رسول الله ﷺ شيئاً من قِبَل أنس بن مالك ، فقال : لأنْ يكون عندي منه شعرةٌ أحب إليَّ من كلِّ صفراء وبيضاء على ظهرِ الأرض .

قلت : هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحبِّ ، وهو أن يُؤثر شعرةً نبويَّةً على كُلِّ ذهبٍ وفِضَّةٍ بأيدي الناس . ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبيﷺ ، بخمسين سنة ، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت ، أو شِسْع نَعْلٍ كان له ، أو قُلامة ظُفْرٍ ، أو شقفةً من إناء شرب فيه ، فلو بذل الغنيُّ معظم أمواله في تحصيل شيءٍ من ذلك عنده ، أكنت تعدُّهُ مبذراً أو سفيهاً ؟ كلاّ . فابذل مالك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده والسلام

---

(١) حديث قوي بشواهده ، أخرجه : الترمذي (٢٤٧٨) ، وابن ماجة و ابن أبي الدنيا في ((الجوع)) ٢/٢ ، والطبراني في ((الأوسط)) و ((الكبير)) كما في ((المجمع)) ٣١/٥ ، وغيرهم عن عدة من الصحابة .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٠) من حديث عائشة ، و(٢٦٠١) من حديث أبي هريرة ، و(٢٦٠٢) من حديث جابر بن عبدالله ، ولفظ حديث أبي هريرة : ((اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته ، أو لعنته ، أو جلدته ، فاجعلها له زكاة ورحمة)) .

(٣) السير (٣/ ١٢٣ - ١٢٤) .

عليه عند حُجرته في بلده ، والتذَّ بالنَّظر إلى ((أُحُدٍ)) وأحبَّه ، فقد كان نبيك ﷺ يحبه ، وتملأ بالحلول في روضته ومقعده ، فلن تكون مؤمناً حتى يكون هذا السيد أحبَّ إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كُلِّهم .

وقبل حجراً مكرماً نزل من الجنة ، وضع فمك لاثماً مكاناً قبَّله سيِّدُ البشر بيقين ، فهنَّأك الله بما أعطاك ، فما فوق ذلك مفخر . ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول ﷺ إلى الحجر ثم قبَّل محجنه . لحقَّ لنا أنْ نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل . ونحن ندْري بالضرورة أنَّ تقبيل الحجر أرفع وأفضَل من تقبيل مِحْجنِه ونَعْلِه [١].

المسّ

عن الحسن ، عن عبد الله بن مُغفَّل قال رسول الله ﷺ : ((**لا يَبُولَنَّ أحدكم في مستحمه ثم يتوضَّأ فيه ، فإنَّ عامَّة الوسواس منهُ**)) [٢].[٣]

قلت: مُراده بالوسواس ، أن يصيبه مسٌ من الجان.ومنه سُمي المُسرف في الماء موسوساً، شُبه بالمجنون، ولا سيما إذا كبَّر أحدهم للفريضة. عافاهم الله تعالى.

---

(١) السير (٤/ ٤٣) .

(٢) الحسن مدلس ، وقد عنعن . وأخرجه أحمد ٥٦/٥ ، وأبو داود (٢٧) في الطهارة ، باب : في البول في المستحم ، والترمذي (٢١) في الطهارة : باب : ما جاء في كراهية البول في المغتسل، والنسائي ٣٤/١ في الطهارة، باب : كراهية البول في المستحم، وابن ماجة (٣٠٤) في الطهارة ، باب : كراهية البول في المغتسل ، وروي أبو داود حديثاً آخر عقبه (٢٨) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ يشهد لحديث ابن مغفلٍ في النهي عن البول في المستحم . قال أبو سليمان الخطابي : إنما ينهى عن ذلك إذا لم يكن المكان صلباً أو مبلطاً ، أو لم يكن له مسلك ينفذ فيه البول ، ويسيل إليه الماء فيتوهم المغتسل أنه يصيبه شيء من رشاشه فيورثه الوسواس.

(٣) السير (٦/ ٢٧٥) .

الحديث النبوي قسمان

وفي ترجمة المحدث الثقة محمد بن طلحة بن مصرف ، قال الذهبي :

قلت : توفي سنة سبع وستين ومائة . ويجيء حديثه من أدنى مراتب الصحيح ، ومن أجود الحَسن ، وبهذا يظهر لك أن ((الصحيحين)) فيهما الصَّحيح ، وما هو أصح منه ، وإن شئت قلتَ : فيهما الصحيح الذي لا نزاع فيه ، والصحيح الذي هو حسن ، وبهذا يظهر لك أن الحسن قِسمٌ داخل في الصَّحيح ، وإن الحديث النّبوي قِسْمان ، ليس إلا صحيح ، وهو على مراتب ، و ضعيف وهو على مراتب . والله أعلم [١].

المدلس

قال خلف بن هشام البزّار : المدَلّس متشبع بما لم يُعط .

قلت : هو داخل في قوله تعالى : ﴿ **وَيُحِبُّون أن يُحمدُوا بما لَمْ يَفْعَلُوا** ﴾ [آل عمران : ١٨٨]. قلت : والمدلّس فيه شيء من الغِش ، وفيه عدم نُصح للأمة ، لا سيما إذا دَلّس الخبر الواهي ، يوهم أنه صحيح ، فهذا لا يحل بوجه ، بخلاف باقي أقسام التّدْليس ، وما أحسن قول عبد الوارث بن سعيد : التدليس ذُل [٢].

(١) السير (٧/ ٣٣٩) .
(٢) السير (٧/ ٤٦٠) .

خائن لله تعالى ورسوله ﷺ

روى رباح بن زيد الكوفي ، عن ابن المبارك قال : إذا اجتمع إسماعيل بن عياش وبقية بن الوليد ، فبقية أحبُّ إليَّ .

وروى سفيان بن عبد الملك ، عن ابن المُبارك قال : بقية كان صدوقاً ، لكنه يكتب عمن أقبل وأدبر .

وقال يحيى بن المغيرة الرَّازي ، عن ابن عُيينة : لا تسمعوا من بقية ما كان في سُنَّة ، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره .

قلت : لهذا أكثر الأئمة على التَّشديد في أحاديث الأحكام ، والترخيص قليلاً ، لا كلَّ الترخُّص في الفضائل والرقائق ، فيقبلُون في ذلك ما ضعُف إسناده ، لا ما اتُّهم رُواته ، فإن الأحاديث الموضوعة والأحاديث الشديدة الوهن لا يلتفِتون إليها ، بل يروونها للتحذير منها ، والهتك لحالها ، فمن دلَّسها أو غطَّى تبيانها ، فهو جانٍ على السنة ، خائنٌ لله ورسوله .

فإن كان يجهلُ ذلك ، فقد يُعذر بالجهل ، ولكن سلُوا أهْل الذِّكر إنْ كنتمْ لا تعلمون [1].

---

(١) السير (٨/ ٥٢٠) .

بلا مثنوية

روى أحمد بن أبي خَيثمة ، عن يحيى قال : يزيدُ بنُ هارون لا يُميِّزُ ، ولا يُبالي عمَّن روى .

وأحمد بن أبي خيثمة عن أبيه قال : كان يُعابُ على يزيد حيثُ ذهب بصره، ربَّما سُئِل عن حديثٍ لا يعْرفه ، فيأمر جاريةً له تُحفِّظُه إياه من كتابه .

قلت : ما بهذا الفعل بأسٌ مع أمانة من يُلقِّنُه ، ويزيدُ حجةٌ بلا مثنويَّة [١].

يكتب حديثه

وقد تقرَّر أنَّ الواقدي ضعيفٌ، يُحتاج إليه في الغزوات، والتاريخ ، ونُوردُ آثاره من غير احْتجاجٍ ، أما في الفرائض ، فلا ينبغي أن يُذكر ، فهذه الكتب الستة، ومسند أحمد، وعامَّةُ منْ جمع في الأحكام، نراهم يترخَّصون في إخراج أحاديث أُناس ضُعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يخرِجون لمحمد بن عُمر شيئاً، مع أنَّ وزنه عندي أنه مع ضعفه يُكتبُ حديثه ، ويُروى ، لأنِّي لا أتَّهِمُه بالوضع، وقولُ من أهدره فيه مُجازفةٌ من بعض الوجوه ، كما أنَّه لا عبرة بتوثيق من وثَّقه، كيزيد، وأبي عُبيد ، والصَّاغاني ، والحَرْبي ، ومَعن ، وتمام عشرة مُحدِّثين ، إذ قد انعقد الإجماعُ اليوم على أنه ليس بحُجَّة، وأنَّ حديثه في عِدادِ الواهي ، رحمه الله [٢].

---

(١) أي : بلا استثناء. قال : حلفت يميناً غير ذي مثنوية، أي لا استثناء فيها، السير(٩/ ٣٦٣).

(٢) السير (٩/ ٤٦٩) ، ترجمة العلامة الإمام محمد بن عمر بن واقد الواقدي .

ولا بد لها من تأديب

قال محمدُ بن النعمان بن عبد السلام : لم أرَ أعبدَ من يحيى بن حماد ، وأظنّه لم يضحك .

قلت : الضحك اليسيرُ والتبسم أفضل ، وعدم ذلك من مشايخ العلم على قسمين :

أحدهما : يكون فاضلاً لمن تركه أدباً وخوفاً من الله ، وحُزناً على نفسه المسكينة .

والثاني : مذمومٌ لمن فعله حمقاً وكِبْراً وتصنعاً ، كما أن مَنْ أكثر الضحك استخفَّ به ، ولا ريبَ أن الضحك في الشبابِ أخفُّ منه وأعذر منه في الشيوخ .

وأما التبسُّمُ وطلاقة الوجه فأرفع من ذلك كلّه ، قال النبي ﷺ : ((**تبسُّمك في وجه أخيك صَدَقَةٌ**))[(١)] ، وقال جريرٌ : ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسَّم[(٢)] .

فهذا هو خلقُ الإسلام ، فأعلى المقامات من كان بكّاءً بالليل ، بسّاماً بالنهار . وقال عليه السلام : ((**لن تَسَعوا الناسَ بأموالِكُم ، فليسعهم منكم بَسْطُ الوجه**))[(٣)] .

بقي هنا شيءٌ : ينبغي لمن كان ضحوكاً بساماً أن يُقصِّر من ذلك ، ويلوم نفسه حتى لا تمجَّهُ الأنفس ، وينبغي لمن كان عبوساً منقبضاً أن يتبسَّم ،

---

(١) أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٨٩١) ، والترمذي في البر والصلة : باب ما جاء في صنائع المعروف ، وحسنه ، وصححه ابن حبان واسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد : باب من لا يثبت على الخيل ، وفي الأدب : باب التبسم والضحك ، ومسلم في فضائل الصحابة .

(٣) أخرجه البزار برقم (١٩٧٧) والحاكم ١/١٢٤ ، وأبو نُعيم ١٠/٢٥ ، من حديث أبي هريرة ، وفي سنده عبد الله بن سعيد المقبري وهو متروك ، وأورده الهيثمي في " المجمع " ٨/٢٢ ، وزاد نسبته إلى أبي يعلى ، وضعفه بعبد الله بن سعيد ، وصححه الحاكم ، وردّه عليه المؤلف بقوله : عبد الله واه .

ويُحسِّن خلقه ، ويمقت نفسه على رداءة خُلُقه ، وكل انحرافٍ عن الاعتدال فَمَذْمُومٌ ، ولا بد للنفس من مجاهدةٍ وتأديب [١] .

المتون المرفوعة

عن أحمد الدَّوْرَقيِّ ، عن أبي عبد الله ، قال : نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة لم نضبطه ، فكيف يضبطه مَن كتبه مِن وجهٍ واحد ؟! قال عبدالله بن أحمد : قال لي أبو زرعة : أبوك يحفظُ ألف ألف حديث ، فقيل له : وما يُدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .

فهذه حكاية صحيحة في سَعة علم أبي عبد الله ، وكانوا يَعُدُّون في ذلك المكرَّر ، والأثر ، وفتوى التابعي ، وما فُسِّر ، ونحو ذلك . وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك [٢] .

متى يفلــح ؟

تأمل هذه الكلمات الجامعة ، وهي قوله ﷺ ((**الدِّينُ النَّصيحَةُ**)) ، فمنْ لم ينصح للهِ وللأئمة وللعامة ، كان ناقص الدين . وأنت لو دُعيتَ ، يا ناقص الدين ، لغضبتَ . فقل لي : متى نصحت لهؤلاء ؟ كلا والله ، بل ليتك تسكتُ ، ولا تنطِقُ ، أو لا تُحسِّن لأمامك الباطل ، وتُجرِّئه على الظلم وتَغُشه . فمن أجل ذلك سقطت من عينه ، ومن أعين المؤمنين . فبالله قل لي : متى يُفلحُ من كان يسرُّه ما يَضُرُّه ؟ ومتى يُفلح من لم يُراقب مولاه ؟ ومتى يفلح من دنا رحيله ، وانقرض جيله ، وساء فِعلُه وقيلُه ؟ فما شاء الله كان ، وما نرجو صلاح أهل الزمان ، لكن لا ندع الدعاء ، لعل الله أن يلطفَ ، وأن يصلحنا . آمين [٣] .

---

(١) السير (١٠/ ١٤٠-١٤١) .
(٢) السير (١١/ ١٨٧) .
(٣) السير (١١/ ٥٠٠) .

كمال المراقبة

عن عبد الله بن سَرْجس أنَّ النبي ﷺ صلَّى يوماً وعليه نَمِرَةٌ ، فقال لِرَجُلٍ: ((**هاتِ نَمِرتَكَ ، وخُذْ نمرتي**)) . قال : يا رسول الله ، هي خيرٌ من نَمِرَتي ، قال : ((**أجل ، ولكن عليها خيطٌ أحمرُ ، فخشيتُ أن تَفْتِنَني في صلاتي**)) [١] .

قلت : أي : تشغلُني عن كمال المراقبة ، والأنبياء مطالبون بما يُسمح فيه لغيرهم ، فلذلك قايض بِنمرتِهِ [٢].

حبه إيمان

عن علي رضي الله عنه ، قال : والذي فَلَقَ الحَبَّةَ ، وبَرَأَ النَّسْمة ، إنه لعَهدُ النبيِّ الأُمِّيِّ إليَّ : ((**أنّه لا يُحِبَّني إلاّ مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُني إلاّ مُنافِقٌ**)).

غريبٌ عن شعبة ، والمشهورُ حديثُ الأعمش عن عدي .

فمعناه أن حُب عليٍّ من الإيمان ، وبُغضَه من النفاق ، فالإيمان ذو شُعَب ، وكذلك النفاق يتشَعَّب ، فلا يقول عاقل : إن مجرَّد حُبِّه يصير الرجل به مؤمناً مُطلقاً ، ولا بمجرد بُغضه يصيرُ به الموحِّد منافقاً خالصاً . فمن أحبه وأبغض أبا بكر ، كان في منزلة من أبغضه ، وأحبَّ أبا بكر ، فبُغضهُما ضلالٌ ونفاق ، وحبُّهما هُدًى وإيمان [٣] ، والحديث في " صحيح " مسلم [٤] .

---

(١) سنده حسن ، وأخرجه البغوي في " شرح السنة " ٤٣٣/٢ من طريق عبد الله بن رجاء بهذا الإسناد ، وأورده الهيثمي في " المجمع " ١٣٦/٥ ، ونسبه للطبراني في " الأوسط " وقال : رجاله رجال الصحيح خلا موسى بن طارق وهو ثقة .

(٢) السير (١٢ / ١٠٠) .

(٣) السير (٥٠٩/١٢ - ٥١٠) .

(٤) (٧٨) في الإيمان ، والنسائي في الإيمان : باب علامة المنافق .

أخطأ ابن أبي داود

سألتُ ابن أبي داود عن حديث الطير[(١)]، فقال : إن صَحَّ حديث الطير فنبوة النبي ﷺ باطل ؛ لأنه حكى عن حاجب النبي ﷺ خِيانةً - يعني أنساً - وحاجب النبي لا يكون خائناً .

قلت : هذه عِبارةٌ رديئةٌ ، وكلامٌ نَحْسٌ ، بل نبوَّةُ محمد ﷺ حقٌ قَطْعيٌّ ، إن صح خبر الطير ، وإن لم يصح ، وما وجه الارتباط ؟ هذا أَنَس قد خدم النبيﷺ قبل أن يحتَلِم ، وقبل جريان القلم ، فيجوز أن تكون قصة الطائر في تلك المدة . فرضنا أنه كان محتلماً ، ما هو بمعصوم من الخيانة ، بل فعل هذه الجناية الخفيفة متأولاً ، ثم إنه حبس علياً عن الدخول كما قيل ، فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نفذت واستُجيبت ، فلو حبسه ، أو ردَّه مراتٍ ، ما بقي يتصور أن يدخل ويأكل مع المصطفى سواه إلا ، اللَّهُم إلا أن يكون النبي ﷺ قصد بقوله : ((**إيْتِنِي بأحبِّ خلقِكَ إليكَ ، يأكل معي**)) عدداً من الخيار ، يصدُقُ على مجموعهم أنهم أحب الناس إلى الله ، كما يصح قولنا : أحب الخلق إلى الله الصالحون ، فيقال : فمن أحبهم إلى الله ؟ فنقول : الصديقون والأنبياء . فيقال : فمن أحب الأنبياء كلهم إلى الله ؟ فنقول : محمد وإبراهيم وموسى ، والخَطْب في ذلك يسير. وأبو لُبابة - مع جلالته - بدت منه خيانة ، حيث أشار لبني قُريظة إلى حَلْقِه ، وتاب الله عليه. وحاطب بدت منه خيانة ،

---

(١) ونصه : كان عند النبي ﷺ طيرٌ فقال : ((اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير)) فجاء علي فأكل معه . أخرجه الترمذي : (٣٧٢١)، من طريق سفيان بن وكيع ، عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، عن أنس، وقال : غريب : أي : ضعيف ، لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس قال : كنت أخدم رسول الله ﷺ ، فقدم له فرخ مشوي ، فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، قلت : اجعله رجلاً من أهلي من الأنصار ، فجاء علي ، فقلت : إن رسول الله على حاجة ، ثم جاء ، فقلت ذلك ، فقال : اللهم ائتني كذلك ، فقلت ذلك ، فقال لي رسول الله ﷺ : افتح، فدخل، فقال ما حبسك يا علي ؟ ، فقال : إنه هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قلت : أحببت أن يكون رجلاً من قومي ، فقال : إن الرجل محب قومه)) وانظر : أجوبة الحافظ ابن حجر على أحاديث وقعت في المصابيح ٣/٣١٣، ٣١٤ ، "والفوائد المجموعة" ص : ٣٨٢ ، وسيذكر المصنف رأيه فيه بعد قليل .

فكاتبَ قريشاً بأمر تَخَفَّى به نبي الله ﷺ من غزوهم ، وغفر الله لحاطب مع عظم فعله - رضي الله عنه - . وحديث الطير - على ضعفه - فله طرق جمة ، وقد أفردتها في جزءٍ ، ولم يثبت ، ولا أنا بالمعتقد بُطلانه ، وقد أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله ، وله على خطئه أجرٌ واحد ، وليس من شرط الثقة أن لا يُخطئ ولا يغلط ولا يسهو . والرجل فمن كبار علماء الإسلام ، ومن أوثق الحفاظ - رحِمَه الله تعالى - [1] .

الناقد الورع

قال أبو الربيع محمد بن الفضل البَلخي : سمعت أبا بكر محمد بن مَهْرَوَيْه الرازي ، سمعت علي بن الحسين بن الجُنَيد ، سمعت يحيى بن مَعين يقول : إنّا لنطعُنُ على أقوام ، لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة ، من أكثر من مِئتي سنة .

قلت : لعلها مئة سنة ، فإن ذلك لا يبلغ في أيام يحيى هذا القدر .

قال ابن مَهْرَوَيْه : فدخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم ، وهو يقرأ على الناس كتاب : " الجرح والتعديل " ، فحدثته بهذا ، فبكى ، وارتعدت يداه ، حتى سقط الكتاب ، وجعل يبكي ، ويستعيدُني الحكاية .

قلت : أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة ، وإلا فكلام الناقد الورع في الضعفاء من النصح لدين الله ، والذبِّ عن السنة [2] .

---

(١) السير (١٣/٢٣٢-٢٣٣) .
(٢) السير (١٣/٢٦٨) .

فلا يتعنّ

قال محمد بن بركة الحلبي : سمعت عثمان بن خرَّزاذ يقول : يحتاج صاحب الحديث إلى خمسٍ ، فإن عدمت واحدة ، فهي نقصٌ ، يحتاج إلى عقل جيد ، ودين وضبط حذاقة بالصناعة ، مع أمانة تُعرف منه .

قلت : الأمانة جزء من الدين ، والضبط داخلٌ في الحذق ، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً ذكياً ، نحوياً لغوياً ، زكياً حَيّاً ، سلفياً ، يكفيه أن يكتب بيده مئتي مُجلد ، ويُحَصِّل من الدواوين المعتبرة خمس مئة مجلد ، وأن لا يَفْتُر من طلب العلم إلى الممات ، بنيةٍ خالصةٍ وتواضعٍ ، وإلا فلا يَتَعَنّ [1] .

ما أحسن التقيّد بالسنن

الزاهد العابد المتألِّه ، أبو العباس ، أحمد بن محمد بن سَهل بن عطاء الأدَميُّ البغداديّ .

حدَّثَ عن : يوسف بن موسى القطّان .

وعنه : محمد بن علي بن حُبيش ، قال : كان له في كلِّ يومٍ ختمة ، وفي رمضان تسعون ختمة ، وبقيَ في خَتمة مُفردةٍ بضع عشر سنة يتفهم ويتدبر .

وقال حسين بن خاقان : كان ينامُ في اليوم واللَّيلة ساعتين ، مات في سنةِ تسعٍ وثلاثِ مئة ، في ذي القعدة .

قلت : لكنه راج عليه حالُ الحلاّج ، وصحَّحَه ، فقال السُّلَمي : امتُحن بسبب الحلاَّج ، وطلبه حامد الوزير وقال : ما الذي تقول في الحلاَّج ؟ فقال : مالك ولذاك ؟ عليك بما نُدِبتَ له من أخذ الأموال ، وسفكِ الدماء. فأمر به ، ففُكَّت أسنانُه ، فصاح : قطع الله يديك ورجليك. ومات بعد أربعة عشر يوماً ،

---

(١) السير (١٣ / ٣٨٠) .

ولكن أُجيبَ دُعاؤُه ، فقُطعت أربعةُ حامد . قال السَّلمي : سمعت أبا عَمْرو بن حمدان يذكر هذا .

وقيل : إن ابن عطاء فقد عقله ثمانية عشر عاماً ، ثم ثاب إليه عقله .

ثبت الله علينا عقولنا وإيماننا ، فمن تسبب في زوال عقله بجوع ، ورياضة صعبة ، وخلوة ، فقد عصى وأثِمَ ، وضاهَى من أزال عقله بعض يوم بسُكر . فما أحسن التقيد بمتابعة السُّنَن والعلم [(١)] .

ما قصد المعارضة

عن الأعمش ، عن فضيل بن عمرو - أُراه عن سعيد بن جُبير - عن ابن عباس ، قال : تمتع رسول الله ﷺ ، فقال عروة : نَهَى أبو بكر وعُمر عن المُتْعَة ، فقال ابن عباس : فما يقول عُريّة ؟ قال : نَهَى أبو بكر وعُمر عن المُتْعَة ، قال : أراهم سيهلكون . أقول : قال رسول الله ، ويقولون : قال أبوبكر وعُمر [(٢)] .

قلت : ما قصد عروة معارضة النبي ﷺ بهما ، بل رأى أنهما ما نهيا عن المُتعة إلا وقد اطلعا على ناسخ [(٣)] .

---

(١) السير (١٤/٢٥٥-٢٥٦) .

(٢) إسناده ضعيف لضعف شريك وهو ابن عبد الله النخعي الكوفي ، فإنه يخطئ كثيراً ، وهو في "المسند" ٣٣٧/١ من طريق حجاج بهذا الإسناد ، وأخرجه عبد الرزاق من طريق معمر عن أيوب ، قال : قال عروة لابن عباس : ألا تتقي الله ترخص في المتعة ، فقال ابن عباس : سل أمك عُريّة ، فقال عروة : أما أبوبكر وعمر ، فلم يفعلا ، فقال ابن عباس : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، أحدثكم عن رسول الله ﷺ ، وتحدثونا عن أبي بكر وعمر ، فقال عروة : لهما أعلم بسنة رسول الله وأتبع لها منك . ورجاله ثقات ، وأخرجه أبومسلم الكجي من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب السختياني ، عن ابن أبي مليكة ، عن عروة بنحوه ، وهذا إسناد صحيح .

(٣) السير (١٥/٢٤٣) .

جيد .. بشرط

قال ابن خلكان : كان يُتّهمُ بالاعتزال (الداركي) ، وكان ربما يختار في الفتوى ، فيقال له في ذلك ، فيقول : ويحكم ! حدَّث فلانٌ عن فلانٍ ، عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا ، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حَنيفة .

قلت : هذا جيِّد ، لكن بشرط أن يكون قد قال بذلك الحديث إمامٌ من نُظراء هذين الإمامين مثل مالك ، أو سُفيان ، أو الأوزاعي ، وبأن يكون الحديث ثابتاً سالماً من علة ، وبأن لا يكون حجة أبي حنيفة والشافعي حديثاً صحيحاً معارضاً للآخر . أما من أخذ بحديث صحيح وقد تنكَّبه سائر أئمة الاجتهاد ، فلا ، كخبر : ((**فإن شرب في الرابعةِ فاقْتُلوه**)) [1] ، وكحديث : ((**لَعَنَ الله السارق ، يسرق البيضة ، فتقطع يده**)) [2] . [3]

(١) حديث صحيح ، وقد تقدم تخريجه ، والجمهور من أهل العلم على أنه منسوخ ، فقد قال الترمذي في سننه ٤/٤٩ بعد الحديث رقم (١٤٤٤) : وإنما كان في أول الأمر ، ثم نسخ بعد ، هكذا روى محمد بن إسحاق ، عن محمد المنكدر ، عن جابر ، عن النبي ز قال : ((إن شرب الخمر ، فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة ، فاقتلوه)) قال : ثم أُتي النبي ﷺ بعد ذلك برجل قد شرب في الرابعة ، فضربه ، ولم يقتله ، وكذا روى الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب ، عن النبي ز نحو هذا ، قال : فرفع القتل ، وكان رخصة ، والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم اختلافاً في ذلك ، في القديم والحديث ، ومما يقوي هذا ماروى عن النبي ز من أوجه كثيرة أنه قال : ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألاّ إله إلاّ الله وإني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه)) .

(٢) البخاري في الحدود ، باب قول الله تعالى ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ وباب لعن السارق إذا لم يسم ومسلم في الحدود .

(٣) السير (١٦/٤٠٥) ترجمة الإمام الكبير شيخ الشافعية بالعراق عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الداركي .

نؤمن ونسكت

قال السمعاني : سمعت أبا القاسم بدمشق يقول : أهلُ بغداد يعتقدون فيه ، وكان أبو القاسم بن السمرقندي يقول : إن ابن الخاصبة كان يقول لابن الفاعوس : الحَجَري ؛ لأنه كان يقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقةً .

قال كاتبه : هذا أذىً لا يسوغ في حقِّ رجل صالح ، وإلا فهذا نزاع في إطلاق عبارة ما تحتها محذور أصلاً ، وهو كقولنا : بيت الله حقيقة ، وناقة الله حقيقةً ، وروح الله ابن مريم حقيقةً ، وذلك من قبيل إضافة التشريف ، ونحو ذلك ، وما يقول مَن له عقل قطٌّ : إن ذلك إضافة صفة ، وفي سياق الخبر ما يُوضِّح أنه إضافة مُلْكٍ ، لا إضافةُ صفة ، وهو قوله : ((فمن صافحه ، فكأنما صافح الله)) يعني أنه بمنزلة يمين الباري تعالى في الأرض[١] .

روى ابن جُريج قال : سمعت محمد بن عبّاد بن جعفر يقول : سمعت ابن عباس يقول : هذا الركن الأسود يمين الله في الأرض يصافح به عباده مصافحة الرجل أخاه[٢] .

ولكن الأولى في هذا ترك الخوض في حقيقة أو مجاز ، فلا حاجة بنا إلى تقييد ما أطلقه السلف، بل نؤمن ونسكت، وقولنا في ذلك : حقيقة أو مجازاً ؛ ضربٌ من العِيِّ واللَّكنِ ، فنزجر مَن بحثَ في ذلك ، والله الموفق[٣] .

---

(١) كلام الذهبي رحمه الله هذا حق فيما إذا ثبت الحديث بذلك ، أما إذا كان لا يصح كما هو هنا فلا يتكلف لتأويله وتوجيهه ، فقد أخرجه الخطيب في "تاريخه" : ٣٢٨/٦ ، وابن عدي في "الكامل" : ٢/١٧ من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي ، حدثنا أبو معشر المدائني ، عن محمد بن المكندر ، عن جابر مرفوعاً : ((الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح به عباده)) . وإسحاق بن بشر الكاهلي قال الخطيب : يروي عن مالك وغيره من الرفعاء أحاديث منكرة ، كذبه أبو بكر بن أبي شيبة ، وموسى بن هارون ، وأبو زرعة ، وقال ابن عدي والدارقطني : هو في عداد من يضع الحديث ، وله طريق أخرى لا يفرح بها عند ابن عساكر : ٢/٩٠/١٥ في سندها أبو علي الأهوازي ، وهو متهم ، فالخبر باطل كما قال ابن الجوزي ، وابن العربي .

(٢) لم أتبين من رواه عن ابن جريج حتى انظر فيه ، وقد أخرجه ابن قتيبة هكذا موقوفاً على ابن عباس في " غريب الحديث " : ٣٣٧/٢ ، وفي سنده إبراهيم بن يزيد الخوزي ، وهو متروك.

(٣) السير (٥٢٢/١٩-٥٢٣) .

لا مدح في مثل هذا

وقرأت بخط ابن الأنماطي ، قال لي شيخنا شجاع : كان الشيخ أبو العباس (اللخمي المغربي المقرئ) قد أخذ نفسه بتقليل الأكل ، بحيث بلغ في ذلك الغاية ، وكان يتعجب ممن يأكل ثلاثين لقمة ، ويقول : لو أكل الناس من الضار ما آكل أنا من النافع ما اعتلّوا . قال : وحكى لنا شجاع أن أبا العباس ولدت له بنت ، فلما كبرت أقرأها بالسبع ، وقرأتْ عليه "الصحيحين" وغير ذلك ، وكتبت الكثير ، وتعلمتْ عليه كثيراً من العلم ، ولم ينظر إليها قط ، فسألت شجاعاً : أكان ذلك عن قصدٍ ؟ فقال : كان في أول العُمر اتفاقاً ؛ لأنه كان يشتغل بالإقراء إلى المغرب ، ثم يدخل بيته وهي في مهدها ، وتمادى الحال إلى أن كبرت ، فصارت عادةً ، وزوَّجها ، ودخلت بيتها والأمر على ذلك ، ولم ينظر إليها قط .

قلت : لا مدح في مثل هذا ، بل السنة بخلافه ، فقد كان سيد البشر ﷺ يحمل أُمامة بنت ابنته وهو في الصلاة [١] .

لم يرد فيه ثواب

وفي ترجمة الإمام الحافظ المقرئ العلامة شيخ الإسلام الحسن بن أحمد الهمذاني العطار قال رحمه الله : وكانت السنة شعاره ودثاره اعتقاداً وفعلاً ، بحيث إنه كان إذا دخل مجلسه رجلٌ ، فقدم رجله اليسرى كلفه أن يرجع ، فقدم اليمنى ، ولا يمس الأجزاء إلا على وضوء ، ولا يدع شيئاً قط إلا مستقبل القبلة تعظيماً لها .

قلت : هذا لم يرد فيه ثواب [٢].

---

(١) السير (٢٠/٣٤٧-٣٤٨) .
(٢) السير (٢١/٤٤) .

ما فعلت صلاة الجماعة

وكان ابن الجوزي ذا حظ عظيم وصيت بعيد في الوعظ ، يحضر مجالسه الملوك والوزراء وبعض الخلفاء والأئمة والكبراء ، لا يكاد المجلس ينقص عن ألوفٍ كثيرةٍ ، حتى قيل في بعض مجالسه : إن حُزر الجمع بمئة ألف . ولا ريب أن هذا ما وقع ، ولو وقع ، لما قدر أن يسمعهم ، ولا المكان يسعهم .

قال سبطُه أبو المظفر : سمعت جدِّي على المنبر يقول : بأصبعيّ هاتين كتبتُ ألفي مجلدة وتاب على يدي مئة ألفٍ ، وأسلم على يدي عشرون ألفاً. وكان يختم في الأسبوع ، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس .

قلت : فما فَعَلَتْ صلاةُ الجماعة ؟[1] .

---

(١) السير (٢١/ ٣٧٠) .

ولم يؤذ إمامه

عن مراون بن الحكم : شهدت علياً وعثمان بين مكة والمدينة ، وعثمان ينهى عن المتعة ، وأن لا يُجمع بينهما ، وأبى علي ذلك ، أهلَّ بهما ، فقال : لبيك بعمرةٍ وحجَّةٍ معاً ، فقال عثمان : أنهى الناس ، وأنت تفعله ؟ فقال : لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس .

أخرجه النسائي [١]، وفيه أن مذهب الإمام علي كان يرى مخالفة ولي الأمر لأجل متابعة السنة ، وهذا حسن لمن قوى ، ولم يؤذه إمامه ، فإن آذاه ، فله ترك السنة ، وليس له ترك الفرض ، إلا أن يخاف السيف [٢] .

---

(١) قال شعيب : ١٤٨/٥ في الحج : باب القران ، من طريق إسحاق بن إبراهيم ، عن أبي عامر ، عن شعبة بهذا الإسناد ، ورجاله ثقات ، وأخرج أحمد ٩٢/١ ، بإسناد قوي عن عبد الله بن الزبير ، قال : والله إنا لمع عثمان بن عفان بالجحفة ومعه رهط من أهل الشام فيهم حبيب بن مسلمة الفهري إذ قال عثمان - وذكر له التمتع بالعمرة إلى الحج - : إن أتم للحج والعمرة أن لا يكونا في أشهر الحج ، فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين ، كان أفضل ، فإن الله تعالى قد وسع في الخير ، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه في بطن الوادي يعلف بعيراً ، قال : فبلغه الذي قال عثمان ، فأقبل حتى وقف على عثمان ، فقال : أعمدت إلى سنة سنها رسول الله ﷺ ورخصة رخص الله تعالى بها للعباد في كتابه ، تضيق عليهم فيها ، وتنهى عنها ، وقد كانت لذي الحاجة ولنائي الدار ، ثم أهل بحجة وعمرة معاً ، فأقبل عثمان على الناس رضي الله عنه ، فقال : وهل نهيت عنها ؟ إني لم أنه عنها ، إنما كان رأياً أشرت به ، فمن شاء أخذ به ، ومن شاء تركه .

(٢) السير (٤٠٩/٢١-٤١٠) .

ج- العقيدة

سبيله الإيمان

عن مجاهد، عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعداً. قال : إنما يعني السرير. وقرأ ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ [يوسف : ١٠٠] قال : إنما تفسحت أعواده .

قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره ، فاحتُبِسَ ، فلما خرج ، قيل يا رسول الله ! ما حبسك؟ قال : ضُمَّ سعد في القبر ضمة ، فدعوت الله أن يكشف عنه.

قلت : تفسيره بالسرير ما أدري أهو من قول ابن عمر ، أو من قول مجاهد. وهذا تأويل لا يُفيد . فقد جاء ثابتاً عرش الرحمن وعرش الله ، والعرش خلقٌ لله مسخّر إذا شاء أن يهتز بمشيئة الله ، وجعل فيه شعوراً لحب سعد ، كما جعل تعالى شعوراً في جبل أُحُد بحبه النبي ﷺ. وقال تعالى : ﴿ **يا جبال أوِّبي مَعَه** ﴾ [سبأ : ١٠] وقال : ﴿ **تُسَبِّح لهُ السَّموات السَّبعُ والأرْضُ** ﴾[الإسراء : ٤٤]. ثم عمم فقال : ﴿ **وإنْ مِن شيء إلاّ يُسبِّحُ بِحَمْدِه** ﴾ . وهذا حق . وفي صحيح البخاري قولُ ابن مسعود : كنا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يؤكل[1] . وهذا باب واسع سبيلُه الإيمان [2].

نزاع لفظي

قال معمر : قلت لحماد : كنت رأساً ، وكنت إماماً في أصحابك ، فخالفتهم فصرت تابعاً ، قال : إني أكون تابعاً في الحق خيرُ من أن أكون رأساً في الباطل .

قلت : يشير معمر إلى أنه تحول مُرجئاً إرجاء الفقهاء ، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان ، ويقولون : الإيمان إقرار باللسان ، ويقين في

(١) أخرجه البخاري في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام.
(٢) انظر : السير (١/٢٩٦-٢٩٧) .

القلب ، والنزاع هذا لفظي إن شاء الله ، وإنما غُلُوُّ الإرجاء من قال : لا يضرُّ مع التوحيد ترك الفرائض ، نسأل الله العافية (١) .

آمنا وفوضنا وسلّمنا

قال أبو جعفر العُقيلي في ترجمة عبد الله بن ذكوان : حدثنا مقدام بن داود ، حدثنا الحارث بن مسكين ، وابن أبي الغمر ، قالا : حدثنا ابن القاسم قال : سألت مالكاً عمن يحدِّث بالحديث الذي قالوا : ((**إن الله خلق آدم على صورتِهِ**)) (٢). فأنكر ذلك إنكاراً شديداً ، ونهى أن يتحدث به أحد ، فقيل : إن ناساً من أهل العلم يتحدثون به قال : من هم ؟ قيل : ابن عجلان ، عن أبي الزناد ، فقال : لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء ، ولم يكن عالماً ، ولم يزل أبو الزناد عاملاً لهؤلاء حتى مات ، وكان صاحبه عُمَّال يتبعُهم .

قلت : الخبر لم ينفرد به ابن عجلان ، بل ولا أبو الزناد ، فقد رواه شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد ، ورواه قتادة . عن أبي أيوب المراغي ، عن أبي هريرة ، ورواه ابن لَهيعة ، عن الأعرج وأبي يونس ، عن أبي هريرة ، ورواه معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، وصح أيضاً من حديث ابن عمر ، وقد قال إسحاق بن راهويه عالم خراسان : صح هذا عن رسول الله ﷺ.

فهذا الحديث الصحيح مخرج في كتابي البخاري ومسلم . فنؤمن به ونُفوض ونُسلّم ولا نخوض فيما لا يعنينا مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

(١) السير (٥/٢٣٣) .
(٢) السير (٥/٤٤٩-٤٥٠) .

ولكنـه الـدين

قال أبو توبة الحلبي : حدثنا أصحابنا أن ثوراً لقي الأوزاعي ، فمد يده إليه ، فأبى الأوزاعي أن يمد يده إليه وقال يا ثور ، لو كانت الدنيا ، لكانت المقاربة . ولكنه الدين . وقال أحمد : كان ثور يرى القدر ، وليس به بأس . قال عُبيد الله بن موسى : قال سفيان : اتقوا ثوراً ، لا ينطحكم بقرنه .

قلت : كان ثور عابداً ، ورعاً ، والظاهر أنه رجع ، فقد روى أبو زرعة عن مُنبه بن عثمان ، أن رجلاً قال لثور : يا قدري . قال : لئن كنتُ كما قلت إني لرجل سوء ، وإن كنت على خلاف ما قلت إنك لفي حل [١].

بل لـولا اللّه

عن ابن وهب قال : اهتدينا في العلم بأربعة : اثنان بمصر ، واثنان بالمدينة. عمرو بن الحارث والليث بن سعد بمصر ، ومالك وابن الماجِشون بالمدينة ، لولا هؤلاء لكنا ضالين .

قلت : بل لولا الله ، لكنا ضالين . اللهم لولا أنت ما اهتدينا [٢].

لا حَيْدة عنـه

قال أبو عُبيد : ما أدركنا أحداً يفسّر هذه الأحاديث ، ونحن لا نفسِّرها.

قلت : قد صَنّف أبو عُبيد كتاب " غريب الحديث " وما تعرض لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبداً ، ولا فسّر منها شيئاً . وقد أخبر بأنه ما لحق أحداً يُفسّرها ، فلو كان والله تفسيرها سائغاً ، أو حتماً ، لأوشك أن يكون اهتمامُهم

---

(١) السير (٣٤٤/٦-٣٤٥) . ترجمة المحدث الفقيه ، عالم حمص : ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي .
(٢) السير (٣٥١/٦) .

بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب . فلما لم يعترضوا لها بتأويل ، وأقروها على ما وردت عليه ، عُلم أن ذلك هو الحق الذي لا حَيْدة عنه [(١)].

بئس المقال

عن أبي عَوانة ، قال : دخلت على همام بن يحيى وهو مريض ، أعودُه ، فقال لي : يا أبا عَوانة ، ادْعُ الله أن لا يُميتني حتى يبلغ ولدي الصغار . فقلت : إن الأجل قد فُرغَ منه ، فقال لي : أنت بعدُ في ضلالك .

فقلت : بئس المقالُ هذا ، بل كل شيء بقدر سابق ، ولكن وإن كان الأجل قد فُرغ منه ، فإن الدعاء بطول البقاء قد صح . دعا الرسول ﷺ لخادمه أنس بطول العمر[(٢)]، والله يمحو ما يشاء ويُثْبِتُ . فقد يكون طول العمر في علم الله مشروطاً بدعاء مجاب ، كما أن طيران العمر قد يكون بأسباب جعلها من جَوْر وعسْف ، و((**لا يرُدُّ القضاءَ إلا الدعاءُ**))[(٣)] والكتاب الأول ، فلا يتغير[(٤)].

---

(١) السير (٨/١٦٢) ترجمة الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية الليث بن سعد بن عبد الرحمن .

(٢) متفق عليه .

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧ و٢٨٠ و٢٨٢ ، وابن ماجة (٤٩٢٢)، والطحاوي في "مشكل الآثار" ٤/١٦٩ ، وابن حبان (١٠٩٠)، والحاكم ١/٤٩٣ من حديث ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)) وفي سنده جهالة أو انقطاع ، لكن يشهد لقوله ((لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر)) حديث سلمان عند الترمذي (٢١٤٠)، والطحاوي في "مشكل الآثار" ٤/١٦٩ ، وفي سنده أبو مودود فضة وفيه لين، فالحديث حسن بهذا الشاهد. قال الطحاوي رحمه الله : يحتمل أن يكون الله تعالى إذا أراد أن يخلق نسمة جعل أجلها إن برت كذا وكذا، وإن لم تبركذا وكذا لما هو دون ذلك، وإن كان منها الدعاء رد منها كذا، وإن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا، ويكون ذلك في الصحيفة التي لا يزاد على ما فيها ولا ينقص منها .

(٤) السير (٨/٢١٩-٢٢٠).

نَفيسَة

السيدة المكرمة الصالحة ، ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن السيد سِبطِ النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما ، العلوية الحسنية ، صاحبة المشهد الكبير المعمول بين مصر والقاهرة .

ولي أبوها المدينة للمنصور ، ثم عزله ، وسجنه مدة ، فلما وَلِي المهدي أطلقه ، وأكرمه ، وردت عليه أمواله ، وحج معه . وتحولت هي من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق فيما قيل ، ثم تُوفيت بمصر في شهر رمضان سنة ثمان ومئتين .

ولم يبلغنا كبيرُ شيءٍ من أخبارها .

ولِجَهَلَةِ المصريين فيها اعتقادٌ يتجاوز الوصف ولا يجوز مما فيه من الشرك ، ويسجدون لها ، ويلتمستون منها المغفرة ، وكان ذلك من دسائس دُعاة العُبيدية [١].[٢]

لا إنصاف

قال أحمد بن حنبل : أخبرني رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال : لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث - يعني هذه التي في الرؤية - ثم قال أحمد : كأنه نزع إلى رأي جهم .

---

(١) قال ابن كثير في "البداية "١٠/٢٦٢ : وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً ، ولا سيما عوام مصر ، فإنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفاظاً ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز ، وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالته ، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها ، والمغالاة في البشر حرام ومن زعم أنها تفك من الخشب أو تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك.رحمها الله وأكرمها.

(٢) السير (١٠/١٠٦).

قلت : والمعتزلة تقول : لو أن المحدثين تركوا ألف حديث في الصفات والأسماء والرؤية ، والنزول ، لأصابوا . والقدرية تقول : لو أنهم تركوا سبعين حديثاً في إثبات القدر . والرافضة تقول : لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التي يدعون صحتها ألف حديث ، لأصابوا ، وكثير من ذوي الرأي يردون أحاديث شافه بها الحافظ المفتي المجتهد أبو هريرة رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه ما كان فقيهاً ، ويأتوننا بأحاديث ساقطة ، أو لا يُعرف لها إسنادٌ أصلاً مُحتجين بها .

قلنا : وللكل موقف بين يدي الله تعالى . يا سبحان الله ! أحاديث رؤية الله في الآخرة متواترة ، والقرآن مصدق لها ، فأين الإنصاف ؟ .[1]

ما أبقوا ممكناً

أخبرنا أبو محمد بن عُلوان ، أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، أخبرنا عبد المغيث بن زُهير ، حدثنا أحمد بن عبيد الله ، حدثنا محمد بن علي العُشاري ، أخبرنا أبو الحسن الدارقطني ، أخبرنا محمد بن مَخْلد ، أخبرنا العباس الدُّوري ، سمعت أبا عُبيد القاسم بن سلاَّم - وذكر الباب الذي يُروى فيه الرؤية ، والكرسي موضع القدمين ، ووضع ربُّنا ، وأين كان ربُّنا - فقال : هذه أحاديث صحاح ، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض ، وهي عندنا حقٌّ لا نشك فيها ، ولكن إذا قيل : كيف يضحك ؟ وكيف وضع قدمه ؟ قلنا : لا نفسِّر هذا ، ولا سمعنا أحداً يفسره .

قلت : قد فسر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم ، وما أبقوا ممكناً ، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً ، وهي أهم الدين ، فلو كان تأويلها سائغاً أو حتماً ، لبادروا إليه ، فعُلم قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق ، لا تفسير لها غير ذلك ، فنؤمن بذلك ونسكت اقتداءً بالسلف ، معتقدين أنها صفات لله تعالى ، استأثر الله بعلم حقائقها ، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين ، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين ، فالكتاب

---

(١) السير (١٠/٤٥٥).

والسنة نطق بها، الرسول ﷺ بلغ، وما تعرض لتأويل، مع كون الباري قال: ﴿لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم﴾ [النحل: ٤٤] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص، والله يهدي **من يشاء إلى صراط مستقيم** [١].

مستقر فتواه

قال إسماعيل بن الحسن السراج: سألت أحمد عمن يقول: القرآن مخلوق، قال: كافر، وعمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: جهمي.

وقال صالح بن أحمد: تناهى إلى أبي أن أبا طالب يحكي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق. فأخبرت بذلك أبي، فقال: من حدثك؟ قلت فلان، قال: ابعث إلى أبي طالب، فوجهت إليه، فجاء، وجاء فُوران، فقال له أبي: أنا قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟! وغضب، وجعل يرعد، فقال: قرأت عليك: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١]. فقلت لي: ليس هذا بمخلوق. قال فلم حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق؟ وبلغني أنك كتبت بذلك إلى قوم، فامْحُه، واكتب إليهم أني لم أقله لك. فجعل فوران يعتذر إليه. فعاد أبو طالب، وذكر أنه حكى ذلك، وكتب إلى قوم، يقول: وهمت على أبي عبد الله.

قلت: الذي استقر الحال عليه، أن أبا عبد الله كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع. وأنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي. فكان رحمه الله لا يقول هذا ولا هذا، وربما أوضح ذلك، فقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن فهو جهمي [٢].

(١) السير (١٠/٥٠٥-٥٠٦).
(٢) السير (١١/٢٨٨).

وأيضـاً ..

قال أحمد بن زنجويه : سمعت أحمد يقول : اللفظية شرٌ من الجهمية .

وقال صالح : سمعت أبي ، يقول : الجهمية ثلاث فرق : فرقة قالت : القرآن مخلوق ، وفرقة قالوا : كلام الله وسكتوا ، وفرقة قالوا : لفظُنا به مخلوق ، ثم قال أبي لا يصلى خلف واقفي ، ولا لفظي .

وقال المرُّوزي : أخبرت أبا عبد الله أن أبا شعيب السوسي الرَّقي ، فرق بين بنته وزوجها لما وقف في القرآن ، فقال : أحسن ، عافاه الله ، وجعل يدعو له .

قال : عبد الله بن أحمد : سئل أبي ، وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة ، فقال : من كان منهم يُحسِنُ الكلام ، فهو جهمي .

الحكم بن معبد حدثني أحمد الدروقي ، قلت لأحمد بن حنبل : ما تقول في هؤلاء الذين يقولون : لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فرأيته استوى واجتمع ، وقال : هذا شرٌّ من قول الجهمية . من زعم هذا ، فقد زعم أن جبريل تكلم بمخلوق ، وجاء النبي ﷺ بمخلوق .

فقد كان الإمام لا يرى الخوض في هذا البحث خوفاً من أن يتذرع به إلى القول بخلق القرآن ، والكف عن هذا أولى . آمنا بالله تعالى ، وبملائكته ، وبكتبه ، ورسله ، وأقداره ، والبعث ، والعرض على الله يوم الدين . ولو بسط هذا السطر ، وحرر وقرر بأدلته لجاء في خمس مجلدات ، بل ذلك موجود مشروح لمن رامه ، والقرآن فيه شفاء ورحمة للمؤمنين ، ومعلوم أن التلفظ شيء من كسب القارئ غير الملفوظ ، والقراءة غير الشيء المقروء ، والتلاوة وحُسنها وتجويدها غير المتلو ، وصوت القارئِ من كسبه فهو يحدث التلفظ والصوت والحركة والنطق ، وإخراج الكلمات من أدواته المخلوقة ، ولم يحدث كلمات القرآن ، ولا ترتيبه ، ولا تأليفه ، ولا معانيه .

فلقد أحسن الإمام أبو عبد الله حيث منع من الخوض في المسألة من الطرفين إذ كل واحد من إطلاق الخلقية وعدمها على اللفظ موهم ، ولم يأت به كتاب ولا سنة بل الذي لا نرتاب فيه أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق . والله أعلم[1].

(١) السير (٢٨٩/١١-٢٩٠).

مسألة اللفظ

قال عبدان الأهوازي : كنا لا نصلي خلف هُدبة بن خالد من طول صلاته، يسبح في الركوع والسجود نيفاً وثلاثين تسبيحة ، وكان من أشبه خلق الله بهشام بن عمار لحيته ووجهه ، وكل شيء حتى في صلاته .

قلت : أمَّا قول الإمام فيه : طياش ؛ فلأنه بلغه عنه أنه قال في خطبته : الحمد لله الذي تجلى لخلقه بخلقه . فهذه الكلمة لا ينبغي إطلاقاً ، وإن كان لها معنى صحيح ، لكن يحتج بها الحُلُولي والاتحادي . وما بلغنا أنه سبحانه وتعالى تجلى لشيء إلا لجبل الطور ، فصيره دكاً وفي تجليه لنبينا ﷺ ، اختلاف أنكرته عائشة ، وأثبته ابن عباس [١].

وبكل حال كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل ، وطيه أولى من بثه إلا أن يتفق المعاصرون في على جرح شيخ ، فيعتمد قولهم ، والله أعلم .

وقد روى هشام غير حديث ، عن ابن لَهيعة في كتابه إليه . وحسبك قول أحمد بن أبي الحواري مع جلالته : إذا حدثت ببلدٍ فيه مثل هشام بن عمار يجب للحيتي أن تحلق .

وقال أبو بكر المرُّوذي في كتاب " القصص " : ورد علينا كتاب من دمشق : سل لنا أبا عبد الله ، فإن هشاماً ، قال لفظ جبريل عليه السلام ، ومحمد ﷺ بالقرآن مخلوق . فسألت أبا عبد الله ، فقال : أعرفه طياشاً ، لم يجتر الكرابيسي أن يذكر جبريل ولا محمداً . هذا قد تجهَّم في كلام غير هذا .

قلت : كان الإمام أحمد يسد الكلام في هذا الباب ، ولا يجوزه ، وكذلك كان يبدع من يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، ويضلل من يقول : لفظي بالقرآن قديم ، ويكفر من يقول : القرآن مخلوق . بل يقول : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، وينهى عن الخوض في مسألة اللفظ . ولا ريب أن تلفظنا

---

(١) انظر : تحقيق المسألة في "زاد المعاد" ٣/٣٦ ، ٣٧ .

بالقرآن من كسبنا ، والقرآن الملفوظ المتلو كلام الله تعالى غير مخلوق ، والتلاوة والتلفظ والكتابة والصوت به من أفعالنا ، وهي مخلوقة ، والله أعلم [١].

السكوت أولى

قال المَرُّوذي: ورد علي كتاب من ناحية شيراز أن فضلك قال بناحيتهم: إن الإيمان مخلوق . فبلغني أنهم أخرجوه من البلد بأعوان .

قلت : هذه من مسائل الفضول ، والسكوت أولى ، والذي صح عن السلف وعلماء الأثر أن الإيمان قول وعمل ، وبلا ريب أن أعمالنا مخلوقة ، ولقوله تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [الصافات : ٩٦]. فصح أن بعض الإيمان مخلوق ، وقولنا : لا إله إلا الله ، فمن إيماننا، فتلفظنا بها أيضاً من أعمالنا ، وأما ماهية الكلمة الملفوظة ، فهي غير مخلوقة ؛ لأنها من القرآن. أعاذنا الله من الفتن والهوى [٢].

عفا الله عن الجميع

قال الحاكم : سمعت محمد بن صالح بن هانئ ، سمعت ابن خُزيمة يقول : مَن لم يُقرَّ بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته فهو كافر حلالُ الدَّم ، وكان ماله فَيْئاً .

قلت : من أقرَّ بذلك تصديقاً لكتاب الله ، ولأحاديث رسول الله ﷺ ، وآمن به مفوضاً معناه إلى الله ورسوله ، ولم يخض في التأويل ولا عمَّق ، فهو المسلم المتَّبع ، ومن أنكر ذلك ، فلم يدر بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصر ، والله يعفو عنه ، إذ لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ما ورد في

---

(١) السير (١١/٤٣١-٤٣٢).

(٢) السير (١٢/٦٣٠). ترجمة الإمام الحافظ، المحقق : الفضل ابن عباس الرازي المعروف بـ : بفضلك الصائغ .

ذلك ، ومن أنكر ذلك بعد العلم ، وقفا غير سبيل السلف الصالح ، وتمعقل على النص ، فأمره إلى الله ، نعوذ بالله من الضلال والهوى .

وكلام ابن خزيمة هذا - وإن كان حقاً - فهو فج ، لا تحتمله نفوس كثير من متأخري العلماء .

ولابن خُزيمة عظمة في النفوس ، وجلالةٌ في القلوب لعلمه ودينه ، واتباعه السنة .

وكتابه في "التوحيد" مجلد كبير ، وقد تأوَّل في ذلك حديث الصورة [١] ، فليعذر من تأول بعض الصفات ، وأما السلف ، فما خاضوا في التأويل ، بل آمنوا وكفُّوا ، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله ، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه ، وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه ، وبدعناه ، لقل من يسلم من الأئمة معنا . رحم الله الجميع بِمَنِّهِ وكرمه [٢].

يدخل الجنة

عن عثمان رضي الله عنه ، عن النبيﷺ : ((**مَن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**)) [٣].

قلت : يدخل الجنة على ما كان منه من خير وشر ، وعلى ما يتم عليه من تعذيب أو عفو [٤].

---

(١) حديث الصورة ، أخرجه البخاري في "صحيحه" في أول الاستئذان ، ومسلم في الجنة وأحمد : ٣١٥/٢ ، وابن خزيمة في "التوحيد" ٣٩-٤٠ ...

(٢) السير (١٤/٣٧٣-٣٧٦).

(٣) إسناده صحيح ، وأخرجه أحمد ٦٩/١ ، ومسلم في الإيمان من طريق ابن علية بهذا الإسناد والوليد بن مسلم : هو أبو البشر البصري التميمي العنبري .

(٤) السير (١٦/٢٨٧).

د- الصحابة « رضي الله عنهم »

محبون لهم

عن منصور بن عبد الرحمن ، سمعت الشَّعبي يقول : أدركت خمس مئة أو أكثر من الصحابة يقولون : عليٌّ ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير في الجنة .

قلت : لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن البدريين ، ومن أهل بيعة الرضوان ، والسابقين الأولين الذين أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه ؛ ولأن الأربعة قُتلوا ، ورزقوا الشهادة ، فنحن محبون لهم ، باغضون للأربعة الذي قتلوا الأربعة [1].

وقعة اليمامة

عن المبارك : أنبأنا هشام ، عن أبيه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير : ألا تشد فنشد معك ؟ قال : إني إن شددت ، كذبتم ، فقالوا : لا نفعل . فحمل عليهم حتى شق صفوفهم ، فجاوزهم وما معه أحد ، ثم رجع مقبلاً ، فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين ، ضربة على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر . قال عروة : فكنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير ، قال : وكان معه عبد الله بن الزبير وهو ابن عشر سنين ، فحمله على فرس ، ووكل به رجلاً [2].

قلت : هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله ، فإن عبد الله كان إذا ذاك ابن عشر سنين [3].

---

(١) السير (١/٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي : باب قتل أبي جهل .

(٣) السير (١/٦٢-٦٣).

معاذ الله

عن الحسن قال : لما ظفر عليٌّ بالجمل ، دخل الدار والناس معه ، فقال علي : إني لا أعلم قائد فتنة دخل الجنة ، وأتباعه إلى النار ! فقال الأحنف : من هو ؟ قال الزبير .

في إسناده إرسال ، وفي لفظه نكارة ، فمعاذ الله أن نشهد على أتباع الزبير، أو جند معاوية أو علي بأنهم في النار ، بل نُفوض أمرهم إلى الله ، ونستغفر لهم . بلى الخوارج كلاب النار ، وشر قتلى تحت أديم السماء : لأنهم مرقوا من الإسلام ، ثم لا ندري مصيرهم إلى ماذا ، ولا نحكم عليهم بخلود النار ، بل نقف .

المعـــثـر

قال ابن المديني : سمعت سفيان يقول : جاء ابن جُرموز إلى مصعب بن الزبير - يعني لما ولي إمرة العراق لأخيه الخليفة عبد الله بن الزبير - فقال : أقدني بالزبير ، فكتب في ذلك يُشاور ابن الزبير ، فجاءه الخبر : أنا أقتل ابن جُرموز بالزبير ؟ ولا بِشِسْع نعله .

قلت : أكل المُعثر يديه ندماً على قتله ، واستغفر ، لا كقاتل طلحة ، وقاتل عثمان ، وقاتل علي << رضي الله عنهم >> [1].

(١) السير (١ / ٦٤).

كلهم عدول

... فأصحاب رسول الله ﷺ وإن كانوا عدولاً فبعضهم أعدل من بعض وأثبت . فهنا عمر قنع بخبر عبد الرحمن ، وفي قصة الاستئذان[١] يقول : ائت بمن يشهد معك ، وعلي بن أبي طالب يقول : كان إذا حدثني رجل عن رسول الله ﷺ ، استحلفتُه ، وحدثني أبو بكر ، وصدق أبو بكر . فلم يحتَجْ علي أن يستحلف الصديق ، والله أعلم [٢].

كرامة مشتركة

عن ابن المسيب أن رجلاً كان يقع في علي وطلحة والزبير ، فجعل سعد ينهاه ويقول : لا تقع في إخواني ، فأبى ، فقام سعد ، وصلى ركعتين ودعا ، فجاء بُختي يشق الناس ، فأخذه بالبلاط ، فوضعه بين كركرته والبلاط حتى سحقه ، فأنا رأيت الناس يتبعون سعدا يقولون : هنيئاً لك يا أبا إسحاق ! استجيب دعوتك [٣].

قلت : هذه كرامة مشتركة بين الداعي والذين نيل منهم [٤].

---

(١) عن بسر بن سعيد ، قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : كنت جالساً بالمدينة في مجلس الأنصار ، فأتانا أبو موسى فزعاً - أو مذعوراً - قلنا : ما شأنك ؟ قال إن عمر أرسل إلي أن آتيه ، فأتيت بابه ، فسلمت ثلاثاً فلم يرد علَي ، فرجعت. فقال : ما منعك أن تأتينا ؟ فقلت : إني أتيتك ، فسلمت على بابك ثلاثاً فلم يردوا علي ، فرجعت ، وقد قال رسول الله ﷺ : ((إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)). فقال عمر : أقم عليه البينة وإلا أوجعتك. فقال أبيّ بن كعب لا يقوم معه إلا أصغر القوم . قال أبو سعيد : قلت : أنا أصغر القوم . قال : فاذهب به . رواه أحمد والشيخان وأهل السنن ، وفي رواية : فقال عمر لأبي موسى : أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ .

(٢) السير (١/٧٧٣).

(٣) رواه الطبراني من طريق : ابن عون ، عن محمد بن محمد بن الأسود عن عامر بن سعد قال : ... وذكره الهيثمي في "المجمع" ونسبه للطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح . والبختي : نسبة إلى البخت ، وهي الإبل الخرسانية تنتج من عربي ودخيل ، والكركرة : رحي زور البعير.

(٤) السير (١/١١٦).

كبير الشأن

وروى عن عمر بن الحكم : عن عوانة قال : دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية ، فلم يسلم عليه بالإمرة ، فقال معاوية : لو شئت أن تقول غيرها لقلت ، قال : فنحن المؤمنون ولم نؤمرك ، فإنك معجب بما أنت فيه ، والله ما يسرني أني على الذي أنت عليه وأني هرقت محجمة دم .

قلت : اعتزل سعد الفتنة ، فلا حضر الجمل ولا صِفّين ولا التحكيم ، ولقد كان أهلاً للإمامة ، كبير الشأن ، رضي الله عنه [١].

صدق والله

حماد بن سلمة : عن سِماك ، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص أنه قال : كان رأس أبي في حجري ، وهو يقضي ، فبكيت ، فرفع رأسه إلي ، فقال : أي بني ما يبكيك ؟ قلت : لمكانك وما أرى بك . قال : لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً . وإني من أهل الجنة .

قلت : صدق والله ، فهنيئاً له [٢].

قد غُفرت

وفي ترجمة مسطح بن أثاثة رضي الله عنه قال رحمه الله :

إياك ياجري[٣] أن تنظر إلى هذا البدري شزراً لهفوة بدت منه ، فإنها قد غُفرت ، وهو من أهل الجنة ، وإياك يا رافضي[٤] أن تلوح بقذف أم المؤمنين بعد نزول النص في براءتها فتجب لك النار [٥].

---

(١) السير (١/١٢٢).
(٢) السير (١/١٢٢).
(٣) سهل همزة جريء لتتسق السجعة مع البدري ، وهو على فعيل من جرؤ : إذا هجم على الأمر بدون توقف .
(٤) انظر في سبب تسميتهم بذلك " مقالات الإسلاميين " ١/ ٨٩ لأبي الحسن الأشعري .
(٥) السير (١/١٨٨).

المحمدي

وفي ترجمة زيد بن حارثة رضي الله عنه قال الذهبي :

الأمير الشهيد النبوي ، المسمى في سورة الأحزاب، أبو أسامة الكلبي ، ثم المحمدي ، سيد الموالي ، وأسبقهم إلى الإسلام ، وحِبُ رسول الله ﷺ، وأبو حِبِّه، وما أحب ﷺ ، إلا طيباً ، ولم يُسَمِّ الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة وعيسى بن مريم عليه السلام الذي ينزل حكما مُقْسِطاً ويلتحق بهذه الأمة المرحومة في صلاته وصيامه وحجه ونكاحه وأحكام الدين الحنيف جميعا ، فكما أنَّ أبا قاسم سيد الأنبياء وأفضلهم وخاتمهم ، فكذلك عيسى بعد نزوله أفضل هذه الأمة مطلقاً ، ويكون ختامَهم ، ولا يجيء بعدَه مَن فيه خير ، بل تطلع الشمس من مغربها ، ويأذن الله بدنو الساعة [1].

شأو لا يُلْحق

وكانت - يعني عائشة رضي الله عنها- امرأة بيضاء جميلة . ومن ثم يقال لها : الحُميراء . ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها ، ولا أحب امرأة حبها . ولا أعلم في أمة محمد ﷺ ، بل ولا في النساء مطلقاً ، امرأة أعلم منها . وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها . وهذا مردود ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، بل نشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة ، فهل فوق ذلك مفخر ، وإن كان للصديقة خديجة شأوٌ لا يُلحق ، وأنا واقف في أيتهما أفضل . نعم جزمت بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها .

---

(١) السير (١/ ٢٢٠).

وعن عائشة، قالت : قال رسول الله ﷺ: ((**أُرِيتُكِ في المنام ثلاث ليال، جاء بك المَلَكُ في سَرَقة من حرير[١]، فيقول : هذه امرأتك . فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه . فأقول : إن يك هذا من عند الله يُمْضِه**))[٢].[٣]

وإن رغمت أنوف

وكان تزويجه ﷺ [بعائشة رضي الله عنها] إثر وفاة خديجة ، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد ، ثم دخل بسودة ، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر . فما تزوج بكراً سواها ، وأحبها حباً شديداً كان يتظاهر به ، بحيث إن عمرو بن العاص ، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة ، سأل النبي ﷺ : أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال : ((عائشة)) قال فمن الرجال ؟ قال : ((أبوها)) [٤].

وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض ، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً . وقد قال : ((**لو كنت متخذا خليلاً من هذه الأمة ، لأتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام أفضل**)) فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبَيْ رسول الله ﷺ ، فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله .

وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً ، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقرباً إلى مرضاته [٥].

---

(١) السرقة بفتح السين والراء والقاف : هي القطعة ، وفي مطبوعة دمشق "خرقة" وهي عند ابن حبان كما في "الفتح" ١٥٦/٩ .

(٢) البخاري في مناقب الأنصار : باب تزويج النبي ﷺ عائشة ، في النكاح : باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ، في التعبير : باب كشف المرأة في المنام ، وباب ثياب الحرير في المنام ، ومسلم في فضائل الصحابة .

(٣) السير (١٤٠/٢) : ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي : باب قول النبي ((لو كنت متخذاً خليلاً)) في المغازي : باب غزوة ذات السلاسل ، ومسلم في فضائل الصحابة .

(٥) السير (١٤٠/٢-١٤٢).

غـيرة

قالت عائشة : ما غِرتُ على امرأة ما غِرتُ على خديجة من كثرةِ ما كان رسول الله ﷺ يذكرها[١].

قلت : وهذا من أعجب شيء[٢] أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز تُوفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة بمُديدة ، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ ، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي ﷺ ، لئلا يتكدر عيشهما . ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ لها وميله إليها . فرضي الله عنها وأرضاها .

وعن عائشة قالت : دخلت امرأة سوداء على النبي ﷺ فأقبل عليها . قالت : فقلت : يا رسول الله ، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال : ((**إنها كانت تدخل على خديجة ، وإن حُسنَ العهد من الإيمان**))[٣].[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب تزويج خديجة وفضلها ، ومسلم في فضائل الصحابة .

(٢) علق الشوكاني رحمه الله على هذا الموطن فقال : سبب الغيرة ما كانت تسمعه من ثناء رسول الله ﷺ على خديجة ، وتفخيمه لشأنها كما سبق في ترجمتها رضي الله عنها ، فلا عجب إذن.

(٣) رجاله ثقات وهو في المصنف .

(٤) السير (٢/ ١٦٥).

أسودٌ أفطس

عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن النبي ﷺ أخر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة ينتظره ، فجاء غلام أسود أفطس ، فقال أهل اليمن : إنما جلسنا لهذا ! فلذلك ارتدوا . يعني أيام الردة [(١)].

وقال وكيع : سلم من الفتنة من المعروفين : سعد ، وابن عمر ، وأسامة ابن زيد ، ومحمد بن مَسلمة .

قلت : انتفع أسامة من يوم النبي ﷺ ، إذ يقول له : ((**كيف بلا إله إلا الله يا أسامة**)) فكف يده ، ولزم منزله ، فأحسن .

عن عائشة ، قالت : أراد رسول الله ﷺ أن يمسح مخاط أسامة ، فقلت : دعني حتى أكون أنا التي أفعل. فقال : ((**يا عائشة، أحبيه، فإني أحبه**))[(٢)].

قلت : كان سنه في سنها [(٣)].

---

(١) قال الارنؤوط : رجاله ثقات ، ويزيد هو ابن هارون . والخبر في طبقات ابن سعد ٦٣/٤ ، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢٠/٢ من طريق عياش بن عباس ، عن عيسى بن موسى ، عن محمد بن إياس بن بكير ، عن أسامة بن زيد .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨١٨) في المناقب ، من طريق الفضل بن موسى ، عن طلح بن يحيى ، عن عائشة بنت طلح ، عن عائشة ، وهذا سنده حسن .

(٣) السير (٢/٥٠٠-٥٠١) .

ملوك الصحابة

عن عبد الله بن عمرو ، قال : زوَّجني أبي امرأة من قريش ، فلما دخلت علي ، جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة ، فجاء أبي إلى كنَّته ، فقال : كيف وجدت بعلك ؟ قالت خير رجل من رجل لم يفتش لها كنفاً ، ولم يقرب لها فراشاً ، قال : فأقبل علَي ، وعضني بلسانه ، ثم قال : أنكحك امرأة ذات حسب ، فعضلتها وفعلت ، ثم انطلق ، فشكاني إلى النبيﷺ ، فطلبني ، فأتيته ، فقال لي: ((أتصوم النهار وتقوم الليل))؟ فقلت : نعم . قال : **((لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأمس النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني))** [1].

قلت : ورث عبد الله من أبيه قناطير مقنطرة من الذهب المصري ، فكان من ملوك الصحابة [2].

---

(١) رجاله ثقات ، وأخرجه أحمد في " المسند " ١٥٨/٢ بهذا الإسناد ، وأخرجه البخاري : في فضائل القرآن بأخصر مما هنا من طريق موسى بن إسماعيل ، عن أبي عوانة ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : ((أنكحني أبي امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كنته ، فيسألها عن بعلها ، فتقول : نعم الرجل من رجلٍ لم يطأ لنا فراشاً ، ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه)) فلما طال ذلك عليه ، ذكر للنبي ﷺ ، فقال : القني به .... والكنة : زوج الولد ، وقولها : ((لم يفتش لنا كنفاً)) : الكنف : الجانب ، أرادت أنه لم يقربها ، ولم يطلع منها على ماجرت به عادة الرجال مع نسائهم . واسم المرأة : أم محمد بنت محمية بن جزْء الزبيدي حليف قريش ، ذكرها الزبير.

(٢) السير (٩٠/٣) .

الله الموعد

قال خليفة : ثم جمع عمر الشام كلها لمعاوية ، وأقره عثمان [١].

قلت : حسبُك بمن يؤمره عمر ، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه ، ويقوم به أتم قيام ، ويُرضي الناس بسخائه وحلمه ، وإن كان بعضهم تألم مرة منه ، وكذلك فليكن الملك . وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيراً منه بكثير وأفضل وأصلح ، فهذا الرجل ساد ، وساس العالم بكمال عقله ، وفرط حلمه ، وسعة نفسه ، وقوة دهائه ، ورأيه . وله هناتٌ وأمور ، والله الموعد .

وكان محبباً إلى رعيته .عمل نيابة الشام عشرين سنة ، والخلافة عشرين سنة ، ولم يهجه أحد في دولته ، بل دانت له الأمم ، وحكم على العرب والعجم ، وكان ملكه على الحرمين ، ومصر ، والشام ، والعراق ، وخراسان ، وفارس ، والجزيرة ، واليمن ، والمغرب ، وغير ذلك [٢].

---

(١) "تاريخ خليفة" : ١٥٥ ، ١٧٨ .
(٢) السير (١٣٣/١٣٢/٤).

أول الملوك

قال الزبير بن بكار : كان معاوية أول من اتخذ الديوان للختم ، وأمر بالنيروز والمهرجان ، واتخذ المقاصير في الجامع ، وأول من قتل مسلماً صبراً[(١)] ، وأول من قام على رأسه الحرس ، وأول من قيدت بين يديه الجنائب ، وأول من اتخذ الخُدّام الخصيان في الإسلام ، وأول من بلّغ درجات المنبر خمس عشرة مرقاة ، وكان يقول : أنا أول الملوك .

قلت : نعم . فقد روى سفينة عن رسول الله ﷺ ، قال : ((**الخلافة بعدي ثلاثون سنة . ثم تكون ملكاً**))[(٢)]. فانقضت خلافة النبوة ثلاثين عاماً ، وولي معاوية ، فبالغ في التجمل والهيئة ، وقل أن بلغ سلطانٌ إلى رتبته ، وليته لم يعهد الأمر إلى ابنه يزيد ، وترك الأمة من اختياره لهم .... عن ابن عباس ، قال لما احتضر معاوية ، قال : إني كنت مع رسول الله ﷺ على الصفا ، وإني دعوت بمشقص ، فأخذت من شعره ، وهو في موضع كذا وكذا، فإذا أنا متُّ، فخذوا ذلك الشعر، فاحشوا به فمي ومنخري[(٣)] .. .

عن خالد بن معدان ، قال : وفد المقدام بن معدي كرب ، وعمرو بن الأسود ، ورجل من الأسد له صحبة إلى معاوية . فقال معاوية للمقدام : توفي الحسن ، فاسترجع . فقال : أتراها مصيبة ؟ قال : ولم لا ؟ وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره وقال : هذا مني ، وحسين من علي. فقال للأسدي : ما تقول أنت ؟ قال جمرة أُطفئت . فقال المقدام : أنشدك الله ! هل سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن لبس الذهب والحرير ، وعن جلود السباع والركوب عليها ؟ قال :

---

(١) يريد حجر بن عدي وأصحابه .

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٢٠ ، و٣٣١ ، وغيره وسنده حسن وصححه ابن حبان والحاكم ٣/٧١ ووافقه الذهبي . انظر السير ٣/١٥٧ .

(٣) رجاله ثقات خلا علي بن عاصم - وهو الواسطي - فإنه يخطئ ويصر على خطئه . وتقصيره عن رسول الله ﷺ شعره بمشقص ثابت عند البخاري ٣/٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ومسلم (١٢٤٦) ، والمشقص : نصل السهم إذا كان طويلاً ليس بعريض .

نعم . قال : فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك . فقال معاوية : عرفت أني لا أنجو منك [١].

إسناده قوي .

ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم ، وما هو ببريءٍ من الهنات ، والله يعفو عنه [٢].

متيقن

قال أبو جعفر الباقر : كان الحسن والحسين لا يريان أُمَّهات المؤمنين . فقال ابن عباس : إنَّ رؤيتهن حلالٌ لهما .

قلت : الحلُّ مُتيقّن [٣].

نحبهم و نكف عما شجر

قال وكيع : حسن بن صالح عندي إمام . فقيل له : إنه لا يترحَّم على عثمان . فقال : أفتترحَّمُ أنت على الحجَّاج ؟ .

قلت : لا بارك الله في هذا المثال . ومراده : أنَّ ترك التَّرحم سكوت ، والسَّاكت لا يُنْسب إليه قول ، ولكن من سكت عن ترحم مثل الشَّهيد أمير المؤمنين عثمان ، فإن فيه شيئاً من تشيُّع ، فمن نطق فيه بغضٍّ وتنقُّص وهو شيعي جلد يُؤدب ، وإن ترقَّى إلى الشيخين بذم ، فهو رافضي خبيث ، وكذا من تعرض للإمام علي بذم ، فهو ناصبي [٤] يُعزَّر فإن كفَّره ، فهو خارجي مارق ، بل سبيلُنا أن نستغفر للكل ونحبهم ، ونكف عما شجر بينهم [٥].

---

(١) رجاله ثقات إلا أن فيه تدليس بقية ، وهو في سنن أبي داود (٤١٣١) في اللباس مطولاً ، وأخرج الإمام أحمد ٤/١٣٢ أوله إلى قوله : ((من علي)) وقد صرح فيه بقية بالتحديث .

(٢) السير (١٥٧-١٥٩).

(٣) السير (٣ -٢٦٥).

(٤) ناصبي : أي مبغض لعلي -رضي الله عنه -

(٥) السير (٧ / ٣٦٩-٣٧٠).

أمة خلت رضي الله عنها

قال حفص بن غياث ؛ من طريق علي بن خشرم ، عنه : سمعتُ شريكاً يقول : قُبض النبي ﷺ، واستخار المسلمون أبا بكر ، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضلُ منه كانوا قد غَشُّونا ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، فقام بما قام به من الحق والعدل ، فلما حضرته الوفاة ، جعل الأمر شورى بين ستة فاجتمعوا على عثمان ، فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غَشُّونا .

قال علي بن خشرم : فأخبرني بعضُ أصحابنا من أهل الحديث ، أنه عرض هذا على عبدالله بن إدريس ، فقال ابن إدريس : أنت سمعت هذا من حفص ؟ قلتُ : نعم قال : الحمد لله الذي أنطق بهذا لسانه ، فوالله إنه لشِيعيٌّ ، وإن شريكاً لشيعيٌّ .

قلت : هذا التشيُّع الذي لا محذور فيه إن شاء الله إلا من قبيل الكلام فيمن حارب علياً رضي الله عنه من الصحابة ، فإنه قبيحٌ يُؤدب فاعله . ولا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير ، ونترضى عنهم ، ونقول : هم طائفةٌ من المؤمنين بغت على الإمام عليٍ ، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمَّار : ((**تقتُلك الفئةُ الباغيةُ**)) [١]. فنسأل الله أن يرضى عن الجميع ، وألاّ يجعلنا ممن في قلبه غلٌ للمؤمنين . ولا نرتابُ أن علياً أفضلُ ممن حاربه ، وأنه أولى بالحقَّ رضي الله عنه [٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٦) في الفتن .

(٢) السير (٨/٢٠٩ - ٢١٠).

الخطب يسير

قال الدارقطني : اختلف قومٌ من أهل بغداد ، فقال قوم : عثمان أفضل ، وقال قوم : عليٌّ أفضل ، فتحاكموا إليَّ ، فأمسكتُ ، وقلت : الإمساك خيرٌ، ثم لم أر لديني السكوت ، وقلت للذي استفتاني : ارجع إليهم ، وقل لهم : أبو الحسن يقول : عثمانُ أفضلُ من عليٍّ باتِّفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ ، هذا قولُ أهل السنّة ، وهو أول عقد يحل في الرّفض .

قلت : ليس تفضيل عليٍّ برفضٍ ولا هو ببدعة ، بل قد ذهب إليه خلقٌ من الصحابة والتابعين ، فكلٌّ من عثمان وعليٍّ ذو فضلٍ وسابقة وجهاد ، وهما متقاربان في العلم والجلالة ، ولعلَّهما في الآخرة مُتساويان في الدرجة ، وهما من سادة الشُّهداء رضي الله عنهما ، ولكنّ جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي وإليه نذهب . والخطب في ذلك يسير ، والأفضل منهما بلا شكٍّ أبو بكر وعمر ، من خالف في ذا فهو شِيعيٌّ جلد ، ومن أبغض الشَّيخين واعتقد صحة إمامتهما فهو رافضي مقيت ، ومن سبَّهما واعتقد أنهما ليسا بإمامي هُدى فهو من غُلاة الرَّافضة ، أبعدهم الله [1].

(١) السير (١٦/٤٥٧-٤٥٨) ترجمة الإمام الحافظ المجود شيخ الإسلام علم الجهابذة : علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ، من أهل محلة دار القطن ببغداد .

هـ- البلاء والابتلاء

بلاء عظيم

قال محمد بن عبد الوهاب الفراء : سمعت علي بن عثّام يقول : قال إبراهيم الصائغ : لما رأيتُ العرب وصنيعها خفتُ ألا يكون لله فيهم حاجة ، فلما سلط الله عليهم أبا مسلم الخراساني رجوتُ أن تكون لله فيهم حاجة .

قلت : كان أبو مسلم بلاء عظيماً على عرب خُراسان ، فإنه أبادهم بحدِّ السيف [١].

خير له

قال ابن سعد : حدثنا الواقديُّ قال : لما دُعي مالكٌ ، وشُوور ، وسُمِعَ منه ، وقُبل قَوله ، حُسِد ، وبغوه بكل شيء ، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة ، سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده ، وقالوا : لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، وهو يأخذ بحديثٍ رواه عن ثابت بن الأحنف في الطلاق المُكْرَه : أنه لا يجوز عنده ، قال : فغضب جعفرٌ ، فدعا بمالك ، فاحتجَّ عليه بما رُفع إليه عنه ، فأمر بتجريده ، وضربه بالسياط ، وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه ، وارتُكب منه أمرٌ عظيم ، فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلوّ .

قلت : هذا ثمرةُ المحنة المحمودة ، أنها ترفع العبد عند المؤمنين ، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا ، ويعفو الله عن كثير ، ((**ومن يُرد الله به خيراً يُصِب منهُ**)) [٢] ، وقال النبي ﷺ : ((**كل قضاء المؤمن خيرٌ له**)) [٣] وقال الله تعالى :

---

(١) السير (٦/ ٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري في أول كتاب المرضى من حديث أبي هريرة ، وأكثر العلماء ضبطوا الصاد بالكسر ، والفاعل هو الله ، قال أبو عبيد الهروي : معناه : يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها .

(٣) قطعة من حديث أخرجه أحمد في ((مسنده)) ٥/ ٢٤ من حديث أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((عجباً للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيراً له)) وسنده جيد.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتَّى نَعْلَمَ المُجاهدينَ منكُم والصَّابرينَ﴾ [محمد : ٣٣١] ، وأنزل تعالى في واقعة أحد قوله : ﴿ أو لَمَّا أصَابتكُمْ مُصِيبةٌ قد أصبتُم مِثليْها قُلتُمْ أنَّى هذا ، قُلْ هو من عِنْدِ أنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

وقال : ﴿ وما أصابَكُمْ منْ مُصِيبة فبما كسبتْ أيْديكمْ ويعفُو عن كثيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] . فالمؤمن إذا امتُحن صبر واتعظ ، واستغفر ولم يتشاغلْ بذمٍّ من انتقم منه ، فاللهُ حكمٌ مقسطٌ ، ثم يحمدُ الله على سلامةِ دينه ، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهونُ وخيرٌ له [1].

---

(١) السير (٨/٨٠ - ٨١) .

لا حــــرج

قال سعيد بن عمرو البرذَعي : سمعتُ الحافظ أبا زرعة الرازي ، يقول : كان أحمد بن حمبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التّمَّار ، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحد ممن امتحن فأجاب .

قلت : هذا أمر ضيق ولا حرج على من أجاب في المحنة ، بل ولا على من أُكره على صريح الكفر عملاً بالآية . وهذا هو الحق . وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة ، فخاف من سطوة الدولة ، وأجاب تقية [1].

اللَّه يعلم

وعن محمد بن مُصعب العابد ، قال : لسوطٌ ضُرِبَه أحمد بن حنبل في الله أكبرُ من أيام بشر بن الحارث .

قلت : بشر عظيم القدر كأحمد ، ولا ندري وزن الأعمال ، إنما الله يعلمُ ذلك [2].

---

(١) السير (١١/ ٨٧) .
(٢) السير (١١/ ٢٠١) .

كـــلا

وأخبرنا المرُّوذي : قلت لأبي عبدالله : ما أكثر الداعين لك ! قال : أخافُ أن يكون هذا استدراجاً بأي شيء هذا ؟ وقلتُ له : قدم رجل من طَرسُوس ، فقال : كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل ، رفعوا أصواتهم بالدعاء ، ادعوا لأبي عبدالله ، وكنا نَمُدُّ المنجنيق ، ونرمي عن أبي عبدالله. ولقد رُمي عنه بحجر ، والعِلج على الحصن مترس بدَرَقة فذهب برأسه وبالدراقة . قال : فتغير وجه أبي عبدالله ، وقال : ليته لا يكون استدراجاً .

قلت : كلا [1].

أخاف داود

الحسن بن محمد بن عثمان الفَسَوِيُّ : حدثنا داود بن عَرَفة ، حدثنا ميمون بن أصبُغ ، قال : كنت ببغداد ، وامتحن أحمد . فأخذتُ مالاً له خطر ، فذهبت به إلى من يدخلني إلى المجلس . فأُدخِلتُ ، فإذا السيوف قد جُردت ، وبالرماح قد ركزت ، وبالتّراس قد صُفّفَت ، وبالسِّياط قد وُضِعت . وألبسْتُ قباءً أسود ومِنْطَقَةً وسيفاً. ووُقِّفْتُ حيث أسمع الكلام. فأتى أمير المؤمنين ، فجلس على الكرسي . وأُتِيَ بأحمد ، فقال له : وقرابتي من رسول الله ﷺ لأضربنك بالسياط ، أو تقول كما أقول . ثم التفت إلى الجلّاد فقال : خذه إليك ، فأخذه ، فلما ضُرب سوطاً ، قال : بسم الله ، فلما ضُرب الثاني ، قال : لاحول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضُرب الثالث ، قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع ، قال : ﴿ **قُلْ لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ [التوبة : ٥١] ، فضُرب

---

(١) السير (١١/ ٢١٠) .

تسعة وعشرين سوطاً . وكانت تِكَّتُهُ حاشية ثوبٍ ، فانقطعت ، فنزل السراويل إلى عانته. فقلتُ : الساعة ينهتِكُ ، فرمى بطرفه إلى السماء ، وحرَّك شفتيه ، فما كان بأسرع من أن بقي السراويل لم ينزل. فدخلت عليه بعد سبعة أيام ، فقلت : يا أبا عبدالله ! رأيتك وقد انحل سراويلك ، فرفعت طرفك نحو السماء ، فما قلت ؟ قال : اللهم أسألك باسمك الذي ملأت به العرش ، إن كنت تعلم أني على الصواب ، فلا تهتك لي ستراً .

هذه حكاية منكرة ، أخاف أن يكون داود وضعها [1].

قبحها الله

وفي ترجمة الإمام الحافظ المتقن العالم إبراهيم بن سعيد النعماني قال رحمه الله : وكانت الدولة الباطنيةُ قد منعوه من التحديث ، وأخافوه ، وهدَّدوه ، فامتنع من الرواية ، ولم ينتشر له كبيرُ شيء .

قال القاضي أبو علي الصَّدفي : منعتُ من الدخول إليه إلا بشرط أن لا يُسمعني ، ولا يكتب إجازة ، فأوَّلُ ما فاتحته الكلام خلَّط في كلامه ، وأجابني على غير سؤالي حذراً من أكون مدسوساً عليه ، حتى بسطته ، وأعلمته أني أندلسي أريد الحج ، فأجاز لي لفظاً ، وامتنع من غير ذلك .

قلت : قبَّح الله دولة أماتت السنة ورواية الآثار النبوية ، وأحيتِ الرفض والضلال ، وبثَّتْ دعاتها في النواحي تغوي الناس ، ويدعونهم إلى نحلة الإسماعيلية، فبهم ضلت جبليَّةُ الشام ، وتعثروا ، فنحمد الله على السلامة في الدين [2].

---

(١) السير (١١/ ٢٥٤ - ٢٥٥) .
(٢) السير (١٨/ ٤٩٧) .

قال أبو الوقت السِّجْزي : دخلت نيسابور ، وحضرت عند الأستاذ أبي المعالي الجُويني ، فقال : من أنت ؟ قلتُ : خادم الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري فقال : رضي الله عنه .

قلت : اسمع إلى عقل هذا الإمام ، ودع سبَّ الطَّغام ، إن هم إلا كالأنعام(١).

---

(١) السير (١٨ / ٥١٣) ، ترجمة الإمام القدوة الحافظ الكبير إسماعيل الأنصاري عبد الله بن محمد بن علي مصنف كتاب ذم الكلام وشيخ خراسان .

ليسا سواء

قال الإمام أبو شامة : قيل : إنه قدم بغداد ، (الطوسي) فكان يركبُ بالسنجق والسيوف المسلّلة والغاشية والطوق في عنق البغلة ، فمنع من ذلك ، فسافر إلى مصر ، ووعظ ، وأظهر مقالة الأشعري ، فثارت الحنابلةُ ، وكان يجري بينه وبين زين الدِّين ابن نُجية كبيرهم العجائب والسبُّ .

قال : وبلغني أنه سئل : أيما أفضل دمُ الحسين ، أو دمُ الحلاَّج ؟ فاستعظم ذلك ، قالوا : فدمُ الحلاَّج كتب على الأرض : الله ، الله ، ولا كذلك دم الحسين ؟! قال : المتَّهم يحتاج إلى تزكيةٍ !

قلت : لم يصحَّ هذا عن دم الحلاَّج ، وليسا سواء : فالحسين رضي الله عنه شهيدٌ قُتل بسيف أهل الشرِّ ، وأما الحلاَّج فقُتل على الزندقة بسيف أهل الشرع[1].

(١) السير (٢١ / ٣٨٨) . ترجمة الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الشافعية محمد بن محمود الخراساني الطوفي .

و- القلوب وأعمالها

العمل الخالص

لم يكن سعيد بن زيد متأخراً عن رتبة أهل الشورى في السابقة والجلالة، وإنما تركه عمر، رضي الله عنه، لئلا يبقى له فيه شائبة حظ، لأنه ختنه وابن عمه، ولو ذكره في أهل الشورى لقال الرافضي: حابى ابن عمه. فأخرج منها ولده وعصبته. فكذلك فليكن العمل لله [١].

ندامة كلّية

عن عاصم بن كليب، عن أبيه: قال: انتهينا إلى علي رضي الله عنه، فذكر عائشة، فقال: خليلةُ رسولِ الله ﷺ.

هذا حديث حسن. ومُصعب فصالحٌ لا بأس به. وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة مع ما وقع بينهما، فرضي الله عنهما. ولا ريب أن عائشة ندمت ندامة كُلّية على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر ما يبلغ. فعن عُمارة بن عُمير، عمن سمع عائشة: إذا قرأت: ﴿ **وقَرْنَ في بُيُوتكُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣] بكت حتى تبل خمارها [٢].

---

(١) انظر السير (١/ ١٣٨)، ترجمة سعيد بن زيد بن عمر أحد المشهود لهم بالجنة والبدري السابق رضي الله عنه.

(٢) السير (٢/ ١٧٦ - ١٧٧).

الحُمَّى

عن أبي سعيد قال: قال أُبيٌّ : يا رسول الله ﷺ ! ما جزاء الحُمَّى ؟ قال : ((تُجري الحسنات على صاحبها)) . فقال : اللهم إني أسألك حُمَّى لا تمنعني خروجاً في سبيلك . فلم يُمسِ أُبيٌّ قط إلا وبه الحُمى [١].

قلت : ملازمة الحمى له حرفت خُلقُه يسيراً ، ومن ثم يقول زر بن حبيش : كان أُبيٌّ فيه شَراسة [٢].

ما منعك أن تنهاني ؟

عن قيس ، قال : قالت عائشة - وكانت تُحدِّث نفسها أن تدفن في بيتها ، فقالت : إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً ، ادفنوني مع أزواجه . فدفنت بالبقيع رضي الله عنها [٣].

قلت : تعني بالحدث : مسيرها يوم الجمل ، فإنها ندمت ندامة كلية ، وتابت من ذلك : على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير ، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وجماعة من كبارالصحابة ، رضي الله عن الجميع

عن ابن أبي عتيق ، قال : قالت عائشة : إذا مر ابن عمر ، فأرُونيه . فلما مر بها قيل لها : هذا ابن عمر . فقالت : يا أبا عبد الرحمن ، ما منعك أن تنهاني عن مسيري ؟ قال : رأيت رجلاً قد غلب عليك - يعني ابن الزبير [٤].

وقد قيل : إنها مدفونة بغربي جامع دمشق . **وهذا** غلط فاحش ، لم تقدم - رضي الله عنها - إلى دمشق أصلاً ، إنما هي مدفونة بالبقيع [٥].

---

(١) أحمد ٣/٢٣ ، وصححه ابن حبان ٦٩٢ ...
(٢) انظر السير (١ / ٣٩٢) .
(٣) السير (٢/ ١٩٣) .
(٤) ذكره الزيلعي في ((نصب الراية)) ٤/ ٧٠ ، ونسبه لابن عبد البر في ((الاستيعاب)) .
(٥) السير (٢/١٩٣) .

ديوان الرياء

روى مُقاتل بن حيَّان ، عن ابن بُريدة ، عن أبيه ، قال : شهدتُ خيبر ، وكنت فيمن صعد الثّلمة ، فقاتلت حتى رئي مكاني ، وعليّ ثوب أحمر ، فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنباً أعظم عليّ منه أي : الشهرة .

قلت : بلى ، جُهالُ زماننا يعدُّون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد ؛ وبكل حال فالأعمال بالنيات ، ولعل بريدة رضي الله عنه بإزرائه على نفسه ، يصير له عمله ذلك طاعة وجهاداً ! وكذلك يقع في العمل الصالح ، ربما افتخر به الغرُّ ونوّه به ، فيتحول إلى ديوان الرياء . قال الله تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** ﴾ [الفرقان : ٢٣] [1].

المجذوم

الفرارُ من المجذوم ، وترك مؤاكلته جائز ، لكن لِيكن ذلك بحيث لا يكاد يشعر المجذوم ؛ فإنَّ ذلك يحزنه . ومن واكله - ثقة بالله وتوكلاً عليه - فهو مؤمن[2].

هضم النفس

قال عبدالله بن بكر المزني : سمعت إنساناً يُحدث عن أبي أنه كان واقفاً بعرفة ، فرقّ فقال : لولا أني فيهم لقلت : قد غُفر لهم .

قلت : كذلك ينبغي للعبد أن يزري على نفسه ويهضمها [3].

---

(١) السير (٢/ ٤٧٠) .

(٢) السير (٢/ ٤٩٣) .

(٣) السير (٤/ ٥٣٤) .

مغرور قد أمِن

قال سعيد بن عامر : قيل : إن يونس بن عُبيد الله قال : إني لأعد مئة خصلة من خصال البر، ما فيَّ منها خصلة واحدة ، ثم قال سعيد ، عن جَسْر أبي جعفر قال : دخلت على يونس بن عُبيد أيام الضحى ، فقال : خذ لنا كذا وكذا من شاة . ثم قال : والله ما أُراه يُتقبلُ مني شيءٌ . قد خشيتُ أن أكون من أهل النار .

قلت : كل من لم يخش أن يكون في النار ، فهو مغرور قد أمِن مكر الله به[1].

بُعداً له

قال عبدالرزاق : أنبأنا معمر قال : كان يقال : إن الرجل يطلب العلم لغير الله ، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله .

قلت : نعم ، يطلبه أولاً والحامل له حب العلم ، وحب إزالة الجهل عنه ، وحب الوظائف ونحو ذلك ، ولم يكون علم وجوب الإخلاص فيه ، ولا صدق النية ، فإذا علم حاسب نفسه وخاف من وبال قصده فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم وعلامة ذلك أنه يُقصر من الدَّعاوى وحب المناظرة ومن قصد التكثر بعلمه ويزري على نفسه ، فإن تكثر بعلمه أو قال : أنا أعلم من فلان فبعداً له[2].

---

(١) السير (٦/ ٢٩١) .

(٢) السير (٧/ ١٧) ، ترجمة الإمام الحافظ شيخ الإسلام معمر بن راشد .

الداء المزمن

عن طالوت قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : ما صدق الله عبدٌ أحبَّ الشُّهرة .

قلت : علامة المخلص الذي قد يحب شهرة ، ولا يشعر بها ، أنه إذا عُوتب في ذلك ، لا يحرد ولا يُبرئ نفسه ، بل يعترف ، ويقول : رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي ، ولا يكون معجباً بنفسه ؛ لا يشعر بعيوبها ، بل لا يشعر أنه لا يشعر ، فإن هذا داء مزمن [١].

خشيةٌ وحزن

قال عمرو بن زرارة النيسابوري : صحبتُ ابن عُليَّة أربع عشرة سنة ، فما رأيته تبسم فيها .

قلت : ما في هذا مدح ، ولكنه مؤْذِن بخشيةٍ وحزن [٢].

---

(١) السير (٧/ ٣٩٣).
(٢) السير (٩/ ١٠٩).

الخمول

قال المرُّوذي : سمعت أبا عبدالله ذكر أخلاق الورعين ، فقال : أسألُ الله أن لا يمقتنا . أين نحن من هؤلاء ؟ !! .

قال إبراهيم الحربي : كان أحمد يجيب في العرس والختان ، ويأكل . وذكر غيره أن أحمد ربما استعفى من الإجابة . وكان إن رأى إناء فضة أو منكراً ، خرج . وكان يحب الخمول والانزواء عن الناس ، ويعود المريض ، وكان يكره المشي في الأسواق ، ويُؤثر الوحدة.

قال أبو العباس السراج : سمعت فتح بن نوح ، سمعت أحمد بن حنبل ، يقول : أشتهي ما لا يكون ، أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس .

قال الميموني : قال أحمد : رأيت الخلوة أروح لقلبي .

وقال المرُّوذي : قال لي أحمد : قل لعبد الوهاب : أخمِل ذكرك ، فإني أنا قد بُليت بالشهرة .

وقال محمد بن الحسين بن هارون : رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق ، يكره أن يتبعه أحد .

قلت : إيثار الخمول والتواضع ، وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح [١].

---

(١) السير (١١ / ٢٢٦).

ثم يدركه الموت

قال الحاكم : سمعتُ الحسين بن أحمد الماسرجسي ، يحكي عن جده وغيره، قال : كان الحسن والحسين ابنا عيسى يركبان معاً ، فيتحير الناس من حسنهما وبزتهما ، فاتفقا على أن يُسلِما ، فقصدا حفص بن عبدالرحمن ، فقال : أنتُما من أجلّ النصارى ، وابن المبارك قادمٌ ليحج ، فإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين ، وأرفع لكما ، فإنه شيخ المشرق . فانصرفا عنه ، فمرض الحسين ، فمات نصرانياً ، فلما قدم ابن المبارك ، أسلم الحسنُ على يده .

قلت : يبعد أن يأمرهما حفص بتأخير الإسلام ، فإنه رجل عالم .

فإن صح ذلك فموت الحسين مريداً للإسلام ، منتظراً قدوم ابن المبارك ليُسلم نافعٌ له [1].

نقص علم و سوء قصد

قال ابن فارس في بعض أماليه : سمعت أبا الحسن القطّان بعد ما عَلَتْ سنُّه ، يقول : كنت حين رحلتُ أحفظ مئة ألف حديث ، وأنا اليوم لا أقوم على مئة حديث .

وسمعته يقول : أُصبت ببصري ، وأظنُّ أني عوقبت بكثرة كلامي أيام الرحلة .

---

(١) السير (١٢/ ٢٨) ، ترجمة الإمام المحدث الثقة الجليل الحسن بن عيسى بن ماشرجس .

قلت : صدق والله ، فقد كانوا مع حسن القصد ، وصحة النية غالباً، يخافون من الكلام . وإظهار المعرفة والفضيلة ، واليوم يكثرون الكلام مع نقص العلم ، وسوء القصد . ثم إن الله يفضحهم ، ويلوح جهلهم وهواهم واضطرابهم فيما علموه . فنسأل الله التوفيق والإخلاص [١].

دعنا عنك

أخبرنا أحمد بن إسحاق ، أخبرنا الفتح بن عبد السلام ، أخبرنا محمد بن عمر ، وأبو غالب محمد بن علي ، ومحمد بن أحمد الطَّرائفي قالوا : أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد، أنبأنا أبو الفضل عُبيدالله بن عبدالرحمن، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي ، حدثنا بقية ، حدثناصفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر ، حدثني جُبير بن نُفَير ، أنه سمع أبا الدرداء ، وهو في آخر صلاته ، وقد فرغ من التشهد ، يتعوذ بالله من النفاق. فأكثر التعوذ منه . فقال جبير : وما لك يا أبا الدرداء أنت والنفاق ؟! فقال : دعنا عنك ، دعنا عنك . فوالله إن الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه . إسناده صحيح .

ومن النفاق الأصغر الرجل يتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالاً ، ولا يظن أنها تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفاً .

وأما النفاق الأكبر ، وإن كان الرجل يعلم من نفسه أنه مسلم ، فعليه أن يتعوذ بالله من النفاق والشرك ، فإنه لا يدري بما يختم له ، فربما أصبح مؤمناً وأمسى كافراً ، نعوذ بوجه الله الكريم من ذلك [٢].

(١) السير (١٥/٤٦٤ - ٤٦٥) .
(٢) السير (٦/٣٨٢ - ٣٨٣) .

معتقد حسن

قال ابن الجوزي : ذكر لنا أبو بكر القاضي أن منجمين حضرا عند ولادتي ، فأجمعا على أن العمر اثنتان وخمسون سنة ، فها أنا قد جاوزت التسعين .

قلت : هذا يدل على حسن معتقده [١].

فالله يغفر له

قال القفطي : آخر ما كان الكندي ببغداد في سنة ثلاث وستين [٢]. وسكن حلب مدة ، وصحِبَ بها الأمير حسن ابن الداية النوري واليها . وكان يبتاع الخليع [٣] من الملبوس ويتجر به إلى الروم . ثم نزل دمشق وسافر مع فروخشاه إلى مصر ، واقتنى من كتب خزائنها عندما أُبيعت. إلى أن قال : وكان ليناً في الرواية ، معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ، وإذا نوظر جبه بالقبيح ، ولم يكن موفق القلم، رأيت له أشياء باردة ، واشتهر عنه أنه لم يكن صحيح العقيدة .

قلت : ما علمنا إلا خيراً ، وكان يحب الله ورسوله وأهل الخير ، وشاهدت له فتيا في القرآن تدل على خير وتقدير جيد ، لكنها تخالف طريقة أبي الحسن ، فلعل القفطي قصد أنه حنبلي المعتقد ، وهذا شيء قد سمُج القول فيه ، فكل من قصد الحق من هذه الأمة فالله يغفر له ، أعاذنا الله من الهوى والنفس [٤].

(١) السير (٢٠/٢٦) .

(٢) وخمس ومئة .

(٣) الخليع من الثياب : الخلق .

(٤) السير (٢٢ / ٣٨ - ٣٩) ترجمة الشيخ الإمام العلامة المفتي شيخ الحنفية وشيخ العربية وشيخ القراءات ومسند الشام زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي .

ز- العلم والعلماء

ويتضمن :

١- العمل بالعلم

٢- الإنصاف

٣- الأقران

٤- متفرقات

١- العمل بالعلم

ثمرة العلم

بلغنا عنه (الهمداني) أنه سجد لله حتى أكل التراب جبهته .

سفيان بن عيينة : سمعت عطاء بن السائب يقول : رأيت مصلى مُرَّة الهمداني مثل مبرك البعير . ونقل عطاء أو غيره أنَّ مُرَّة كان يصلي في اليوم والليلة ست مئة

قلت : ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لنشر العلم ، ولهذا لم تكثر روايته ، وهل يراد من العلم إلا ثمرته ؟ [١].

حجة الله على العالِم

قال مالك بن مِغْول : سمعت الشعبي يقول : ليتني لم أكن علمتُ مِنْ ذا العلم شيئاً .

قلت : لأنه حجة على العالِم ، فينبغي أن يعمل به ، وينبه الجاهل ، فيأمره وينهاه ، ولأنه مظنّة أن لا يخلص فيه ، وأن يفتخر به ويماري به ، لينال رئاسةً ودنيا فانية [٢].

---

(١) السير (٤/٧٥) ترجمة العابد العالم مُرَّة بن شراحيل الهمداني .
(٢) السير (٤/ ٣٠٣) .

النفس .. النفس

عن البُناني ، قال : كان الحسن في المجلس ، فقيل لأبي العلاء يزيد بن عبدالله بن الشِّخِّير : تكلم ؛ فقال : أوَهناك أنا ، ثم ذكر الكلام ومؤنته .

قلت : ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد فإن أعجبه كلامه فليصمت ، فإن أعجبه الصمت فلينطق ، ولا يفتر عن محاسبة نفسه ، فإنها تحب الظهور والثناء [(١)].

هذا الظنّ بهما

ضمرة عن ابن شوْذب ، سمعتُ يونس وابن عون اجتمعا ، فتذاكرا الحلال والحرام فكلاهما قال : ما أعلم في مالي درهماً حلالاً .

قلت : والظن بهما أنهما لا يعرفان في مالهما أيضاً درهماً حراماً [(٢)].

---

(١) السير (٤/٤٩٤) .

(٢) السير (٦/ ٢٩٣) .

هلاك المحدث

قال أبو أسامة : سمعت سفيان يقول : ليس طلب الحديث مِن عدة الموت ، لكنّه علةٌ يتشاغل به الرجُل .

قلت : يقول هذا مع قوله للخريبي : ليس شيء أنفع للناس من الحديث؟!

وقال أبو داود : سمعت الثوري يقول : ما أخاف على شيء أن يُدخلني النار إلا الحديث .

وعن سفيان قال : وددت أني قرأتُ القرآن ، ووقفت عنده لم أتجاوز إلى غيره . وعن سفيان قال : من يزدد علماً يزدد وجعاً ، ولو لم أعلم كان أيسر لحزني .

وعنه قال : وددت أن علمي نسخ من صدري ، ألست أريد أن أُسأل غداً عن كل حديث رويته : أيْش أردت به ؟ قال يحيى القطّان : كان الثوري قد غلبت عليه شهوة الحديث ، ما أخاف عليه إلا من حبه للحديث .

قلت : حبُّ ذات الحديث ، والعمل به لله مطلوب من زاد المعاد ، وحب روايته وعواليه والتكثر بمعرفته وفهمه مذموم مَخُوف ، فهو الذي خاف منه سفيان ، والقطان ، وأهل المراقبة ، فإن كثيراً من ذلك وبال على المحدِّث [1].

---

(١) السير (٧/٢٥٥ - ٢٥٦) .

فمن الذي يسلم

قال أبو عُبيد ، وابن المديني ، وابن معين ، وابن نمير ، والبخاري ، وآخرون : مات (الفضيل بن عياض) سنة سبع بمكة . زاد بعضهم في أول المحرم.

قلت : وله نيف وثمانون سنة ، وهو حجة كبير القدر . ولا عبرة بما نقله أحمد بن أبي خيثمة ، سمعت قطبة بن العلاء يقول : تركت حديث فضيل بن عياض ، لأنه روى أحاديث أزرى على عثمان بن عفان .

قلت : فلا نسمع قول قطبة ، ليته اشتغل بحاله ، فقد قال البخاري : فيه نظر ، وقال النسائي وغيره : ضعيف . وأيضاً فالرجل صاحب سنّة واتّباع .

قال أحمد بن أبي خيثمة : حدثنا عبد الصمد بن يزيد الصائغ ، قال : ذكر عند الفضيل - وأنا أسمع - الصحابة ، فقال : اتبعوا فقد كُفيتم : أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

قلت : إذا كان مثل كبراء السابقين الأولين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج ، ومثل الفضيل يتكلم فيه ، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس ، ولكن إذا ثبت إمامة الرجل وفضله ، لم يضرَّه ما قيل فيه ، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع .

وأما قول ابن مهدي : لم يكن بالحافظ ، فمعناه : لم يكن في علم الحديث كهؤلاء الحفاظ البحور ، كشعبة ، ومالك ، وسفيان ، وحماد ، وابن المبارك ، ونظرائهم ، لكنه ثبت قيِّم بما نقل ، ما أُخذ عليه في الحديث فيما علمت .

وهل يراد من العلم إلا ما انتهى إليه الفضيل رحمة الله عليه ؟ [1].

---

(١) السير (٨/ ٤٤٨) .

من حب الدراهم

قال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدثنا حرملة : سمعت ابن وهب يقول : نذرت أني كلما اغتبت إنساناً أن أصوم يوماً ، فأجهدني ، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنساناً أن أتصدق بدرهم ، فمن حب الدراهم تركتُ الغِيبة .

قلت : هكذا والله كان العلماء وهذا هو ثمرة العلم النافع [١].

ابنُ المَوَّاز

الإمام ، العلامة فقيه الدِّيار المصرية ، أبو عبدالله ، محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني المالكي ، ابن الموَّاز ، صاحب التَّصانيف .

انتهت إليه رِئاسة المذهبِ ، والمعرفة بدقيقه وجليله ، وله مصنفٌ حافل في الفقه .

وقيل : إنه انملس ، وتزهَّد ، وانزوى ببعض الحصون الشامية ، في أواخر عمره ، حتى أدركه أجله - رحمه الله تعالى - .

وكذا ، فلتكن ثمرة العلم [٢].

(١) السير (٩/ ٢٢٨) ، ترجمة الإمام شيخ الإسلام الحافظ عبدالله بن وهب بن مسلم الفهري
(٢) السير (١٣/ ٦) .

علماء السوء

قال الأوزاعي بعث عبدالله بن علي إليَّ ، فاشتدَّ ذلك عليّ ، وقدمتُ ، فدخلت ، والناس سمطان ، فقال : ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه ؟ قلتُ : أصلح الله الأمير ! قد كان بيني وبين داود بن علي مودّة قال : لتخبرنّي . فتفكرت ، ثم قلتُ : لأصدقنّه ، واستبسلتُ[1] للموت ، ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث ((الأعمال بالنيات)) ، وبيده قضيب ينكتُ به ، ثم قال : يا عبد الرحمن : ما تقول في قتل أهل هذا البيت ؟ قلتُ : حدثني محمد ابن مروان ، عن مطرِّف بن الشِّخِّير ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : ((**لا يحل قتل المسلم إلا في ثلاث** ...)) وساق الحديث . فقال : أخبرني عن الخلافة ، وصية لنا من رسول الله ﷺ ؟ فقلت : لو كان وصية من رسول الله ﷺ ما ترك عليٌّ رضي الله عنه أحداً يتقدمه . قال : فما تقول في أموال بني أميَّة ؟ قلت : إن كانت لهم حلالاً ، فهي عليك حرام ، وإن كانت عليهم حراماً ، فهي عليك أحرم . فأمرني ، فأُخرجتُ .

قلت : قد كان عبدالله بن علي ملكاً جباراً ، سفاكاً للدماء ، صعب المراس ، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمرِّ الحق كما ترى ، لا كخلق من العلماء السُوء ، الذين يحسنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف ، ويقلبون لهم الباطل حقاً - قاتلهم الله - أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق[2]..

(١) يقال : أبسل نفسه للموت ، واستبسل : إذا وطّن نفسه عليه واستيقن .

(٢) السير (٧/١٢٤ - ١٢٥)، ترجمة شيخ الإسلام عالم أهل الشام عبدالرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي .

فلله دره

قال عبدالرحمن بن داود بن منصور الفارسي: سمعت حفص بن عمر قال: ما رأيت مثل قَبِيصة ، ما رأيته متبسماً قط ، من عباد الله الصالحين .

قلت : كذا كان والله أهل الحديث ، العلم والعبادة ، واليوم فلا علم ولا عبادة ، بل تخبيط ولحن ، وتصحيف كثير ، وحفظ يسير ، وإذا لم يرتكب العظائم ، ولا يخلُّ بالفرائض ، فلله درُّه [1].

والله ولا أنا

روى محمد بن سعد ، عن عُبيد الله العيشي [2] قال : كان هشام الدَّسْتُوائي إذا فقد السراج من بيته ، يتململُ على فراشه ، فكانت امرأته تأتيه بالسراج . فقالت له في ذلك ، فقال : إني إذا فقدت السراج ، ذكرت ظلْمة القبر.

وقال شاذ بن فياض : بكى هشام الدَّسْتُوائي حتى فسدت عينه ، فكانت مفتوحة ، وهو لا يكاد يبصر بها .

وعن هشام قال : عجبت للعالِم كيف يضحك . وكان يقول : ليتنا ننجو لا علينا ولا لنا .

قال عون بن عمارة : سمعت هشاماً الدَّسْتُوائي يقول : والله ما أستطيع أن أقول : إني ذهبت يوماً قط أطلب الحديث أُريد به وجه الله عز وجل .

قلت : والله ولا أنا . فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا ، وصاروا أئمة يقتدى بهم ، وطلبه قومٌ منهم أولاً لا لله ، وحصّلوه ، ثم استفاقوا ، وحاسبوا أنفسهم ، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق ، كما قال

---

(١) السير (١٠/١٣٤) .

(٢) العيشي : نسبة إلى جدته عائشة بنت طلحة .

مجاهد وغيره : طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ، ثم رزق الله النية بعد ، وبعضهم يقول : طلبنا هذا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله . فهذا أيضاً حسن . ثم نشروه بنية صالحة .

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا ، وليثنى عليهم ، فلهم ما نووا : قال عليه السلام : ((**من غزا ينوي عقالاً فله ما نوى**))[1]. وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور العلم ، ولا لهم وقعٌ في النفوس ، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل ، وإنما العالم من يخشي الله تعالى .

وقوم نالوا العلم وولوا به المناصب ، فظلموا ، وتركوا التقيُّد بالعلم وركبوا الكبائر والفواحش ، فتباً لهم ، فما هؤلاء بعلماء !

وبعضهم لم يتق الله في علمه ، بل ركب الحيل ، وأفتى بالرُّخَص ، وروى الشاذ من الأخبار . وبعضهم اجترأ على الله ، ووضع الأحاديث ، فهتكه اللهُ وذهب علمه ، وصار زاده إلى النار وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئاً كبيراً ، وتضلعوا منه في الجملة ، فخَلَف من بعدهم خلف بانَ نقصهم في العلم والعمل ، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظَّاهر ، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير ، أوهموا به أنهم علماء فضلاء ، ولم يدر في أذهانهم أنهم يتقربون به إلى الله ، لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم ، فصاروا همجاً رعاعاً ، غاية المدرس منهم أن يحصل كتباً مثمَّنةً يخزنها وينظرُ فيها يوماً ما ، فيصحف ما يورده ولا يُقرِّره . فنسأل الله النجاة والعفو ، كما قال بعضهم : ما أنا عالمٌ ولا رأيت عالماً[2].

---

(١) أخرجه أحمد : ٣١٥/٥ ، والدارمي : ٢٠٨/٢ ، والنسائي : ٢٤/٦ ، من حديث عبادة ابن الصامت ، مرفوعاً ، بلفظ : ((من غزا في سبيل الله ، ولم ينو إلا عقالاً ، فله ما نوى)). وفي سنده يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات.

(٢) السير (١٥٢/٧ - ١٥٣) .

٢- الإنصاف:

الإنصاف والاعتدال

خلف معاوية خلقٌ كثير يُحبونه ويتغالون فيه ويُفضلونه ، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء ، وإماًّ قد ولدوا في الشام على حُبِّه ، وتربِّي أولادهم على ذلك . وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة ، وعددٌ كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق ، ونشؤوا على النصب ، ونعوذ بالله من الهوى . كما قد نشأ جيش علي رضي الله عنه ، ورعيته - إلا الخوارج منهم - على حبه والقيام معه ، وبغض من بغى عليه والتبرؤ منهم ، وغلا خلق منهم في التشيع . فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم ، لا يكاد يشاهد فيه إلا غالياً في الحب ، مفرطاً في البغض ، ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال ؟ فنحمد الله على العافية الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق ، واتضح من الطرفين ، وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين ، وتبصرنا ، فعذرنا ، واستغفرنا ، وأحببنا باقتصاد ، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة ، أو بخطأ إن شاء الله مغفور ، وقلنا كما علمنا الله ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قُلُوبنا غِلاً للذين آمنوا** ﴾ [الحشر : ١٠] وترضينا أيضاً عمن اعتزل الفريقين ، كسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وسعيد بن زيد ، وخلق . وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا علياً ، وكفروا الفريقين . فالخوارج كلاب النار ، قد مرقوا من الدين ، ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار ، كما نقطع به لعبدة الأصنام والصلبان [1].

---

(١) السير (١٢٨/٣) .

نحبه في الله

وفي ترجمة الإمام السيد أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ولد زين العابدين قال رحمه الله : كان أحدَ مَنْ جمع بين العلم والعمل والسؤدُد ، والشرف ، والثقة والرزانة ، وكان أهلاً للخلافة . وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين . فلا عصمة إلا للملائكة والنبيين ، وكل أحد يصيب ويخطئ ، ويؤخذ من قوله ويترك سوى النبي ﷺ فإنه معصوم ، مؤيد بالوحي .

وشَهِر أبو جعفر بالباقر ، مِنْ : بَقَرَ العلمَ ، أي شَقَّهُ فعرف أصلَهُ وخفيَّه. ولقد كان أبو جعفر إماماً ، مجتهداً ، تالياً لكتاب الله ، كبير الشأن ، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه ، ولا في الفقه درجة أبي الزناد ، وربيعة ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب . فلا نحابيه ، ولا نحيف عليه ، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال .

قال ابن الفضيل ، عن سالم بن أبي حفصة : سألت أبا جعفر وابنه جعفراً عن أبي بكر وعمر ، فقالا لي : يا سالم ، تولهما وابرأ من عدوِّهما ، فإنهما كانا إمامي هدى .

كان سالم فيه تشيع ظاهر ، ومع هذا فيُبُثُّ هذا القول الحق ؛ وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل ، وكذلك ناقلها ابن الفضيل ، شيعي ثقة . فعثَّر الله شيعة زماننا ما أغرقهم في الجهل والكذب ، فينالون من الشيخين وزيري المصطفى ﷺ ويحملون هذا القول من الباقر والصادق على التقية [1].

(١) السير (٤/ ٤٠٢ - ٤٠٣) .

بهوىً و حيفٍ

عن يحيى بن معين قال : إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة ، وفي حماد بن سلمة ، فاتَّهِمْه على الإسلام .

قلت : هذا محمولٌ على الوقوع فيهما بهوىً وحيف في وزنهما ، أما من نقل ما قيل في جرحهما وتعديلهما على الإنصاف ، فقد أصاب ، نعم إنما قال يحيى هذا في معرض رواية حديث خاص في رؤية الله تعالى في المنام ، وهو حديث يستنكر . وقد جمع ابن مندة فيه جزءاً سماه : ((صحة حديث عكرمة))[1].

فكان ماذا ؟

قال أبو بكر بن خلاد : سمعت يحيى بن سعيد القطان - وذكر حسين المعلم - فقال : فيه اضطراب .

قلت : الرجل ثقة .وقد احتج به صاحبا ((الصحيحين)) ومات في حدود سنة خمسين ومئة . وذكر له العقيلي حديثاً واحداً تفرد بوصله ، وغيره من الحفاظ أرسله . فكان ماذا ؟ فليس من شرط الثقة أن لا يغلط أبداً فقد غلط شعبة ، ومالك، وناهيك بهما ثقة ونبلاً ، وحسين المعلم ممن وثقه يحيى بن معين، ومن تقدم مطلقاً ، وهو من كبار أئمة الحديث . والله أعلم [2] .

(١) السير (٣١/٥) .
(٢) السير (٣٤٦/٦) .

أمر لا شك فيه

قال علي بن عاصم : لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه ، لرجح عليهم ..

وقال حفص بن غياث : كلام أبي حنيفة في الفقه ، أدق من الشعر ، لا يعيبه إلا جاهل .

وروي عن الأعمش أنه سئل عن مسألة ، فقال : إنما يحسن هذا النعمان بن ثابت الخزاز ، وأظنه بورك له في عمله .

وقال جرير : قال لي مغيرة : جالس أبا حنيفة تفقه ، فإن إبراهيم النخعي لو كان حياً لجالسه ، وقال ابن المبارك : أبو حنيفة أفقه الناس .

وقال الشافعي : الناس في الفقه عيال على ابن حنيفة .

قلت : الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام . وهذا أمر لا شك فيه .

وليس يَصِحُّ في الأذهان شيءٌ إذا احْتاج النهار إلى دليلِ

وسيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين ، رضي الله عنه ، ورحمه .

توفي شهيداً مسقياً في سنة خمسين ومئة . وله سبعون سنة [1].

---

(١) السير (٦/٤٠٣) .

لأنهم متقنون

قال ابن المديني : سمعت يحيى يقول : كان سفيان يحمل على عبد الحميد، فكلمته فيه ، فقلت : ما شأنه ؟ ثم قال يحيى : ما أدري ما شأنه وشأنه .

ونقل عباس عن ابن معين ، قال : كان يحيى بن سعيد يضعف عبد الحميد بن جعفر ، وقد روى عنه .

قال ابن معين : كان عبدالحميد ثقة يرمى بالقدر .

قلت : لقد لُطخ بالقدر جماعة ، وحديثهم في ((الصحيحين)) ، أو أحدهما ، لأنهم موصوفون بالصدق والإتقان [1].

هشام صادق

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو بكر بن خلاَّد الباهلي ، سمعت يحيى بن سعيد يقول : سمعت هشام بن عروة يقول : حدَّث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر ، والله إنْ رآها قط .

قلت : هشامٌ صادق في يمينه ، فما رآها ، ولا زعم الرجل أنه رآها ، بل ذكر أنها حدثته ، وقد سمعنا من عدة نسوة وما رأيتهن . وكذلك روى عدةٌ من التابعين عن عائشة ، وما رأوا لها صورةً أبداً .

قال عبد الله بن أحمد : فحدثتُ أبي بحديث ابن إسحاق ؛ فقال : ولِمَ يُنْكِرُ هشام ؟ لعله جاء ، فاستأذن عليها ، فأذنت له - يعني ولم يعلم - .

قال الأثرم : سألت أبا عبد الله عن ابن إسحاق ، فقال : هو حسن الحديث ، ثم قال : وقال مالك ، وذكره فقال : دجَّال من الدَّجاجلة .

---

(١) السير (٧/ ٢١) ، ترجمة الإمام المحدث الثقة عبدالحميد بن جعفر الأنصاري .

قال الخطيب : ذكر بعضهم : أن مالكاً عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة .

قلت : كلاَّ ، ما عابهم إلا وهم عنده بخلاف ذلك ، وهو مثابٌ على ذلك ، وإن أخطأ اجتهاده ، رحمة الله عليه [1].

نعوذ بالله من الهوى

قال العُقيلي : حدَّثني الفضل بن جعفر ، حدثَّنا عبد الملك بن محمد ، حدثني سليمان بن داود ، قال لي يحيى القطان : أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب . قلت وما يدريك ؟ قال : قال لي وُهيب . فقلت لوُهيب : وما يدريك ؟ قال : قال : لي مالك ابن أنس . فقلت لمالك : وما يدريك ؟ فقال : قال لي هشام ابن عروة . قلت لهشام : وما يدريك ؟ قال : حدَّث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر ، ودخلت علي وهي ابنة تسع سنين ، وما رآها حتى لقيت الله .

قلت : معاذ الله أن يكون يحيى وهؤلاء بدا منهم هذا بناء على أصل فاسد واه ، ولكن هذه الخرافة من صنعة سليمان ، وهو الشَّاذكوني - لا صبحه الله بخير - فإنه مع تقدمه في الحفظ متهم عندهم بالكذب ، وانظر كيف قد سلسل الحكاية . ويبين لك بطلانها أن فاطمة ابنة المنذر لما كانت بنت تسع سنين لم يكن زوجها هشام خلق بعد ، فهي أكبر منه بنيف عشرة سنة ، وأسند منه ، فإنها روت ، كما ذكرنا ، عن أسماء بنت أبي بكر ، وصح أن ابن إسحاق سمع منها ، وما عرف بذلك هشام .. أفبمثل هذا القول الواهي يكذّب الصادق ؟ كلاَّ والله ! نعوذ بالله من الهوى والمكابرة ، ولكن صدق القاضي أبو يوسف إذ يقول : من تتبع غريب الحديث كذب ، وهذا من أكبر ذنوب ابن إسحاق ، فإنه يكتب عن كل أحد ، ولا يتورع سامحه الله.

---

(١) السير (٧/ ٣٨).

وعن يحيى بن سعيد ، قلت لهشام : ابن إسحاق يحدث عن فاطمة بنت المنذر . قال : أهو كان يصل إليها ؟.

قلت : ويحتمل أن تكون إحدى خالات ابن إسحاق من الرضاعة ، فدخل عليها وما علم هشام بأنها خالة له أو عمة [1].

لهما شأو

قال ضَمْرة : سمعت مالكاً يقول : إنما كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ، ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري . وكان سفيان يقول : مالكٌ ليس له حفظ .

قلت : هذا يقوله سفيان لقوة حافظته بكثرة حديثه ورحلته إلى الآفاق وأما مالك ، فله إتقان وفقه ، لا يدرك شأوهُ فيه ، وله حفظ تام ، فرضي الله عنهما [2] .

(١) السير (٧/ ٤٩ - ٥٠) .
(٢) السير (٧/ ٢٧٠) .

زُفر بن الهذيل

قال أبو نُعيم : كنت أمرُّ على زُفر ، فيقول : تعال حتى أُغربل لك ما سمعت .

قال أبو عاصم النبيل : قال زُفر : من قعد قبل وقته ، ذلّ .

قال أبو نُعيم : كنت أعرض الأحاديث على زُفر ، فيقول : هذا ناسخ ، وهذا منسوخٌ ، هذا يؤخذ به ، وهذا يرفض .

قلت : كان هذا الإمام منصفاً في متبعاً .

قال عبد الرحمن بن مهدي : عبد الواحد بن زياد ، قال : لقيت زُفر رحمه الله ، فقلت له : صرتم حديثاً في الناس وضُحْكة [1].

قال : وما ذاك ؟ قلت : تقولون : ((ادرؤوا الحدود بالشبهات))[2]، ثم

جئتم إلى أعظم الحدود ، فقلتم : تقام بالشبهات . قال : وما هو ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ : ((لا يقتل مسلمٌ بكافر))[3] فقلتم : يقتل به - يعني بالذمي- . فقال : فإني أشهدك الساعة أني قد رجعت عنه .

قلت : هكذا يكون العالم وقافاً مع النص .

---

(١) الضُحْكة : بضم الضاد وسكون الحاء : الشيء الذي يضحك منه .

(٢) روي من حديث عائشة ، ومن حديث علي ، ومن حديث أبي هريرة ، أما حديث عائشة ، فأخرجه الترمذي في الحدود : باب ما جاء في درء الحدود بلفظ ((ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة)) وقال : هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث محمد بن ربيعة ، عن يزيد بن زياد الدمشقي ، عن الزهري ، ويزيد بن زياد ضعيف في الحديث ، ورواه وكيع عن يزيد بن زياد ولم يرفعه وهو أصح ، ثم أخرجه عن وكيع ، عن يزيد به موقوفاً ، وأخرجه الحاكم في ((المستدرك)) ٤/٣٨٤ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وتعقبه الإمام الذهبي ، فقال : يزيد بن زياد ، قال النسائي فيه : متروك ، أما حديث علي فأخرجه ... الخ .

(٣) أخرجه أحمد ١/٧٩ ، والبخاري ، في الديات : باب العاقلة ، وباب لا يقتل المسلم بالكافر ، والدارمي ٢ /١٩٠ ، والترمذي في الديات ، والنسائي في القسامة .

قال ابن سعيد: مات زُفر سنة ثمان وخمسين ومئة، ولم يكن في الحديث بشيء.

قلت : قد حكم له إمامُ الصنعة (يحيى بن معين) بأنه ثقة مأمون [١].

عصرنا و الانصاف

قال ابن عبد الحكيم : سمعت الشافعي يقول : قال لي محمد : أيهما أعلم صاحبُنا أم صاحبكُم ؟ - يعني أبا حنيفة ومالكاً - قلت : على الإنصاف ؟ قال: نعم . قلت : أنشدك الله ، من أعلم بالقرآن ؟ قال :صاحبكم . قلت : من أعلم بالسنة؟ قال صاحبكم. قلت: فمن أعلم بأقاويل الصَّحَابة والمتقدمين؟ قال : صاحبكم .. قلت : فلم يبق إلا القياس ، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء ، فمن لم يعرف الأصول ، على أي شيء يقيس ؟ .

قلت : وعلى الإنصاف ، لو قال قائلٌ : بل هما سواءٌ في علم الكتاب ، والأول : أعلم بالقياس ، والثاني : أعلم بالسنة ، وعنده علم جمٌّ من أقوال كثير من الصحابة ، كما أن الأول أعلم بأقاويل عليٍّ، وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فرضي الله عن الإمامين، فقد صرنا في وقت لا يقدر الشخص على النطق بالإنصاف ، فنسأل الله السلامة [٢].

كلام رديء

عباس وابن أبي خيثمة ، سمعنا يحيى يقول : من فضَّل عبد الرحمن بن مهدي على وكيع ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

قلت : هذا الكلام رديء ، فغفر الله ليحيى ، فالذي أعتقده أنا أن عبدالرحمن أعلم الرجلين وأفضل وأتقن ، وبكل حال هما إمامان نظيران [٣].

---

(١) السير (٨/٤٠ - ٤١)
(٢) السير (٨/١١٢ - ١١٣)
(٣) السير (٩/١٥٢)

قنيفة ذهبية

قال العُقيلي سمعت علي بن عبد الله بن المبارك الصنعاني يقول : كان زيد بن المبارك ، قد لزم عبد الرزاق ، فكثر عنه ، ثم خرق كتبه ، ولزم محمد بن ثور ، فقيل له في ذلك ، فقال : كنا عند عبد الرزاق ، فحدثنا بحديث معمر ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ... الحديث الطويل [١]، فلما قرأ قول عمر لعلي والعباس : فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ، وجاء هذا يطلب ميراث امرأته ، قال عبدالرزاق : انظروا إلى الأنوَك ، يقول : تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث زوجته من أبيها ، لا يقول : رسول الله ﷺ . قال زيد بن المبارك : فلم أعد إليه ، ولا أروي عنه .

قلت : هذه عظيمةٌ ، وما فهم قول أمير المؤمنين عمر ، فإنك يا هذا لو سكت ، لكان أولى بك ، فإن عمر إنما كان في مقام تبيين العمومة والبنوة ، وإلا فعمر رضي الله عنه أعلم بحق المصطفى وبتوقيره وتعظيمه من كل متحذلق متنطع ، بل الصواب أن نقول عنك : انظروا إلى هذا الأنوَك الفاعل - عفا الله عنه - كيف يقول عن عمر هذا ولا يقول : قال أمير المؤمنين الفاروق ؟! وبكل حال فنستغفر الله لنا ولعبد الرزاق فإنه مأمون على حديث رسول الله ﷺ صادق [٢].

مبالغة

قال أبو عُبيد : ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي ، وكذا قال يونس بن عبد الأعلى ، حتى إنه قال : لو جمعت أمة لوسعهم عقله .

قلت : هذا على سبيل المبالغة ، فإن الكامل العقل لو نقص من عقله نحو الربع ، لبان عليه نقصٌ ما ، ولبقي له نظراء ، فلو ذهب نصف ذلك العقل منه ،

---

(١) انظره بطوله في البخاري في الفرائض: باب قول النبي : ((لا نورث ، ما تركنا صدقة))، ومسلم في الجهاد.

(٢) السير (٥٧٢/٩ - ٥٧٣)

لظهر عليه النقص ، فكيف شبه لو ذهب ثلثا عقله ! فلو أنك أخذت عقول ثلاثة أنفس مثلاً ، وصيرتها عقل واحدٍ، لجاء منه كامل العقل وزيادة [(١)] .

أكثر الناس صواباً

عبد الخالق بن منصور : سمعت ابن الرومي ، يقول : ما رأيت أحداً قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى ، وغيره كان يتحامل بالقول .

قلت : هذا القول من عبدالله بن الرومي غير مقبول ، وإنما قاله باجتهاده ، ونحن لا ندعي العصمة في أئمة الجرح والتعديل ، لكن هم أكثر الناس صواباً ، وأندرهم خطأً ، وأشدهم إنصافاً ، و أبعدهم عن التحامل . وإذا اتفقوا على تعديل أو جرحٍ ، فتمسك به ، واعضض عليه بناجذيك ، ولا تتجاوزه ، فتندم. ومن شذ منهم ، فلا عبرة به ، فخل عنك العناء ، وأعط القوس باريها ، فوالله لولا الحفاظ الأكابر، لخطبت الزنادقة على المنابر، ولئن خطب خاطب من أهل البدع ، فإنما هو بسيف الإسلام وبلسان الشريعة ، وبجاه السنة وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ ، فنعوذ بالله من الخذلان [(٢)].

فلا تدفن المحاسن

قال أبو الحسن الصَّفار : سمعت أبا سهل الصُّعْلُكي ، وسئل عن تفسير أبي بكر القفال ، فقال : قدّسه من وجه ، ودنسه من وجهٍ ، أي : دنَّسه من جهة نصره للاعتزال .

قلت : قد مرَّ موته ، والكمال عزيز ، وإنما يمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل ، فلا تدفن المحاسن لورطة ، ولعله رجع عنها . وقد يغفر له باستفراغه الوسع في طلب الحق ولا قوة إلا بالله [(٣)].

---

(١) السير (١٠/ ١٥)

(٢) السير (١١/ ٨٢) ترجمة الإمام الحافظ الجهبذ شيخ المحدثين يحيى بن معين بن عون الغطفاني.

(٣) السير (١٦/ ٢٨٥) ترجمة الإمام العلامة الفقيه الأصولي اللغوي عالم خراسان محمد بن علي الشاحي القفال .

إذا أخطأ إمام

وفي ترجمة الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي المالكي قال رحمه الله :

كان إماماً ديِّناً ، وثقة ، متقناً، وعلامة ، متبحِّراً ، صاحب سنة واتباع ، وكان أولاً أثرياً ظاهرياً فيما قيل ، ثم تحول مالكياً مع ميل بيّنٍ إلى فقه الشافعي في المسائل ، ولا ينكر له ذلك ، فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين ، ومن نظر في مصنفاته ، بان له منزلته من سعة العلم ، وقوة الفهم ، وسيلان الذهن ، وكل أحدٍ يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، ولكن إذا أخطأ إمامٌ في اجتهاده ، لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه ، ونُغطي معارفه ، بل نستغفر له ، ونعتذر عنه [١].

جرح بالظن

قال إسماعيل بن السمرقندي : كان رجل من المحدثين اسمه : الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري، فكان ابن البناء يكشِط ((بوري)) ويمد السين، فتصير البناء . كذا قيل : إنه يفعل ذلك .

قلت : هذا جرحٌ بالظن ، والرجل في نفسه صدوقٌ ، وكان من أبناء الثمانين - رحمه الله - وما التحنبل بعارٍ - والله - ولكن آل منده وغيرهم يقولون في الشيخ : إلا أنه فيه تَمَشْعُر . نعوذ بالله من الشر [٢].

وقال أبو زكريا بن منده : هو أحدٌ من يدعي الحفظ ، إلا أنه يدلس ، ويتعصب لأهل البدع ، أحول ، شره ، كلما هاجت ريحٌ ، قام معها ، صنّف ((مسند الصحيحين)) .

---

(١) السير (١٨/ ١٥٧) .
(٢) السير (١٨/ ٣٨١ - ٣٨٢) ترجمة الإمام العالم المفتي المحدث الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي.

قلت : آل منده لا يُعبأ بقدحهم في خصومهم ، كما لا نلتفت إلى ذم خصومهم لهم ، وأبو مسلم ثقة في نفسه (١).

من مثلهما

عن ثابت البناني، أن أبا برزة كان يلبس الصوف ، فقيل له : إن أخاك عائذ بن عمرو يلبس الخزَّ ، قال : ويحك ! ومن مثل عائذ !؟ فانصرف الرجل، فأخبر عائذاً ، فقال : ومن مثل أبي برزة !؟

قلت : هكذا كان العلماءُ يوقرون أقرانهم (٢).

إمامان

قال مكحول : ما زلت مضطلعاً على منْ ناوأني حتى عاونهم عليَّ رجاء بن حيوة ؛ وذلك أنهُ كان سيِّد أهل الشام في أنفسهم .

قلت : كان ما بينهما فاسداً ؛ وما زال الأقران ينال بعضهم من بعض ؛ ومكحول ورجاء إمامان ، فلا يلتفت إلى قولِ أحدٍ منهما في الآخر (٣).

ولا يروى

قال أبو سلمة المنقري : حدثنا أبان العطار ، قال : ذكر يحيى بن أبي كثير عند قتادة ، فقال : متى كان العلم في السَّمَّاكين ، فذكر قتادة عند يحيى ، فقال : لا يزال أهل البصرة بشرٍّ ما كان فيهم قتادة .

قلت : كلام الأقران يُطوى ولا يُروى ، فإن ذكر تأمله المحدِّث ، فإن وجد له متابعاً وإلا أعرض عنه (٤).

---

(١) السير (١٨/ ٤٠٨) ، ترجمة الشيخ الإمام المحدث المفسر الرحال الطواف عمر بن علي الليثي البخاري.
(٢) السير (٣/ ٤٢) .
(٣) السير (٤/ ٥٥٨) .
(٤) السير (٥/٢٧٥ - ٢٧٦) .

كلام المتعاصرين

عن ابن عبد الحكم قال : سمعت أشهب يدعو في سجوده على الشَّافعي بالموت ، فمات والله الشافعي في رجب سنةَ أربعٍ ، ومات أشهب بعده بثمانية عشر يوماً ، واشترى من تركة الشافعي عبداً ، اشتريته أنا من تركة أشهب .

قال ابن يونس : مات لثمانٍ بقينَ من شعبان سنةَ أربعٍ .

قلت : قولُ ابن عبد البر : كان أخذُ ابن عبدالحكم عن أشهب أكثر - يعني من أخذه عن ابن القاسم - : فيه نظر ، فما علمته أخَذَ عنه ، إنما لحق ابن وهب ، وقد لحق ابن القاسم ، وهو مراهقٌ ، فلعله باعتناء والده ، أخذ شيئاً يسيراً عنه ، والله أعلم .

ودعاءُ أشهب على الشافعي من باب كلام المتعاصرين ، بعضهم في بعض ، لا يُعبأُ به ، بل يُتَرَحَّمُ على هذا ، وعلى هذا ، ويُستغفر لهما ، وهو بابٌ واسع ، أوله موت عمر رضي الله عنه ، وآخره رأيناه عياناً ، وكان يقال لعمر رضي الله عنه ، قفل الفتنة [1].

لا يعتذر به

وسُئِلَ عنه (مُطَيَّن) الدارقطني فقال : ثِقَةٌ جَبَل .

قلت : صنَّف ((المسند)) و((التاريخ))، وكان مُتقناً . وقد تكلم فيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، وتكلم هو في ابن عثمان ، فلا يُعتَد غالباً بكلام الأقران ، لا سيَّما إذا كان بينهما مُنافسة ، فقد عدّد ابن عثمان لُمطَيِّن نحواً من ثلاثة أوهام ، فكان ماذا ؟ ومُطَيَّن أوثق الرَّجُلَيْن ، ويكفيه تزكية مثلِ الدارقطني له [2].

---

(١) السير (٩/٥٠٢ - ٥٠٣) .

(٢) السير (١٤ / ٤٢) ترجمة الشيخ الحافظ الصادق محدث الكوفة محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي الملقب بـ : مُطَيَّن .

للعداوة السائرة

قال أبو نعيم في تاريخ أصبهان : ابن مندة حافظ من أولاده المحدثين ، اختلط في آخر عُمُره ، فحدَّث عن ابن أسِيد ، وابن أخي أبي زُرعة الرازي ، وابن الجارود بعد أن سُمع منه أنّ له عنهم إجازةً ، وتخبط في أماليه ، ونسب إلى جماعةٍ أقوالاً في المعتقدات لم يُعرفوا بها ، نسألُ الله الستر والصِّيانة .

قلت : لا نعبأُ بقولك في خصمك للعداوة السائرة ، كما لا نسمعُ أيضاً قوله فيك ، فلقد رأيتُ لابن مندة حطّاً مُقذعاً على أبي نعيم وتبديعاً، وما لا أُحبُّ ذكره ، وكل منهما فصدوقٌ في نفسه ، غيُر مُتّهمٍ في نقله بحمد الله (١).

عمّ البلاء

عن ابن عجلان : أن أبا هريرة كان يقول : إني لأُحدِّث ، لو تكلمت بها في زمن عمر ، لشجّ رأسي .

قلت : هكذا هو كان عمر رضي الله عنه يقول : أقِلُّوا الحديث عن رسول الله ﷺ . وزجر غير واحد من الصحابة عن بثّ الحديث ؛ وهذا مذهب لعُمر ولغيره .

فبالله عليك ، إذا كان الإكثار من الحديث في دولة عُمر ، كانوا يمنعون منه ، مع صدقهم وعدالتهم وعدم الأسانيد ، بل هو غض لم يشب ؛ فما ظنك بالإكثار من رواية الغرائب والمناكير في زماننا مع طول الأسانيد ، وكثرة الوهم والغلط ، فبالحري أن نزجر القوم عنه ؛ فياليتهم يقتصرون على رواية الغريب والضعيف ، بل يروُون - والله - الموضوعات والأباطيل والمُستحيل في الأصول والفروع ، والملاحم والزهد ؛ نسألُ الله العافية .

---

(١) السير (١٧/ ٣٣ - ٣٤) .

فمن روى ذلك مع علمه ببطلانه ، وغرّ المؤمنين ، فهذا ظالم لنفسه ، جانٍ على السنن والآثار ، يُستَتابُ من ذلك ؛ فإنْ أناب وأقْصر ، وإلا فهو فاسق ؛ كفى به إثماً أن يحدث بكل ما سمع . وإن هو لم يعلم ، فليتَورَّعْ ، وليستعن بمَن يعينه على تنقية مرويّاته . نسألُ الله العافية ؛ فلقد عمّ البلاءُ ، وشملت الغفلة ، ودخل على المحدثين الذين يركن إليهم المسلمون ؛ فلا عتبى على الفقهاء وأهل الكلام [(١)] .

هكذا العلم

عن أبي الخَلْدة ، عن أبي العالية ، قال : كان ابن عباس يرفعُني على السرير وقريش أسفل من السرير ، فتغامزت بي قريش ، فقال ابن العباس : هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ، ويجلس المَمْلوك على الأسرّة .[(٢)]

قلت : هذا كان سرير دار الإمرة لما كان ابن العباس متولّيها لعلي رضي الله عنهما .

كنت إذ ذاك صبياً

قال محمد بن يوسف الفِرْيابي : كنت أمشي مع ابن عيينة ، فقال لي : يا محمد ، ما يُزَهِّدني فيك إلا طلب الحديث . قلت فأنت يا أبا محمد ، أي شيء كنت تعمل إلا طلب الحديث ؟ فقال : كنت إذ ذاك صبياً لا أعقلُ .

قلت : إذا كان مثل هذا الإمام يقول هذه المقالة في زمن التابعين أو بعدهم بيسير ، وطلب الحديث مضبوط ، بالاتفاق ، والأخذ عن الأثبات الأئمة ، فكيف لو رأى سفيان رحمه الله طلبة الحديث في وقتنا ، وما هم عليه من الهنات والتخبيط ، والأخذ عن الجهلة بني آدم ، وتسميع ابن شهر :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها [(٣)]

---

(١) السير (٢/ ٦٠١ - ٦٠٢) .

(٢) السير (٤/ ٢٠٨) .

(٣) السير (٨/٤٦٣ - ٤٦٤) ، ترجمة الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام سفيان بن عيينة بن ابي عمران .

٣- الأقران:

له ما نوى وإن غلط

عن أبي صالح ، قال : كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة .

وعن مكحول ، قال : كان أبوهريرة يقول : رُبّ كِيسٍ عند أبي هريرة لم يفتحه . يعني من العلم .

قلت : هذا دالٌ على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تُحرك فتنةً في الأصول ، أو الفروع ؛ أو المدح والذم ؛ أما حديثٌ يتعلق بحلٍّ أو حرام ، فلا يحل كتمانه بوجه ؛ فإنه من البينات والهدى. وفي ((صحيح البخاري[1])) : قول الإمام علي رضي الله عنه : حدِّثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ؛ أتحِبُّون أن يكذب الله ورسوله ! وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء ، لأوذي ، بل لقتل . ولكن العالم قد يُؤدي به اجتهاد إلى أن ينشر الحديث الفلاني إحياءً للسنة ، فله ما نوى وله أجر - وإن غلط - في إجتهاده .[2]

هكذا الحفظ

حماد بن زيد : حدثني عمرو بن عبيد الأنصاري : حدثني أبو الزعيزعة - كاتب مروان - : أنَّ مروان أرسل إلى أبي هريرة ، فجعل يسأله ، وأجلسني خلف السرير ، وأنا أكتب ، حتى إذا كان رأسُ الحول ، دعا به ، فأقعده من

---

(١) في العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ، دون قوله : ((ودعوا ما ينكرون)) وهي عند آدم بن أبي العباس في كتاب العلم له . قال الحافظ في ((الفتح)) : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ، ومثله قول ابن مسعود : ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/١١.

(٢) السير (٢/ ٥٩٧-٥٩٨) .

وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولاأخر[(١)]

قلت : هكذا فليكن الحفظ [(٢)].

حفظ

قال أبو طالب أحمد بن محمد بن إسحاق بن البُهْلول : تذاكرت أنا وابن صاعد ما حدَّث به جدي ببغداد، فقلت له : قال لي أُنيس المستملي : إنه حدّث من حفظه بأربعين ألف حديث. فقال ابن صاعد: لا يدري أنيس ما قال، حدَّث إسحاق بن البُهْلول من حفظه ببغداد بأكثر من خمسين ألف حديث.

قلت : كذا فليكن الحفظ وإلا فلا ، قنِعنا اليوم بالاسم بلا جسم ، فلو رأى الناسُ في وقتنا من يروي ألف حديث بأسانيدها حفظاً لا نبهروا له [(٣)].

هذا والله الحفظ

قال يحيى بن المغيرة : عن جابر بن عبدالحميد ، قال : قال مغيرةُ : وما وقع في مسامعي شيء فنسيتُه .

قلت : هذا والله الحفظُ ، لا حفظُ من درس كتاباً مراتٍ عِدّة ، حتى عرضه ، ثم تخبّط عليه ، ثم درسه وحفظه ، ثم نسيه أو أكثره [(٤)].

---

(١) أبو الزعيزعة لا يعرف، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٥١٠/٣، وأقره الذهبي، وهو في تاريخ دمشق ٢/١١٦/١٩ .

(٢) السير (٥٩٨/٢) .

(٣) السير (٤٩٠/١٢) .

(٤) السير (١١/٦) .

مراده التعليم

عن عبدالرحيم بن هارون الغسَّاني ، قال سمعتُ هشام بن حسان يقول : ليت ما حفظ عني من العلم في أخبث تنور بالبصرة ، وليت حفظي منه لا لي ولا عليَّ .

قلت : ليس مراده ذات العلم ، فهذا لا يقوله مسلم وإنما مراده التعليم ، والقصد بالعلم، ألا تراه كيف يقول : ليت حظّي منه لا لي ولا عليّ ؟![1]

(١) السير (٦/ ٣٦١) .

مغـازي من ؟

إبراهيم بن المنذر عن معن قال: كان مالك إذا قيل لـه: مغـازي من نكتُبُ ؟ قال : عليكم بمغازي موسى بن عُقبة فإنه ثقة ، وقال ابن المنذر أيضـاً : حدثني مطرِّف ، ومعن ، ومحمد بن الضحاك ، قالوا : كان مالك إذا سئل عن المغازي ، قال : عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة ، فإنها أصحُّ المغـازي . وقـال أيضاً سمعتُ محمد بن طلحة ، سمعـتُ مالكاً يقـول : عليكـم بمغـازي موسـى ، فإنه رجل ثقة ، طلبها علـى كـبر السـن ، لِيقيـد مـن شـهد مـع رسـول اللهﷺ ولم يُكثر كما كثّر غيره .

قلـت : هـذا تعريض بـابن إسحاق . ولا ريـب أن ابـن إسـحاق كثّر وطـوَّل بأنساب مستوفاة اختصارُها أملح ، وبأشعارٍ غير طائلة حذفُها أرجح ، وبآثار لم تُصَحح ، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكـن عنـده ، فكتابُـه محتـاج إلى تنقيح وتصحيح ، ورواية ما فاته .

وأما مغـازي موسـى بـن عقبـة ، فهـي في مجلـد ليـس بالكبـير ، سمعناهـا ، وغالبُها صحيح ، ومرسل جيد ، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة .

وقد أحسن في عمل ذلـك الحـافظُ أبـو بكـر البيهقـي في تأليفـه المسـمى بكتـاب «دلائل النبوة » .

وقد لخصت أنا الترجمة النبويـة ، والمغـازي المدنية ، في أول تـاريخي الكبـير، وهو كامل في معناه إن شاء الله [1].

---

(١) السير (١١٥/٦ - ١١٦) .

٤- متفرقات:

ودّ بالكفاف

قال أبو قطن : سمعت شعبة بن الحجّاج يقول : ما شيء أخوف عندي من أن يُدخلني النّار من الحديث .

وعنه قال : وددتُ أني وقّاد حَمّام ، وأني لم أعرف الحديث .

قلت : كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا ، ويودُّ أن ينجو كفافاً .

قال سعد بن شعبة : أوصى أبي : إذا مات أن يغسل كتبه . فغسلتُها.

قلت : وهذا قد فعله غيرُ واحد : بالغسل ، والحرق ، وبالدفن ، خوفاً من أن تقع في يد إنساناً واهٍ ، يزيد فيها أو يغير [١].

يا مسكين

قال محمد بن الحسن بن علي بن بحر : حدثنا الفلاس قال : رأيت يحيى يوماً حدّث بحديثٍ ، فقال له عفّان : ليس هو هكذا . فلما كان من الغد ، أتيت يحيى ، فقال : هو كما قال عفّان ، ولقد سألتُ الله أن لا يكون عندي على خِلاف ما قال عفّانُ .

قلت : هكذا كان العلماءُ ، فانظُر يا مسكين كيف أنت عنهم بمعزل[٢].

---

(١) السير (٧/ ٢١٣) .
(٢) السير (١٠/ ٢٤٩) .

لهذا دفنها

قال مُطَيَّن : أوصى أبو كريب بكتبه أن تُدفن فدفنت .

قلت : فعل هذا بكُتبه من الدفن والغسل والإحراق عِدّةٌ من الحفاظ خوفاً من أن يظفر بها محدث قليلُ الدين ، فَيُغيِّر فيها ، ويزيد فيها ، فينسب ذلك إلى الحافظ ، أو أنَّ أصوله كان فيها مقاطيع وواهيات ما حدّث بها أبداً ، وإنما انْتَخبَ من أصوله ما رواه ، وما بقي ، فرغب عنه ، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام . فلهذا ونحوه دفن ، رحِمهُ الله ، كَتبه [1].

مسند أحمد

فلعل الله يُقيِّضُ لهذا الدِّيوان العظيم من يُرتِّبه ويهذِّبه ، ويحذِف ما كُرِّر فيه ، ويُصلح ما تصحف ، ويوضح حال كثير من رجاله ، وينبِّه على مرسله ، ويُوهَن ما ينبغي من مناكيره ، ويُرتب الصّحابة على المُعاجم ، وكذلك أصحابهم على المُعجم ، ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب الستة ، وإن رتّبه على الأبواب فحسن جميل ، ولولا أنِّي قد عجزت عن ذلك لضعف البصر ، وعدم النية ، وقرب الرحيل ، لعملتُ في ذلك [2].

دواوين الإسلام العظيمة

قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام - وكان أحد المُجتهدين - : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل ((المحلى)) لابن حزم ، وكتاب ((المغني)) للشيخ موفق الدين .

قلت : لقد صدق الشيخ عز الدين . وثالثهما : ((السُنن الكبير)) للبيهقي . ورابعها : ((التمهيد)) لابن عبدالبر . فمن حصَّل هذه الدواوين ، وكان من أذكياء المفتين ، وأدمن المطالعة فيها ، فهو العالم حقاً [3].

---

(١) السير (١١/٣٩٦) .
(٢) السير (١٣/٥٢٥) .
(٣) السير (١٨/١٩٣) .

حذار من هذه الكتب

لأبي المظفر يوسف سِبْطِ ابن الجوزي في كتاب ((رياض الأفهام)) في مناقب أهل البيت قال : ذكر أبو حامد في كتابه ((سِر العالمين وكشف ما في الدارين)) فقال في حديث : ((من كُنْتُ مولاهُ ، فعليٌّ مولاهُ)) [1] أن عمر قال لعلي : بخٍ بخٍ ، أصبحت مولى كُلِّ مؤمنٍ ومؤمنة . قال أبو حامد : وهذا تسليمٌ ورضىً ، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى حباً للرئاسة ، وعقد البنود ، وأمر الخلافة ونهيها ، فحملهم على الخلاف ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشترون ، وسرد كثيراً من هذا الكلام الفَسْلِ الذي تزعمه الإمامية ، وما أدري ما عُذْرُه في هذا ؟ والظاهر أنه رجع عنه ، وتبع الحقَّ ، فإنه الرجل من بحور العلم ، والله أعلم .

هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد ، ففي هذا التأليف بلايا لا تتطبب ، وقال في أوله : إنه قرأه عليه محمدُ بنُ تومرت المغربي سِراً بالنظامية ، قال : وتوسَّمتُ فيه المُلك .

قلت : قد ألّف الرجل في ذمِّ الفلاسفة كتاب ((التهافت)) ، وكشف عوارهم ، ووافقهم في مواضع ظناً منه أن ذلك حقٌّ ، أو موافق للملة ، ولم يكن له عِلم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل ، وحُبب إليه إدمان النظر في كتاب ((رسائل إخوان الصفا)) وهو داءٌ عُضال ، وجرب مردٍ ، وسُمٌّ قتّال ، ولو لا أن أبا حامد من كبار الأذكياء ، وخيار المُخلصين ، لتلِف . فالحِذار الحِذار من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شُبهِ الأوائل ، وإلا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز ، فليلزم العُبودية ، وليُدمن الاستغاثة بالله ، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يُتوفى على إيمان الصحابة ،

---

(١) حديث صحيح رواه عن النبي ﷺ زيد بن أرقم ، والبراء بن عازب ، وبُريدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعلي ، وأبو أيوب ، وابن عباس . انظر ((المسند)) ١/ ٨٤ و ١١٨ و ١٥٢ و ٣٣٠ ، و ٤/ ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٢ و ٥/ ٣٤٧ و ٣٥٠ و ٣٥٨ و ٣٦١ و ٣٧٠ ، والترمذي (٣٧١٣) وابن ماجة (١١٦) و (١٢١) وابن حبان (٢٢٠٤) و(٢٢٠٥) والحاكم ٣/ ١٠٩ و ١١٠ و ١٣٢ - ١٣٤ .

وسادة التابعين ، والله الموفق ، فبحسب قصد العالم يُغفر له وينجو إن شاء الله[1] .

لماذا يا قوم ؟

قال القاضي شمسُ الدين ابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) : هو - يعني القاضي عياض- إمامُ الحديث في وقته ، وأعرف الناس بعلومه ، وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم .

قال : ومن تصانيفه كتاب ((الإكمال في شرح صحيح مسلم)) كمَّل به كتاب ((المُعْلَم)) للمازَري ، وكتاب ((مشارق الأنوار)) في تفسير غريب الحديث ، وكتاب ((التنبيهات)) فيه فوائد وغرائب ، وكل تواليفه بديعة ، وله شعر حسن .

قلت : تواليفه نفيسةٌ ، وأجلها وأشرفها كتاب ((الشَّفا)) لولا ما قد حشاه بالأحاديث المُفتعلة ، عَمَلَ إمامٍ لا نقد له في فنِّ الحديث ولا ذوق ، والله يُثيبه على حسن قصده ، وينفع بـ ((شفائه)) ، وقد فعل ، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوانٌ ، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غنيٌّ بمدحة التنزيلِ عن الأحاديث ، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد ، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات ، فلماذا يا قوم نتشبّعُ بالموضوعات ، فيتطرَّقُ إلينا مقالُ ذوي الغل والحسد ، ولكن من لا يعلم معذورٌ ، فعليك يا أخي بكتاب ((دلائل النبوة)) للبيهقي ، فإنه شفاءٌ لما في الصدور وهدىً ونور[2].

---

(١) السير (١٩ / ٣٢٨ - ٣٢٩) ، ترجمة الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي صاحب التصانيف والذكاء المفرط .

(٢) السير (٢٠ / ٢١٥ - ٢١٦) .

له أوهام

قال : وكان (ابن الجوزي) كثير الغلط فيما يُصنفُه ، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره .

قلت : هكذا هو له أوهامٌ وألوانٌ من ترك المراجعة ، وأخذ العلم من صحفٍ ، وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً ، لما لحق أن يُحرره ويتقنه [١].

(١) السير (٢١ / ٣٧٨) .

لا يفلح أبداً

القُشيري : سمعت السُلمي يقول : خرجتُ إلى مَرْوَ في حياة الأستاذ أبي سهل الصُّعْلُكي ، وكان له قبل خروجي أيام الجُمع بالغدوات مجلسُ دور القرآن بختم ، فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس ، وعقد لابن العُقابي في ذلك الوقت مجلس القول فداخلني من ذلك شيء ، وكنت أقول في نفسي : استبدل مجلس الختم بمجلس القول - يعني الغناء - فقال لي يوماً : يا أبا عبدالرحمن : أيش يقول الناس لي ؟ قلت : يقولون : رفع مجلس القرآن ، ووضع مجلس القول . فقال : من قال لأستاذه : لِمَ ؟ لا يفلح أبداً .

قلت : ينبغي للمريد أن لايقول لأستاذه : لِمَ ، إذا علمه معصوماً لا يجوز عليه الخطأ ، أما إذا كان الشيخ غير معصوم وكره قول : لم ؟ فإنه لا يُفلح أبداً، قال الله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ [المائدة : ٢] وقال : ﴿**وتواصوا بالحق** ﴾ [العصر: ٣] ﴿ **وتواصوا بالمرحمة** ﴾ [البلد : ١٧] بلى هنا مريدون أثقال أنكاد ، يعترضون ولا يقتدون ، ويقولون ولا يعملون ، فهؤلاء لايفلحون.. [١].

(١) السير (١٧ / ٢٥٢) .

يحملنا الشَّرَه

قال أبو سعْدٍ السَّمعاني : كان النيسابوري مُكثراً متيقظاً ، ورد علينا مَرْوَ قصداً للرواية بها ، وخرج معي إلى أصبهان لا شُغْلَ له إلا الروايةُ بها ، وازدحم عليه الخلقُ ، وكان يعرف الأجزاء ، وجمع ونسخ وعُمِّر ، قرأتُ عليه ((تاريخ)) نيسابور في أيام قلائل ، وكنت أقرأ فيه سائر النهار ، وكان يُكرم الغرباء ، ويُعيرهم الأجزاء ، ولكنه كان يُخِلُّ بالصلوات إخلالاً ظاهراً وقت خروجه معي إلى أصبهان ، فقال لي أخوه وجيه : يا فلان اجتهد حتى يقْعُد ، لا يفتضح بترك الصلاة ، وظهر الأمرُ كما قال وجيه ، وعرف أهل أصْبهان بذلك ، وشغبوا عليه [(١)] ، وترك أبو العلاء أحمدُ بنُ محمد الحافظُ الرواية عنه ، وأنا فوقت قراءتي عليه ((التاريخ)) ما كنت أراه يُصلي ، وعرفنا بتركه الصلاة أبو القاسم الدِّمشقيُّ ، قال : أتيته قبل طلوع الشمس ، فنبّهوهُ ، فنزل لنقرأ عليه ، وما صلَّى ، وقيل له في ذلك ، فقال : لي عُذْرٌ ، وأنا أجمع الصلوات كُلّها [(٢)] ، ولعله تاب ، والله يغفر له ، وكان خبيراً بالشُّروط ، وعليه العُمدة في المجلس الحكم ، مات بنيسابور في عاشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسة مئة .

قلت : الّشرهُ يحملُنا على الرواية لمثل هذا [(٣)].

---

(١) في ((القاموس)) : وشغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح : هيج الشر عليهم ، وورد في ((المستفاد)) : وشنّعوا .

(٢) قال ابن الجوزي : ومن الجائز أن يكون به مرض ، والمريض يجوز له الجمع بين الصلوات ، فمن قلة فقه هذا القادح رأى هذا الأمر المحتمل قدحاً . انظر ((المنتظم)) ١٠/ ٨٠ .

(٣) السير (٢٠/ ١١- ١٢) ، ترجمة الشيخ العالم المحدث المفيد المعمر مسند خراسان زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد النيسابوري الزاهد .

إذا رضي اللَّه

قال السّيفُ (بن المجد) : سمعت ابن نُقْطة يقول : قيل لابن الأخضر : ألا تُجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي ؟ قال : إنما يُتتبَّعُ على من قلَّ غلطُهُ ، فأما هذا ، فأوهامُهُ كثيرةٌ .

ثم قال السيفُ : ما رأيت أحداً يُعتمدُ عليه في دينهِ وعلمه وعقله راضياً عنه .

قلت : إذا رضي الله عنه ، فلا اعتبار بهم [1].

(١) السير (٢١/ ٣٨٢ - ٣٨٣) .



ح- الفقه والتفقه

ويتضمن :

١- أحكام وآراء فقهيـــة .

٢- فقه الخلاف .

١- أحكام وآراء فقهيــة .

الفقيه المتنطع

عن عبدالله ابن شدَّاد ، عن أبيه ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ، وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً ، فتقدم ، فوضعه ، ثم كبر في الصلاة ، فسجد سجدةً أطالها ، فرفعتُ رأسي ، فإذا الصبيُّ على ظهره ، فرجعتُ في سجودي. فلما قضى صلاتهُ ، قالوا : يا رسول الله : إنك أطلتَ ! قال : ((**إن ابني ارتحلني ، فكرهتُ أن أُعجِلهُ حتى يقضي حاجته**)) [١].

قلت : أين الفقه الـمُتنطِّع عن هذا الفعل ؟ [٢].

عبدُاللّه بنُ حنْظَلَة

الغسيل بن أبي عامر الراهب عبد عمرو بن صيفي بن النعمان ، أبو عبدالرحمن الأنصاري الأوسيُّ المدنيُّ ، من صِغار الصحابة .

استشهد أبوه يوم أُحد ، فغسَّلته الملائكة لكونه جُنُباً [٣]، فلو غُسِّل الشهيد الذي يكون جنباً استدلالاً بهذا ، لكان حسناً [٤].

---

(١) إسناده صحيح ، هو في ((المسند)) ٤٩٤/٣ ، ٤٩٤ ، والنسائي في التطبيق : باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة .

(٢) السير (٣/ ٢٥٧) .

(٣) أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) ٢٠٤/٣ ، ٢٠٥ ، والبيهقي ١٥/٤ من طريق ابن إسحاق ، حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جده ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر ... : ((إن صاحبكم تغسله الملائكة)) فسألوا صاحبته ، فقالت : إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب ، فقال رسول الله ﷺ : ((لذلك غسلته الملائكة)) وهذا سند جيد ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي ، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني بسند حسن ، كما قال الهيثمي في ((المجمع)) ٢٣/٣ .

(٤) السير (٣ / ٣٢٠ - ٣٢١) .

أصاب عكرمة

عن مُعْتمِر بن سليمان ، عن أبيه ، قيل لطاووس : إن عكرمة يقول : لا يُدافِعَنَّ أحدُكم الغَائط والبول في الصلاة ، أو كلاماً هذا معناه ، فقال طاووس : المسكينُ لو اقتصر على ما سمع كان قد سمع علماً .

قلت : أصاب هنا عكرمة ، فقد صحَّ الحديثُ في ذلك[١] - أعني قبل الإحرام بالصلاة - فإن عرض له ذلك في الصلاة ، وأمكنه الصبر ، فصلاته صحيحة ، وإن أجهده ذلك فلينصرف [٢] .

نزغة

قال سُنيد بنُ داود في تفسيره : حدّثنا عبَّاد بن عبَّاد المُهلّبي ، عن عاصم الأحْول ، عن عكرمة في رجل قال لِغلامه : إن لم أجْلدْك مئة سوط ، فامرأته طالق ، قال : لا يجلد غلامه ، ولا يطلق امرأته ، هذا من خطوات الشيطان .

قلت : هذا واضح في أن عكرمة كان يرى أن اليمين بالطلاق في الغضب من نزغات الشيطان ، فلا يقع بذلك الطلاق .. والله أعلم [٣].

---

(١) أخرجه مسلم في ((صحيحه)) في المساجد .
(٢) السير (٥ / ٢٩ - ٣٠) .
(٣) السير (٥ / ٣٦) .

ما أحسن الصدق

قال الوليد بن مسلم : سألتُ الأوزاعيَّ ، وسعيد بن عبدالعزيز ، وابن جريج : لمن طلبتم العلم ؟ كلُّهم يقول : لنفسي ، غير أن ابن جريج فإنه قال : طلبتُه للناس .

قلت : ما أحسن الصدق ! واليوم تسأل الفقيه الغبي : لمن طلبت العلم ؟ فيُبادر ويقول : طلبته لله ، ويكذب إنما طلبه للدنيا ، ويا قِلَّة ما عرف منه [1].

قاتله اللَّه

عن أبي يوسف قال : قال أبو حنيفة : لما أردت طلب العلم ، جعلت أتَخَيَّرُ العلوم وأسألُ عن عواقبها . فقيل : تعلم القرآن . فقلت : إذا حفظته فما يكون آخره ؟ قالوا : تجلس في المسجد فيقرأ عليك الصبيانُ والأحداث ثم لا يلبثُ أن يخرج فيهم من هو أحفظُ منك أو مساويك ، فتذهب رئاستُك .

قلت : من طلب العلم للرئاسة قد يُفكر في هذا ، وإلا فقد ثبت قول المصطفى صلوات الله عليه ((**أَفْضَلُكُم منْ تعلّم القُرآن وعلّمهُ**)) [2]، يا سبحان الله ! وهل محل أفضلُ من المسجد ؟ وهل نشر لعلم يُقارب تعليم القرآن ؟ كلا والله . وهل طلبة خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب ؟ وأحسب هذه الحكاية موضوعة .. ففي إسنادها منْ ليس بثقة .

تتمة الحكاية : قال : قلت : فإن سمعتُ الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظُ مني ؟ قالوا : إذا كبْرتَ وضعُفْتَ ، حدثت واجتمع عليك هؤلاء

(١) السير (٦ / ٣٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، وأبو داود في الوتر ، باب : ثواب قراءة القرآن ، والترمذي في ثواب القرآن ، باب : ما جاء في تعلم القرآن. وابن ماجه في المقدمة باب : فضل من تعلم القرآن وعلمه .

الأحداثُ والصبيان . ثم لم تأمن أن تغلط ، فيرموك بالكذب ، فيصير عاراً عليك في عقبك . فقلت : لا حاجة لي في هذا .

قلت : الآن كما جزمت بأنها حكاية مختلقة ، فإن الإمام أبا حنيفة طلب الحديث وأكثر منه في سنة مئة وبعدها ولم يكن إذ ذاك يسمع الحديث الصبيانُ ، هذا اصطلاح وُجد بعد ثلاث مئة سنة ، بل كان يطلبه كبار العلماء ، بل لم يكن للفقهاء علم بعد القرآن سواه ولا كانت قد دونت كتبُ الفقه أصلاً . ثم قال : قلت : أتعلم النحو . فقلت : إذا حفظت النحو والعربية ، ما يكون آخر أمري ؟ قالوا : تقعد معلماً فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة . قلتُ : وهذا لا عاقبة له . قلت : فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني ؟ قالوا : تمدح هذا فيهب لك ، أو يخلعُ عليك ، وإن حرمك هجوته . قلت : لا حاجة فيه . قلت : فإن نظرت في الكلام ، ما يكون آخر أمره ؟ قالوا : لا يسلم من نظر في الكلام من مُشنِّعات الكلام ، فيرمى بالزندقة ، فيقتل ، أو يسلم مذموماً .

قلت : قاتل الله من وضع هذه الخرافة ، وهل كان في ذلك الوقت وُجد علم الكلام ؟! .

قال : قلت : فإن تعلمت الفقه ؟ قالوا : تُسأل وتُفتي الناس ، وتطلب للقضاء ، وإن كنت شاباً . قلت : ليس في العلوم شيء أنفع من هذا ، فلزمت الفقه وتعلمته [1].

بل أموراً سيئة

قال أبو أسامة : سمعت مسعراً يقولُ : إن هذا الحديث يصُدُّكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، فهل أنتم مُنْتهون ؟ .

قلت : هذه مسألةٌ مختلف فيها : هل طلبُ العلم أفضلُ ، أو صلاةُ النَّافلة والتِّلاوة والذكر ؟ فأمَّا من كان مخلصاً لله في طلب العلم ، وذهنه جيد ،

---

(١) السير (٦ / ٣٩٥ - ٣٩٧) .

فالعلم أولى ، ولكنْ مع حظٍّ من صلاة وتعبُّدٍ ، فإن رأيته مُجداً في طلب العلـم ، لا حظ له في القربات ، فهذا كسـلان مهين ، وليس هو بصادق في حسن نيته . وأما من كان طلبه الحديث والفقه غِيَّةً ومحبةً نفْسانية ، فالعبادة في حقه أفضـل ، بل ما بينهما أفْعَلُ تفْضيـلٍ ، وهـذا تقييـمٌ في الجملـة ، فقـلَّ - والله - مـن رأيتهُ مخلصاً في طلب العلم ، دعنا من هذا كُلِّه . فليس طلبُ الحديث اليوم علـى الوضع المتعارف من حيِّز طلب العلم ، بل اصطلاحٌ وطلبُ أسانيد عالية ، وأخذ عن شيخ لا يعي ، وتسميع لطفْل يلعب ولا يفهم ، أو لرضيع يبكي ، أو لفقيه يتحَّدث مع حديثٍ ، أو آخر ينسخ . وفاضلُهم مشغولٌ عـن الحديث بكتابة الأسْماء أو بالنُّعاس ، والقارئ إن كان له مشاركةٌ فليس عنده من الفضيلة أكثرُ من قراءة ما في الجزء ، سواء تصحَّف عليه الاسمُ ، أو اختبط المتن ، أو كـان من الموضوعات . فالعلم عن هؤلاء بمعْزِلٍ ، والعمـل لا أكاد أراه ، بـل أرى أموراً سيِّئة . ونسأل الله العفو[1].

بل عليه اتباع الدليل

قال مالكي : قد نـدر الاجتهادُ اليوم ، وتعـذَّر ، فمـالك أفضـلُ من يُقلَّد ، فرجح تقليده .

وقال شيخ : إن الإمام لمن التزم بتقليده ، كالنّبي مع أُمته ، لا تَحِلُّ مخالفته .

قلت : قوله لا تَحِلُّ مخالفته : مجردُ دعوى ، واجتهاد بلا معرفة ، بل له مخالفةُ إمامه إلى إمام آخر ، حُجَّته في تلك المسألة أقوى ، لا بل عليه اتباعُ الدليـل فيما تبرهن له ، لا كمن تمذهب لإمام ، فإذا لاح له ما يُوافق هواه ، عمِل به من أي مذهب كان ، ومن تَتَبَّع رُخص المذاهب ، وزلاّتِ المجتهدين ، فقد رقّ دينهُ ، كما قال الأوزاعي أو غيره : منْ أخذ بقول المكيين في المتعة ، والكوفيين في النبيذ ، والمدنيين في الغناء ، والشاميين في عصمة الخلفاء ، فقد جمع الشرَّ . وكذا من أخذ في البيوع الربوية بمن يتحيَّلُ عليها ، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسَّع فيه ، وشبه ذلك ، فقد تعرّض للانحلال ، فنسأل الله العافية والتوفيق .

---

(١) السير (٧ / ١٦٧) .

ولكنْ : شأن الطالب أن يدْرُس أولاً مصنفاً في الفقه ، فإذا حفظه ، بحثة ، وطالع الشروح ، فإن كان ذكياً ، فقيه النفس ، ورأى حُجج الأئمة ، فليراقب الله ، وليحفظ لدينه ، فإن خير الدين الورع ، ومن ترك الشُبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، والمعصوم من عصمه الله[1].

لا بالتشهي

ولا ريب أن كلَّ منْ أنس من نفسه فقهاً ، وسعة علمٍ ، وحسن قصد ، فلا يسعه إلا الالتزام بمذهبٍ واحد في كل أقواله ، لأنه قد تبرهن له مذهب الغير في مسائل ، ولاح له الدليل ، وقامت عليه الحجة ، فلا يُقلِّدُ فيها إمامه ، بل يَعمل بما تبرهن ، ويقلّد الإمام الآخر بالبرهان ، لا بالتّشهّي والغرض . لكنه لا يُفتي العامَّة إلا بمذهب إمامه ، أو ليصمتْ فيما خفي عليه دليلُه[2].

قول عجيب

جعفر بن محمد بن سوَّار ، حدَّثنا محمد بن شُعيب ، حدثنا حفصُ بن عبدالله ، سمعت سفيان الثوريَّ يقول : ليس على نساء خراسان حجٌ .

قلت : هذا قولٌ عجيبٌ ، أفما هنَّ من الناس ؟! فكأنَّه لمح بُعْدَ الشُّقَّة ، وكثرة المشقَّة[3].

نور شرطه الاتباع

قال عُثمانُ بن سعيد : منْ لم يجمع حديث شُعبة وسُفيان ومالك ، وحمَّاد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، فهو مُفْلِس في الحديث - يريد أنَّه ما بلغ درجة الحُفَّاظ - .

---

(١) السير (٨/٩٠ - ٩١) .
(٢) السير (٨ / ٩٣ - ٩٤) .
(٣) السير (٩ / ٤٨٦) .

وبلا ريب ، أن من جمع علم هؤلاء الخمسة ، وأحاط بسائر حديثهم ، وكتبه عالياً ونازلاً ، وفهم علله ، فقد أحاط بِشَطْر السُنَّة النبوية ، بل بأكثر من ذلك ، وقد عدم في زماننا من ينهض بهذا ، وببعضه ، فنسألُ الله المغفرة وأيضاً فلو أراد أحدٌ أن يتتبَّع حديث الثوري وحده ، ويكتبه بأسانيد نفسه على طولها ، ويبين صحيحه من سقيمه ، لكان يجيء ((مُسْنَدُه)) في عشر مجلدات ، وإنما شأن المحدث اليوم الاعتناء بالدواوين السِّتة ، و((مسند)) أحمد بن حمبل ، و ((سُنن البيهقي)) ، وضبطْ مُتونها وأسانيدها ، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه ، ويدين بالحديث ، فعلى علم الحديث وعلمائه لِيَبْكِ من كان باكياً ، فقد عاد الإسلام المحضُ غريباً كما بدأ ، فلْيَسْعَ امرؤ في فكاك رقبته من النار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم العِلْمُ ليس هو بكثرة الرِّواية ، ولكنه نورٌ يقذِفُه الله في القلب ، وشرطهُ الاتباع ، والفرار من الهوى والابتداع . وفَّقنا الله وإياكم لطاعته [١].

طاهر قطعاً

نقل الشَّيخ محيي الدِّين النووي : أنَّ أبا جعْفر جزَمَ بطهارة شعر رسول الله ﷺ. وقد خالف في هذه المسألة جمهور الأصحاب .

قلت : يتعين على كل مُسلم القطْع بطهارة ذلك ، وقد ثبت أنه ﷺ لما حلق رأسه ، فرق شعره المطهَّر على أصحابه ، إكراماً لهم بذلك ، فوا لهفي على تقبيل شعرة منها [٢].

(١) السير (١٣/ ٣٢٣) .
(٢) السير (١٣ / ٥٤٦ - ٥٤٧) .

ابن حزم نشأة وتفقهاً

نشأ في تَنَعُّمٍ ورفاهية ، ورُزق ذكاء مُفرطاً ، وذهناً سيّالاً ، وكُتُباً نفيسة كثيرة ، وكان والده من كُبراء أهل قرطبة ؛ عمل الوزارة في الدولة العامرية ، وكذلك وَزرَ أبو محمد في شبيبته ، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر ، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة ، فأثّر فيه تأثيراً ليْته سلم من ذلك ، ولقد وقفتُ له على تأليف يحضُ فيه على الاعتناء بالمنطق ، ويُقدمه على العلوم ، فتأملتُ له ، فإنه رأسٌ في علوم الاسلام ، ومتبحِّر في النقل ، عديمُ النظير على يُبْسٍ فيه ، وفرطِ ظاهريةٍ في الفروع لا الأصول .

قيل : إنه تفقه أولاً للشافعي ، ثم أدّاه اجتهادُه إلى القول بنفي القياس كله جلِيِّه وخفيِّه ، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث ، والقول بالبراءة الأصلية ، واستصحاب الحال ، وصنّف في ذلك كتباً كثيرة ـ وناظر عليه ، وبسط لسانه وقلمه ، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب ، بل فجّج العبارة ، وسبَّ وجدع ، فكان جزاؤه من جنس فعله ، بحيث إنه أعرض عن تصانيفة جماعةٌ من الأئمة ، وهجروها ، ونفروا منها ، وأُحرقت في وقت ، واعتنى بها آخرون من العلماء ، وفتّشوا انتقاداً واستفادة ، وأخذاً ومؤاخذة ، ورأوا فيها الدُّرَّ الثمين ممزوجاً في الرصيف بالخرز المهين ، فتارةً يطربون ، ومرةً يعجبون ، ومن تفرُّده يهزؤون . وفي الجملة فالكمالُ عزيز ، وكُلٌّ أحد يُؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ .

وكان ينهض بعلومٍ جمة ، ويُجيد النقل ، ويحسِنُ النظم والنثر ، وفيه دينٌ وخير ، ومقاصده جميلة ، ومُصنفاته مفيدة ، وقد زهد في الرئاسة ، ولزم منزله مُكبّاً على العلم ، فلا نغلو فيه ، ولا نجْفو عنه ، وقد أثنى عليه قَبْلنا الكبارُ...[1].

---

(١) السير (١٨ / ١٨٦ - ١٨٧) .

الناس والعلم والاجتهاد

قال عمرُ بنُ واجب : بينما نحن عند أبي بِبَلَنْسية وهو يُدَرِّسُ المذاهب ، إذا بأبي محمد بن حزم يسمعُنا ، ويتعجب ، ثم سأل الحاضرين مسألة من الفقه ، جووب فيها ، فاعترض في ذلك ، فقال له بعضُ الحُضَّار : هذا العلم ليس من مُنْتَحلاتِك ، فقام وقعد ، ودخل منزله فعكف ، ووكف [1] منه وابلٌ فما كفَّ ، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع ، فناظر أحسن مناظرة ، وقال فيها : أنا أتبع الحق ، وأجتهد ، ولا أتقيَّدُ بمذهب

قلت : نعم ، من بلغ رُتبة الاجتهاد ، وشهد له بذلك عدة من الأئمة لم يسُغْ له أن يُقلِّد ، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوغ له الاجتهاد أبداً ، فكيف يجتهد ، وما الذي يقول ؟ وعلام يبني ؟ وكيف يطيرُ ولما يُرِيِّشْ ؟ والقسم الثالث : الفقيه المنتهي اليَقظ الفهِم المُحدث ، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع ، وكتاباً في قواعد الأصول وقرأ النحو ، وشارك في الفضائل مع حفظِه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مُناظرته ، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المُقيِّد ، وتأهل للنظر في دلائل الأئمة ، فمتى وضح له الحق في مسألة ، وثبت فيها النص ، وعمل بها أحدُ الأئمة الأعلام كأبي حنيفة مثلاً ، أو كمالك ، أو الثوري ، أو الأوزاعي ، أو الشافعي ، وأبي عبيد ، وأحمد ، وإسحاق ، فلْيتَّبع فيها الحق ولا يسلك الرخص ، ولْيتورع ، ولا يسعُه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليدٌ ، فإن خاف ممن يُشغِّب عليه من الفقهاء فَلْيتكتَّم بها ولا يتراءى بفعلها ، فربما أعجبته نفسه ، وأحب الظهور ، فيعاقب ، ويدخل عليه الداخل من نفسه ، فكم من رجل نطق بالحق ، وأمر بالمعروف ، فيُسلِّطُ اللهُ عليه من يؤذيه لسوء قصده ، وحبه للرئاسة الدينية ، فهذا داءٌ خفي سار في نفوس الفقهاء ، كما أنه داءٌ سارٍ في نفوس المُنفِقين من الأغنياء وأرباب الوقف والتُّرب المزخرفة ، وهو داءٌ خفي يسري في نفوس الجند والأمراء

---

(١) وكف : قطر .

والمجاهدين ، فتراهم يلتقون العدوَّ ، ويصطدمُ الجمعان وفي نفوس المجاهدين مُخبّآتٌ وكمائنُ من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال ، ولُبْسِ القراقل [١] المذهَّبة ، والخُوذ المزخرفة ، والعُدد المحلاة على النفوس مُتكبرةٍ ، وفرسان متجبرة ، ويضاف إلى ذلك إخلالٌ بالصلاة ، وظُلم للرعية ، وشرب للمسكر ، فأنى يُنصرون ؟ وكيف لا يُخذلون ؟ اللهمَّ : فانصر دينك ، ووفق عبادك .
فمن طلب العلم للعمل كسره العلمُ ، وبكى على نفسه ، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء ، تحامق ، واختال ، وازدرى بالناس ، وأهلكه العُجْبُ ، ومقتته الأنفس ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس : ٩ و١٠] أي : دسَّسَها بالفُجور والمعصية ... [٢].

---

(١) في ((اللسان)) : القرقل : ضرب من الثياب ، وقيل : هو الثوب بغير كمين ، وقال أبو تراب : القرقل قميص من قميص النساء بلا لبنة ، وجمعه قراقل .
(٢) السير (١٨/ ١٩٠ - ١٩٢) .

٢- في فقه الخلاف :

مأزور و مأجور

ومن معجم أبي علي الصدفي ، تأليف القاضي عياض له ، قال : والشيخ أبوحامد الغزالي ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، غلا في طريقة التّصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم ، وصار داعية في ذلك ، وألّف فيه تواليفه المشهورة ، أُخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنونُ أُمةٍ ، والله أعلم بِسِرِّه ، ونفذ أمرُ السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها ، فامتثل ذلك .

قلت : ما زال العلماءُ يختلفُون ، ويتكلم العالمُ في العالم باجتهاده ، وكلٌّ منهم معذور مأجور ومن عاند أو خرق الإجماع ، فهو مأزور ، وإلى الله تُرجعُ الأمورُ [١].

كذا فليكن الرّد

وفي التوكل من ((الإحياء)) [٢] ما نصه : وكُلُّ ما قسم اللهُ بين عباده من رزقٍ وأجل ، وإيمانٍ وكفر ، فكُلُّه عدلٌ محض ، ليس في الإمكان أصلاً أحسنُ ولا أتم منه ، ولو كان وادَّخره تعالى مع القدرة ولم يفعله ، لكان بُخلاً وظلماً.

قال أبوبكر بن العربي في ((شرح الأسماء الحسنى)) : قال شيخنا أبو حامد قولاً عظيماً انتقده عليه العلماءُ ، فقال : وليس في قُدرة الله أبدع من هذا العالم في الإتقان والحكمة ، ولو كان في القدرة أبدعُ أو أحكمُ منه ولم يفعله ، لكان ذلك منه قضاءً للجُود ، وذلك محال . ثم قال : والجواب أنه باعد في اعتقاد عموم القدرة ونفي النهاية عن تقدير المقدورات المتعلقة بها ، ولكن في تفاصيل

---

(١) السير (١٩ / ٣٢٧) .
(٢) ٢٥٨/٤ : في آخر باب بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل .

هذا العالم المخلوق ، لا في سواه ، وهذا رأيٌ فلسفي قصدتْ به الفلاسفة قلب الحقائق ، ونسبت الإتقان إلى الحياة مثلاً ، والوجود إلى السمع والبصر ، حتى لا يبقى في القلوب سبيلٌ إلى الصواب ، وأجمعت الأمة على خلاف هذا الاعتقاد ، وقالت عن بكرة أبيها : إن المقدوراتِ لا نهاية لها لِكل مقدر الوجود، لا لكل حاصل الوجود ، إذِ القدرةُ صالحة ، ثم قال : وهذه وهلَةٌ لا لَعًا لها [1]، ومزلّةٌ لا تماسك فيها ، ونحن وإن كنا نقطة من بحره، فإنا لا نرُدُّ عليه إلا بقوله .

قلت : كذا فليكن الردُّ بأدبٍ وسكينة [2].

(١) قال أبو عبيدة : من دعائهم : لالعاً لفلان ، أي : لا أقامه الله ، والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جواداً بالتعس ، فتقول : تعساً له ، وإن كان بليداً ، كان دعاؤهمم له إذا عثر : لعاً لك.
(٢) السير (١٩ / ٣٣٧) .

منزلة ((الإحيـاء))

أما ((الإحياء)) ففيه من الأحاديث الباطلة جملة وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزُهد مِن طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية ، نسأل الله علماً نافعاً ، تدري ما العلمُ النافع ؟ هو ما نزل به القرآنُ ، وفسّره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً ، ولم يأتِ نهي عنه ، قال عليه السلام : ((منْ رغِبَ عنْ سُنتي ، فليس مني)) [1]، فعليك يا أخي بتدبُّر كتاب الله ، وبإدمان النظر في ((الصحيحين)) ، وسنن النسائي ، ورياض النواوي وأذكاره ، تُفْلِحْ وتُنْجِحْ ، وإياك وآراء عُبَّاد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيشِ رؤوس أصحاب الخلوات ، فكلُّ الخير في متابعة الحنيفية السمحة ، فوا غوثاه بالله ، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم .

نعم ، وللإمام محمد بن علي المازري الصَّقَلِّي كلامٌ على ((الإحياء)) يدُلُّ على إمامته ، يقول : وقد تكرَّرت مكاتبكُم في استعلام مذهبنا في الكتاب والمترجم بـ ((إحياء علوم الدين)) ، وذكرتُم أن آراء الناس فيه قد اختلفت ، فطائفة انتصرت وتعصَّبت لإشهاره ، وطائفة حذَّرت منه ونفَّرت ، وطائفة لكُتُبِهِ أحرقت ، وكاتبني أهلُ المشرق أيضاً يسألوني ، ولم يتقدم لي قراءةُ هذا الكتاب سوى نُبَذٍ منه ، فإن نفَّس الله في العُمُرِ ، مددتُ فيه الأنفاس ، وأزلتُ عن القلوب الالتباس : اعلموا أن هذا رأيتُ تلامذته ، فكلٌّ منهم حكى لي نوعاً من حاله ما قام مقام العِيان ، فأنا أقتصِرُ على ذكر حاله ، وحالِ كتابه ، وذِكْرِ جُملٍ مِن مذاهب الموحِّدين والمتصوِّفة ، وأصحابِ الإشارات ، والفلاسفة ، فإن كتابه متردِّدٌ بين هذه الطرائق .

ثم إن المازري أثنى على أبي حامد في الفقه ، وقال : هو بالفقه أعرفُ منه بأصوله ، وأما عِلْمُ الكلام الذي هو أصول الدين ، فإنه صنَّف فيه ، وليس بالمتبحر فيها ، ولقد فطِنْتُ لعدم استبحاره فيها ، وذلك أنه قرأ علوم الفلسفة قبل

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في النكاح ، ومسلم وغيرهما .

استبحاره في فن الأصول، فأكسبه الفلسفة جُرأةً على المعاني، وتسهيلاً للهجوم على الحقائق، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها، لا يزعُها شرعٌ، وعرَّفني صاحب له أنه كان له عُكوفٌ على رسائل إخوان الصفا، وهي إحدى وخمسون رسالة، ألَّفها من قد خاض في علم الشرع والنقل، وفي الحكمة، فمزج بين العلمين، وقد كان رجل يُعْرفُ بابن سينا ملأ الدنيا تصانيف، أدَّته قُوتُهُ في الفلسفة إلى أن حاول ردَّ أُصول العقائد إلى علم الفلسفة، وتلطف جُهده، حتى تمَّ له ما لم يتم لغيره، وقد رأيتُ جُملاً من دواوينه، **ووجدتُ أبا حامد يُعوِّلُ عليه** في أكثر ما يُشيرُ إليه من علوم الفلسفة.

وأما مذهب الصوفية، فلا أدري على منْ عوَّل فيها، لكني رأيتُ فيما علق بعضُ أصحابه أنه ذكر كُتُب ابن سينا وما فيها، وذكر بعد ذلك كتب أبي حيان التوحيدي، وعندي أنه عليه عوَّل في مذهب التصوف، وأُخبرْتُ أن أبا حيان ألف ديواناً عظيماً في الفن، وفي «الإحياء» من الواهيات كثير قال: وعادةُ المتورِّعين أن لا يقولوا: **قال مالك، وقال الشافعي**، فيما لم يثبت عندهم.

ثم قال: ويستحسنُ أشياء مبناها على ما لا حقيقة له، كقصِّ الأظافر أن يبدأ بالسَّبابة لأن لها الفضل على باقي الأصابع، لأنها المسبِّحة، ثم قص ما يليها من الوسطى، لأنها ناحية اليمين، ويختِم بإبهام اليمنى، وروى في ذلك أثراً.

قلت: هو أثر موضوع.

ثم قال: وقال: من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن البارئ قديم، مات مسلماً إجماعاً. قال: فمن تساهل في حكاية الإجماع في مثل هذا الذي الأقربُ أن يكون الإجماع في خلافه، فحقيق أن لا يُوثق بما روى، ورأيتُ له في الجزء الأول يقول: إن في علومِه ما لا يسوغ أن يُودع في كتاب، فليت شعري أحقٌّ هو أو باطل ؟! فإن كان باطلاً، فصدق، وإن كان حقاً، وهو مرادُه بلا شك، فلم لا يُودع في الكتب، ألِغُموضه ودِقته ؟! فإن كان هو فهِمه، فما المانع أن يفهمه غيره ؟!.

قال أبو الفرج ابن الجوزي : صنف أبو حامد ((الإحياء)) ، وملأه بالأحاديث الباطلة ، ولم يعلم بطلانها ، وتكلم على الكشف ، وخرج عن قانون الفقه ، وقال : إن المراد بالكواكب والقمر والشمس اللواتي رآهن إبراهيم ، أنوار هي حُجُبُ الله عز وجل ، ولم يُرد هذه المعروفات ، وهذا من جنس كلامِ الباطنية ، وقد ردَّ ابنُ الجوزي على أبي حامد في كتاب ((الإحياء)) وبين خطأه في المجلدات ، سماه كتاب ((الأحياء)) .

قلت : ما زال الأئمة يُخالف بعضهم بعضاً ، ويردُّ هذا على هذا ، ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل [1] .

العبرة بكثرة المحاسن

قال أبو فرج بن الجوزي : رأيتُهُ يعِظُ بجامع القصر ، وكان غالياً في مذهب الأشعري .

وقال ابن عساكر : كان يُفتي ويُناظر ويُذكّر ، وكانت مجالسُ تذكيره قليلة الحشوِ ، على طريقة المُتقدِّمين .

قلت : غُلاةُ المُعتزلة ، وغُلاةُ الشّيعة ، وغُلاةُ الحنابلة ، وغُلاةُ الأشاعرة ، وغُلاةُ المرجئة ، وغُلاةُ الجهمية ، وغُلاةُ الكرّامية ، قد ماجت بهم الدنيا ، وكثروا ، وفيهم أذكياء وعُبّادٌ وعُلماء ، نسألُ الله العفو والعافية والمغفرة ، لأهل التوحيد ، ونبرأُ إلى الله من الهوى والبدع ، ونُحبُّ السنة وأهلها ، ونُحبُّ العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة ، ولا نحبُّ ما ابتدع فيه بتأويلٍ سائغ ، وإنما العِبرة بكثرةِ المحاسن [2].

---

(١) السير (١٩ / ٣٣٩ - ٣٤٢) .

(٢) السير (٢٠/ ٤٥ -٤٦) ترجمة العلامة المفتي محمد بن أحمد بن يحيى العثماني المقدسي الشافعي الأشعري .

ط- الأخــلاق

ويتضمن :

١- مكارم الأخلاق

٢- مساوئ الأخلاق

١- مكارم الأخلاق

الشجاعة

في ((الصحيحين)) من طريق يوسف بن الماجشون ، أنبأنا صالح بن إبراهيم ابن عبدالرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : إني لواقفٌ يوم بدر في الصفِّ ، فنظرتُ ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٌ أسنانُهما ، فتمنيتُ انَّ أكون بين أضلع منهما . فغمزني أحدُهما ، فقال : يا عم ! أتعرفُ أبا جهل ؟ قلتُ : نعم. وما حاجتُك؟ قال : أخبرتُ أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده إنْ رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجلُ منا.فتعجبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ ، فقال مثلها ، فلم أنْشبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل وهو يجول في الناس . فقلتُ: ألا تريان ؟ هذا صاحبُكما . قال : فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ، فأخبراه . فقال : أيكما قتله ؟ فقال كلٌّ منهما : أنا قتلتُه . فقال : هل مسحتُما سيفيْكما ؟ قالا : لا. فنظر في السيفين ، فقال : كلاكما قتله . وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو . والآخر هو مُعاذ بن عفْراء [(١)].

وعن معاذ بن عمرو قال : جعلتُ أبا جهل يوم بدر شأني . فلما أمكنني ، حملتُ عليه ، فضربتُه ، فقطعتُ قدمه بنصف ساقه . وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي ، فطرح يدي وبقيتْ معلقة بجلدة بجنبي ، وأجهضني عنها القتالُ ، فقاتلتُ عامة يومي وإني لأسحبُها . فلما آذتني ، وضعتُ قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها [(٢)].

---

(١) البخاري في فرض الخمس : باب من لم يخمس الأسباب . ومسلم في الجهاد : باب استحقاق القاتل سلب القتيل . وقوله ((سوادي سواده)) أي : شخصي شخصه . ولم أنشب : أي لم ألبث ، أي : لم يمض زمن طويل على سؤالهما إلا ورأينه ...

(٢) قال الأرنؤوط : أخرجه ابن هشام ١/٦٣٤ - ٦٣٥ من طريق : ابن إسحاق حدثني ثور بن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس وعبدالله بن أبي بكر قالا : قال معاذ ... ورجاله ثقات انظر السير : ١/ ٢٥١ .

هـذه والله الشجاعةُ ، لا كآخر مِنْ خَـدْشٍ بسـهم ينقطـعُ قلبُـه ، وتخـور قواه[1]..

لا تبكيني

قد كان يُضرب بشجاعته المثل : (ابن الزبير) .

وعن المُنذر بن جهم قال : رأيتُ ابن الزُّبير يوم قُتِلَ وقد خذله منْ كـان معه خِذلاناً شديداً ، وجعلوا يتسلّلون إلى الحجَّاج ، وجعـل الحجَّاجُ يصيـحُ : أيها الناسُ ! علام تقتُلُون أنفسكم ؟ منْ خرج إلينا فهو آمن ، لكم عهدُ اللهِ وميقاقه وربِّ هذه البنية . لا أغدِرُ بكم ، ولا لنا حاجةٌ في دمائكم .

قال : فتسلَّل إليه نحوٌ من عشرة آلاف ، فلقد رأيتُ ابن الزبير وما معه أحد .

وعن إسحاق بن أبي إسحاق قال : حضرتُ قَتْلَ ابن الزُّبير ؛ وجعلتِ الجيوشُ تدخلُ عليه من أبواب المسجد ، فكلما دخل قومٌ من باب ، حمل عليهم وحده حتى يُخرجهم ، فبينما هو على تلك الحال ، إذْ وقعت شُرفةٌ من شُرُفات المسجد على رأسه ، فصرعتْه ، وهو يتمثَّلُ :

أسماءُ يا أسماءُ لا تبْكيني   لمْ يبقَ إلا حسبي وديني

وصارِمٌ لانَتْ به يميني

قلت : ما إخال أولئك العسكر إلا لو شاؤوا ، لأتلفُوه بسهامهم ، ولكن حرصُوا على أنْ يُمسِكُوه عنْوةً ، فما تهيَّأ لهم ، فليته كفَّ عن القتال لما رأى الغلبة ، بل ليته لا التجأ إلى البيت ، ولا أحوج أولئك الظلمة والحجَّاج لا بارك الله فيه إلى انتهاك حرمة بيت الله وأمنه . فنعوذ بالله من الفتنة الصماء[2].

---

(١) السير (١ / ٢٥٠ - ٢٥١) .
(٢) السير (٣ / ٣٧٧ - ٣٧٨) .

إخــوان

ومن كلامِ أحمد قال : من لم يقدِرْ على نفسه بالبذلِ ، لم يقدِرْ علـى عـدوِّه بالقتل .

قلت : الشجاعة والسخاء أخوان ، فمن لم يَجُدْ بماله ، فلن يجود بنفسه[١].

كرامة وشجاعة

عن ابن أبي خالد ، عن مولى لآل خالد بن الوليد ، أن خـالداً قـال : مـا مـن ليلةٍ إليَّ فيها عروسٌ أنا لها مُحبٌ أحبّ إليَّ من ليلة شديدةِ البرد ، كثيرة الجليد في سرية أصبِّحُ فيها العدُوَّ[٢].

يونس بن أبي إسحاق : عن العيْزار بن حُريـث قـال : قـال خـالد : مـا أدري مـن أي يومـيَّ أفرُ : يـوم أراد الله أن يهـدي لي فيـه شـهادةً ، أو يـوم أراد الله أن يُهدى لي فيه كرامة .

قـال قيـس بـن أبي حـازم : سمعـتُ خـالداً يقـول : منعـني الجهـادُ كثـيراً مـن القِراءة[٣] ورأيته أُتـي بِسُـمٍ ، فقـالوا : مـا هـذا ؟ قـالوا : سُـمٌ ، قـال : بسـم الله وشربه . **قلت** : هذه والله الكرامة ، وهذه الشجاعةُ .

... وعن أبي السفر قال : نـزل خـالدُ بـن الوليـد الحيرة على أم بـني المرازبـة ، فقالوا : احذر السّم لا تسقك الأعاجم ، فقال : ائتوني به ، فأتي به ، فاقتحمـه وقال : باسم الله ، فلم يضُرَّه[٤].

---

(١) السير (١٠ / ٢٥٦) .

(٢) ذكره الهيثمي في ((المجمع)) ٣٥٠/٩ عن قيس أيضاً ، ونسبه إلى أبي يعلى ، وقال : ورجاله رجال الصحيح. وذكره الحافظ في ((المطلب العالية)) (٤٠٣٩) عن قيس بن أبي حازم ، به .

(٣) ذكره الحافظ في ((المطالب العالية)) (٤٠٤١) بلفظ : ((قـال خالد بـن الوليـد : لقد منعـني كثيراً من قراءة القرآن ، الجهاد في سبيل الله)) . ونسبه الهيثمي ٣٥٠/٩ إلى أبي يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .

(٤) ذكره الحافظ في ((المطالب العالية)) (٤٠٤٣) ونسبه إلى أبي يعلى . وذكره الهيثمي في ((المجمع)) ٣٥٠/٩ وقال : رواه أبو يعلى ، والطبراني بنحوه ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح ، وهو مرسل . ورجالهما ثقات إلا أن أبا سفر لم يسمع من خالد والله أعلم .

... وعن الأعمش ، عـن خيثمـة ، قال أُتـي خـالد بـن الوليـد برجـل معـه زقُّ خمر ، فقال : اللهم اجعله عسلاً ، فصار عسلاً [١].

رواه يحيى بنُ آدم ، عن أبي بكر ، وقال : خلاً بـدل العسـل ، وهـذا أشبه ، ويرويه عطاءُ بن السائب عن مُحارب بن دثار مرسلاً [٢].

---

(١) نسبه الحافظ في ((الإصابة)) ٧٣/٣ إلى ابن سعد من طريقين ، وإلى ابن أبي الدنيا ، وقال : رواه ابـن أبي الدنيا بإسناد صحيح ، عن خيثمة قال ... ، وانظر ((الإصابة)) ٧٣/٣ ففيها الروايتان .

(٢) السير (١ / ٣٧٥ - ٣٧٦) .

أبدع «طلقٌ» وأوجز

وقال رحمه الله في ترجمة : طلق بن حبيب العتري بصريٌّ زاهدٌ كبير ، من العلماء العاملين .

وكان طيِّب الصوت بالقرآن ، برًّا بوالديه .

رُوي عن طاووس ، قال : ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه . وكان ممن يخشى الله تعالى .

عاصم الأحول ، عن بكر المزني ، قال : لمَّا كانت فِتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب : اتَّقوها بالتقوى . فقيل له : صف لنا التقوى ، فقال : العملُ بطاعة لله ، على نور من الله ، رجاء ثواب الله ، وترك معاصي الله ، على نور من الله ، مخافة عذاب الله .

قلت : أبدع وأوجز ، فلا تقوى إلا بعمل ، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتِّباع . ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص للهِ ، لا ليقال : فلان تارك للمعاصي بنور الفقه ، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها ، ويكونُ الترك خوْفاً من الله ، لا لِيُمدح بتركها ، فمن داوم على هذه الوصيَّة فقد فاز [1].

به اقتدِهْ

روى حمّاد بن زيد ، عن عمرو بن مالك ، سمع أبا الجوْزاء يقول : ما لعنتُ شيئاً قطُّ ، ولا أكلت شيئاً ملعوناً قط ، ولا آذيتُ أحداً قطٌّ .

قلت : انْظُرْ إلى هذا السيِّد ، واقتدِ به [2].

---

(١) السير (٤ / ٦٠١) .

(٢) السير (٣٧١/٤) .

ارتفع بالتقوى

يزيد بن أبي حبيب الإمام الحجة ، مفتي الديار المصرية ، أبو رجاء الأزدي ، مولاهم المصري وقيل : كان أبوه سُويد مولى امرأة مولاة لبني حسل ، وأمه مولاة لتُجيب .

وهو من صغار التابعين وكان من جِلّة العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى مع كونه مولى أسود [١].

هكذا الهمم

قال ابنُ حِبّان في أثناء كتاب « الأنواع » : لعلنا قد كَتَبْنا عن أكثر منْ ألفي شيخ .

قلت : كذا فلتكنِ الهمم ، هذا مع ما كان عليه من الفقه ، والعربية ، والفضائل الباهرة ، وكثرة التّصانيف [٢].

ملكت فاسجح

عن ابن عباس ، أنه قال للزبير يوم الجمل : هذه عائشة تُملّكُ لقرابتها طلحة ، فأنت علام تُقاتل قرِيبك علياً ! فرجع الزُّبيرُ ، فلقيه ابن جُرْموز ، فقتله .

قلت : قد سقتُ وقعة الجمل مُلخّصة في مناقب عليٌ ، وإن علياً وقف على خِباء عائشة يلومها على مسيرها . فقالت : يا ابن أبي طالب ، ملكت فأَسْجحْ . فجهَّزها إلى المدينة ، وأعطاها اثني عشر ألفاً . فرضي الله عنه وعنها [٣].

---

(١) السير (٣١/٦) .
(٢) السير (١٦ / ٩٤) .
(٣) السير (٢ / ١٧٨) .

٢- مساوئ الأخلاق :

ما الحيلة ؟

كان فقيهاً ، إماماً ، مُفتياً ، ومن أئمة الحديث ، وكان يقول : من قال : ابن عُلَيَّة ، فقد اغتابني .

قلت : هذا سوءُ خلقٍ رحمه الله ، شيءٌ قد غلب عليه ، فما الحيلة ؟ قد دعا النبي ﷺ غير واحد من الصحابة بأسمائهم مُضافاً إلى الأم ، كالزُّبير: ابن صفية ، وعمَّار : ابن سُمية [١].

زعر الأخلاق

قال السَّرَّاج : كان فيه زعارَّة [٢].

وقال داود بن الحسين البيْهقيُّ : كنا نختلف إلى عمرو بن زرارة ، فخرج علينا يوماً ، فضحك رجل ، فقال عمرو : هب التحرُّج. أليس التقى ؟ هب التقى ، أليس الحياء ؟ ثم قام ودخل.

قلت : قد يقال للزعر الأخلاق : هب حسن الخلق ذهب ، أليس الحلم ، وهب الحلم ذهب ، أليس العفو [٣].

(١) السير (١٠٨/٩) ترجمة الإمام العلامة الحافظ الثبت إسماعيل بن إبراهيم بن عليّة .

(٢) يقال في خلقه زعارة ، بتشديد الراء وتخفيفها ، أي شراسة وسوء الخلق.

(٣) السير (٤٠٧/١١) ترجمة الإمام المحدث الثبت عمرو بن زرارة بن واقد .

إثم كبير

قال أبو سعيد بن يونس ، كان أبوه من طبرِستان جندياً مـن العجـم ، وكـان أحمدُ حافظاً للحديث . ذكره النسائيُّ يوماً ، فرماه ، وأساء الثناء عليه ، وقال : حدثنامعاوية بن صالح ، سمعتُ يحيى بـن معين يقـول : أحمد بـن صالح كذابٌ يتفلسف . ثم قال ابنُ يونس : لم يكن عندنـا بحمد الله كما قال النسائي ، ولم يكن له آفةٌ غير الكِبر .

وقال ابن عدي : سمعتُ عبـدالله بـن محمـد سَلْم المقدِسي يقـولُ : قدمتُ مصر ، فبدأت بحرملة ، فكتبت عنه كتاب عمرو بـن الحارث ، ويونس بـن يزيد والفوائد ، ثم ذهبتُ إلى أحمد بن صالح فلم يُحدِّثني ، فحملتُ كتـاب يونس ، فخرَّقتُه بين يديه ، أُراضيه بذلك وليتني لم أُخرِّقْه فلم يرض ، ولم يُحدِّثني .

قلت : نعـوذ بـالله من هـذه الأخـلاق . صدق أبـو سعيد بـن يونـس حيث يقولُ: لم يكن له آفة غير الكِبْر ، فلو قُدِح في عدالته بذلك ، فإنه إثمٌ كبير[١].

غلو وإسراف

قال عطاءُ بن السائب :سمعت عبدالله بن شـدَّاد يقـولُ : وددتُ أنِّي قمتُ على المنبر غدوة إلى الظهر ، فأذكر فضائل عليٍّ بن أبـي طـالب رضـي الله عنه ، ثم أنزلُ ، فيُضرب عنقي .

قلت : هذا غلُوٌ وإسراف [٢].

---

(١) السير(١٢/١٦٥-١٧٣-١٧٤) ترجمة الإمام الكبير حافظ زمانه أحمد بن صالح بن الطبري
(٢) السير (٣ / ٤٨٩).

لا ينبغي

وعن رجل قال : عندنا بخراسان يظنُّون أن أحمد لا يُشبه البشر ، يظنُّون أنه من الملائكة .

وقال آخر : نظرةٌ من أحمد تعدلُ عبادة سنة .

قلت : هذا غلوٌ لا ينبغي ، لكن الباعث له حبُّ ولي الله في الله [١].

الأحمق المغرور

روى يحيى بن أبي بُكَيْر الكِرْمانيّ ، عن أبيه ، قال : كان شَهْر بن حَوْشب على بيت المال ، فأخذ خريطة فيها دراهم فقيل فيه :

لَقَدْ باع شهرٌ دِينهُ بخريطةٍ ... فمنْ يأمنُ القُرَّاء بعْدك يا شهْرُ

أخذْتَ بها شيئاً طفِيفاً وبعتَهُ ... مِن ابن جريرٍ إنَّ هذا هو الغدْرُ

قلت : إسنادها منقطع ، ولعلَّها وقعتْ ، وتاب منها ، أو أخذها مُتأوِّلاً أنَّ له في بيت مالِ المسلمين حقاً ؛ نسألُ الله الصَّفْح .

ومن مليح قول شهر : من ركب مشهوراً من الدواب ، ولبس مشهوراً من الثياب ، أعرض الله عنه ، وإنْ كان كريماً .

قلت : منْ فعله لِيُعزَّ الدين ، ويرغم المنافقين ، ويتواضع مع ذلك للمؤمنين ، ويحمد الله رب العالمين ، فحسنٌ . ومن فعله بذخاً وتيهاً أذله الله وأعرض عنه ؛ فإن عُوتب ووُعظ فكابر وادَّعي أنه ليس بمُختال ولا تيَّاهٍ فأعرضْ عنه فإنه أحمق ، مغرورٌ بنفسه [٢].

---

(١) السير (١١ / ٢١١).
(٢) السير (٤ / ٣٧٥ - ٣٧٦).

لعن الله هذه المروءة

قال محمد بن عبْدالله بن عبدالحكيم : سمعتُ الشافعي يقول : قال حجاج ابن أرْطأة : لا تتم مروءةُ الرَّجل حتى يترك الصلاة في الجماعة .

قلت : لعن اللهُ هذه المروءة ، ما هي إلا الحُمق والكِبْر ، كيلا يُزاحمه السُّوْقة ! وكذلك تجدُ رؤساء وعُلماء يُصلُّون في الجماعة في غير صف ، أو تُبْسط له سجادة كبيرة حتى لا يلتصق به مُسلم . فإنا لله ! [1].

العجب

وفي ((الحلية)) : روى أبو الأشهب ، عن رجل ، قال مُطرِّف بن عبدالله : لأنْ أبيت نائماً وأُصبح نادماً أحبُّ إليّ منْ أن أبيت قائماً وأصبح مُعْجباً .

قلت : لا أفلح - والله - من زكّى نفسه أو أعجبته [2].

---

(١) السير (٧ / ٧٢)ترجمة حجاج بن أرطاه بن ثور الامام العلامة مفتي الكوفة أحد الأعلام.
(٢) السير (٤ / ١٩٠) .

قتله حب السؤدد

قال السَّمعاني : سمعتُ غير واحد يقولون : كان الأبِيورْدي يقول في صلاته : اللهم ملِّكني مشارق الأرض ومغاربها .

قلت : هو ريَّان مِن العلوم ، موصوفٌ بالدين والورع ، إلا أنه تيَّاه ، مُعْجبٌ بنفسه ، قد قتله حُبُّ السُّؤدُدِ ، وكان جميلاً لبَّاساً هيئة ورُواء ، وكان يفتخِر ، ويكتب اسمه : العبشمي المُعاوي ، يقالُ : أنه كتب رُقعة إلى الخليفة المستظهِر بالله ، وكتب : المملوكُ المعاوي [١]، فحك المستظهر الميم ، فصار : العاوي ، وردَّ الرُّقعة إليه [٢].

دعوى

قال حماد بن زيد : سمعتُ أيوب يقول : ما أقام قتادة عن محمد حديثاً ، وقال نصر بن علي : حدثنا أبي ، حدثنا خالد بن قيس ، قال : قال قتادة : ما نسيتُ شيئاً ، ثم قال يا غلام : ناولني نعلي ، قال : نعلُك في رجلك .

قلت : هذه الحكاية غيرة ، فإن الدَّعاوى لا تُثمر خيراً [٣].

---

(١) نسبة إلى معاوية الأصغر المقدم ذكره في عمود نسبه ، وهو معاوية بن محمد بن عثمان بن عنبسة بن عتبة بن عثمان بن أبي سفيان .

(٢) السير (١٩ / ٢٨٥) ترجمة الإمام الأستاذ العلامة الأكمل محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد المعاوي الأبيوردي اللغوي .

(٣) السير (٥ / ٢٧٩) .

عثرة الشباب

ابن عدي : أنبأنا علي بن عبدالله الدَّاهري ، سمعتُ أحمد بن محمد بن عمرو كُركُرة ، سمعتُ علي بن الحُسين بن الجُنيد ، سمعت أبا داود يقول : ابني عبدُالله كذَّاب .

قال ابنُ صاعد : كفانا ما قال فيه أبوه .

قلت : لعلَّ قول أبيه فيه - إنْ صحَّ - أراد الكذب في لهجته ، لا في الحديث ، فإنَّه حُجَّة فيما ينقله ، أو كان يكذِب ويُورِّي في كلامه ، ومن زعم أنه لا يكذب أبداً ، فهو أرْعن ، نسألُ الله السَّلامة من عثْرة الشباب ، ثم إنه شاخ وارعوى ، ولزم الصَّدق والتُّقى [1].

خلال الردى

قال أبو نُعيم الحافظ : سمع الكثير من قُتيْبةَ بن سعيد . وسمعتُ محمد بن عبدالله الرَّازي بنسا أنه سمعهُ يقول : ذهابُ الإسلام من أربعة : لا يَعْملون بما يعْلمون ، ويعْملون بما لا يعْلمون ، ولا يتعلَّمون ما لا يعْلمون ، ويمنعون الناس من العلم .

قلت : هذه نعوتُ رؤوس العرب و التُّرك ، وخلق من جهلة العامة ، فلو عمِلوا بيسير ما عرفوا ، لأفْلحوا ، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوُفِّقوا ، ولو فتَّشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر - لا أهل الحِيل والمكر - لسعِدوا ، بل يُعرِضون عن التعلُّم تيهاً وكسلاً ، فواحدة من هذه الخِلال مُردية ، فكيف بها إذا اجتمعت ؟! فما ظنُّك إذا انضم إليها كِبرٌ ، وفجور ، وإجرام ، وتجهرُمٌ على الله ؟! نسألُ العافية [2].

---

(١) السير (١٣ / ٢٢٨ - ٢٣١) .

(٢) السير (١٤ / ٥٢٥) ترجمة الإمام الكبير الزاهد العلامة شيخ الإسلام محمد بن الفضل البلخي .

كن خصماً لربك على نفسك

قال ابن الجار : وكنّا نسمع من (ابن طَبَرْزد) منه يوماً أجمع ، فنصلي ولا يُصلي معنا ، ولا يقوم لصلاة ، وكان يطلب الأجر على رواية الحديث ، إلى غير ذلك من سوء طريقته ، وخلّف ما جمعه من الحُطام ، لم يُخرج منه حقاً لله عز وجل .

وسمعت القاضي أبا القاسم ابن العديم يقول : سمعت عبدالعزيز بن هلالة يقول ، وغالب ظني أنني سمعته من ابن هلالة بخُراسان ، قال : رأيتُ عمر بن طبرْزذ في النوم بعد موته وعليه ثوب أزرق ، فقلت له : سألتك بالله ما لقيت بعد موتك ؟ فقال : أنا في بيت من نار ، داخل بيت من نار ، فقلتُ : ولم ؟ قال : لأخذ الذّهب على حديث رسول الله ﷺ .

قلت : الظاهر أنه أخذ الذهب وكنزه ولم يزكه ، فهذا أشدُّ من مُجرد الأخذ ، فمن أخذ من الأمراء والكبار بلا سؤال وهو محتاج فهذا مُغْتفر له ، فإن أخذ بسؤال رُخّص له بقدر القوت ، وما زاد فلا ، ومن سأل وأخذ فوق الكفاية ذم ، ومن سأل مع الغِنى والكفاية حرم عليه الأخذ ، فإن أخذ المال والحالة هذه وكنزه ولم يؤد حق الله فهو من الظالمين الفاسقين ، فاستفتِ قلبك، وكن خصماً لربك على نفسك .

وأما تركه الصلاة فقد سمعت ما قيل عنه ، وقد سمعتُ أبا العباس ابن الظاهريّ يقول : كان ابن طبرْزذ لا يصلي ، وتوفي أبو حفص بن طبرْزذ في تاسع رجب سنة سبع وست مئة ، ودفن بباب حرب ، والله يسامحه ، فمع ما أبدينا من ضعفه قد تكاثر عليه الطلبة ، وانتشر حديثه في الآفاق وفرح الحُفّاظ بعواليه ، ثم في الزمن الثاني تزاحموا على أصحابه ، وحملوا عنهم الكثير وأحسنوا به الظن ، والله الموعد [1].

---

(١) السير (٢١ / ٥١١ - ٥١٢) ترجمة الشيخ المسند الكبير الرحلة عمر بن محمد بن معمَّر البغدادي المعروف بابن طبرْزذ .

ي- العبادة

كسب اليد

عن إسماعيل بن عبيد الله ، قال : بينما أبو ثعلبة الخشني ، وكعب جالسين ، إذ قال أبو ثعلبة يا أبا إسحاق ، ما منْ عبد تفرَّغَ لعبادة الله إلا كفاه الله مؤونة الدنيا .

قال كعب : فإنَّ في كتاب الله المُنزلِ : منْ جعل الهُمُوم همَّاً واحداً ، فجعله في طاعة الله ، كفاه الله ما همَّه ؛ وضمن السماوات والأرض ، فكان رزقُه على الله وعلُمه لنفسه . ومن فرَّق همومه ، فجعل في كل واد همَّاً ؛ لم يُبالِ الله في أيِّها هلك .

قلت : مِن التفرُّغ للعبادة السعيُ في السبب ، ولا سيما لمن له عيال ، قال النبي ﷺ : ((**إنَّ أفضل ما أكل الرجُلُ مِنْ كسْبِ يمينه**)) [١].

أما من يعجز عن السبب ، لضعف ، أو لِقِلة حيلة ، فقد جعل اللهُ له حظّاً في الزكاة [٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في ((الكبير)) و ((الأوسط)) من حديث ابن عمر بلفظ ((أفضل الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور)) ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في ((المجمع)) ٦١/٤ ، وفي الباب عن رافع بن خديج عن أحمد ١٤١/٤ ، والحاكم ١٠/٢ بلفظ : ((أطيب الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور)) وسنده حسن في الشواهد .

(٢) السير (٢ / ٥٦٩ - ٥٧٠) .

يندم ويسوء مزاجه

وصحَّ أنَّ رسول الله ﷺ نازله (عبد الله بن عمرو بن العاص) إلى ثلاث ليالٍ ، ونهاهُ أن يقرأَهُ في أقلَّ من ثلاثٍ وهذا كان في الذي نزلَ من القرآن ، ثم هذا بعد هذا القول نزل ما بقي من القرآن . فأقلُّ مراتب النهي أن تكره تلاوة القرآن كلّه في أقل من ثلاث ، فما فقه ولا تدبَّر من تلا في أقل من ذلك . ولو تلا ورتل في أسبوع ، ولازم ذلك ، لكان عملاً فاضلاً ، فالدِّين يُسرٌ ، فوالله إن ترتيل سُبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة ، والضحى ، وتحية المسجد ، مع أذكار المأثورة الثابتة ، والقول عند النوم واليقظة ، ودُبُر المكتوبة والسحر ، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصاً لله ، مع الأمر بالمعروف ، وإرشاد الجاهل وتفهيمه ، وزجر الفاسق ، ونحو ذلك ، مع أداء الفرائض في جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسارٍ وإيمان ، مع أداء الواجب ، واجتناب الكبائر ، وكثرة الدُّعاء والاستغفار ، والصدقة وصلة الرحم ، والتواضع ، والإخلاص في جميع ذلك ، لشُغْلٌ عظيم جسيم ، ولمقامُ أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين ، فإنَّ سائر ذلك مطلوب . فمتى تشاغل العابد بختمةٍ في كل يوم ، فقد خالف الحنيفية السمحة ، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه ولا تدبَّر ما يتلوه .

هذا السيد العابد الصاحبُ كان يقول لما شاخ : ليتني قبلتُ رُخصة رسول الله ﷺ . وكذلك قال عليه السلام في الصوم ، وما زال يناقصُه حتى قال له : ((**صُم يوماً وأفطر يوماً ، صوم أخي داود عليه السلام**)) [١].

وثبت أنه قال : ((**أفضل الصيام صيام داود**)) [٢] ونهى عليه السلام عن صيام الدهر [٣]. وأمر عليه السلام بنوم قسطٍ من الليل ، وقال : ((**لكني أقوم**

---

(١) هو قطعة من الحديث السابق .

(٢) أخرجه البخاري : في قيام الليل : باب من نام عند السَّحَر ، ومسلم في الصيام من حديث عبدالله بن عمرو .

(٣) أخرجه البخاري : في الصوم : باب صوم داود ، ومسلم في الصيام .

وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وآكل اللحم ، فمن رغب عن سُنتي فليس مني)) [١].

وكلُّ من لم يزُمَّ نفسه في تعبده وأوراده بالسُّنة النبوية ، يندم ويترهب ويسوء مزاجه ، ويفوته خيرٌ كثيرٌ من متابعة سنة نبيه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ، الحريص على نفعهم ، وما زال ﷺ مُعلِّماً للأمة أفضل الأعمال ، وآمراً بهجر التَّبتُّل والرهبانية التي لم يُبعث بها ، فنهى عن سرد الصوم ، ونهى عن الوصال ، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير ونهى عن العُزبة للمستطيع ، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي . فالعابد بلا معرفةٍ لكثير من ذلك معذورٌ مأجور ، والعابدُ العالم بالآثار المحمدية المتجاوز لها مفضولٌ مغرور ، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة ، وجنبنا الهوى والمخالفة [٢].

---

(١) أخرجه البخاري : ٨٩/٩ ، ٩٠ ، ومسلم في أول النكاح .
(٢) السير (٣ / ٨٤ - ٨٦) .

ك- الخــوارق

ويتضمن :

١- كرامات الأولياء

٢- عجائب رويت

١- كرامات الأولياء :

الخوارق للضعفاء

عن بكر المُزنّي - وهو في ((الزهد)) لأحمد - قال : كان الرجل في بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ ، فمشى في الناس ، تُظِلُّهُ غمامة .

قلت : شاهده أن الله قال : ﴿ **وظلّلْنا عليْكم الْغمام** ﴾ [البقرة : ٥٧ الأعراف : ١٥٩] ففعل بهم تعالى ذلك عاماً ؛ وكان فيهم الطائع والعاصي.فنبينا صلواتُ الله عليه أكرمُ الخلق على ربه ، وما كانت له غمامةٌ تُظِلُهُ ولا صحَّ ذلك [١] ؛ بل ثبت أنه لـمَّا رمى الجمْرة كان بلال يُظلُّهُ بثوبه من حر الشمس . ولكنْ كان في بني إسرائيل الأعاجيبُ والآيات ؛ ولما كانتْ هذه الأمة خير الأمم ، وإيمانهم أثبت ، لم يحتاجوا إلى برهان ، ولا خوارق ، فافهم هذا ؛ وكلما ازداد المؤمن علماً ويقيناً ، لم يحتج إلى الخوارق ، وإنَّما الخوارق للضعفاء ، ويكثُر في اقتراب الساعة [٢].

---

(١) يريد المؤلف رحمه الله خبر التقاء الرسول ﷺ ببحيري الراهب وقد أورده في تاريخه الكبير ٢/٢٦-٣٠ واستنكره جداً وقال : وفيه ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطُرُقية لكنَّ الحافظ ابن حجر وغيره صححوا الحديث، وعدوا لفظ (وبعث معه أبو بكر بلالاً) منكراً .

(٢) السير (٤ / ٥٣٣) .

الورطـة

قال أبو إسحاق الجوزجاني : عليُّ بن الجعْد مُتشبِّثٌ بغير بدعـة ، زائغٌ عـن الحق .

وقال أبو يحيى الناقد : سمعتُ أبا غسان الدوري يقول : كنتُ عنـد عليٍّ بـن الجعد ، فذكروا حديث ابن عمر : ((كنا نُفـاضِلُ علـى عهـد النـبي ﷺ ، فنقـول : خير هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان ، فيبلغ النبي ﷺ ، فـلا ينكـره)) . فقـال علـيٌّ : انظـروا هـذا الصبيَّ هـو لم يحسـن أن يطلـق امرأتـه يقـول : كُنّـا نفاضل وكنتُ عنده فذكروا الحديـث : ((إن ابـني هـذا سيِّد))[١] قـال : مـا جعلـه الله سيداً .

قلت : أبو غسان لا أعرِفُ حاله ، فإن كان قد صدق ، فلعل ابن الجعْد قد تاب من هذه الورطة ، بل جعله سيِّداً على رغم أنفِ كل جاهل ، فإن مـنْ أصرَّ على مثل هذا من الرد على سيِّد البشر ، يكفر بلا مثنويَّة ، وأي سُؤددٍ أعظمُ مـن أنه بويع بالخلافة ، ثم نزل عن الأمر لقرابته ، وبايعه على أنه وليُّ عهد المؤمنـين ، وأنَّ الخلافـة لـه مـن بعـد معاويـة حسـماً للفتنـة ، وحقنـاً للدمـاء ، وإصلاحـاً بـين جيـوش الأمـة ، ليتفرَّغُـوا لجهـاد الأعـداء ، ويخلصـوا مـن قِتـال بعضهـم بعضـاً ، فصـحَّ فيـه تفرُّسُ جده ﷺ ، وعُـدَّ مـن المعجـزات ، ومـن بـاب إخبـاره بـالكوائن بعده ، وظهر كمال سُؤْدُدِ السيد الحسن بن علي رَيحانـةِ رسـول الله ﷺ وحبيبـه ، ولله الحمد[٢] .

---

(١) قاله ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنه ، وتمامه : ((ولعـل الله أن يصلـح بـه فئتـين مـن المسـلمين عظيمتين)) أخرجه البخاري .

(٢) السير (١٠ / ٤٦٣ - ٤٦٤) .

فكيف يعرف غيره

قال إبراهيم الحرْبيُّ : سُئل أحمد عن المسلم يقول للنصراني : أكرمك الله. قال : نعم ، ينوي بها الإسلام .

وقيل : سُئل أحمد عن رجل نذر أنْ يطوف على أربع ، فقال : يطوف طوافين ، ولا يطفْ على أربع .

قال ابن عقيل : من عجيبٍ ما سمعته عن هؤلاء الأحداث الجهال ، أنهم يقولون : أحمدُ ليس بفقيه ، لكنه مُحدِّث . قال : وهذا غاية الجهل ؛ لأن له اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم ، وربما زاد على كبارهم.

قلت : أحسِبهم يظنونه كان محدِّثاً وبَسْ ، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا . ووالله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث ، ومالكٍ ، والشافعي ، وأبي يوسف ، وفي الزهد والورع رتبة الفُضيل ، وإبراهيم بن أدهم ، وفي الحِفظِ رتبة شُعبة ، ويحيى القطان ، وابن المديني . ولكن الجاهل لا يعلمُ رتبة نفسه ، فكيف يعرف رتبة غيره [1] ؟ ! !

---

(١) السير (١١ / ٣٢١) .

العقل يحيلها

أخبرنا إسحاقُ بنُ أبي بكر ، أخبرنا ابنُ خليل ، أخبرنا اللبان ، عن الحداد ، أخبرنا أبو نُعيم ، سمعتُ ظفر بن أحمد ، حدثني الحسين بن علي ، حدثني أحمد بن الورَّاق ، حدثني عبد الرحمن بن محمد ، وأخبرنا ابن الفراء ، أخبرنا ابن قدامة ، أخبرنا ابن خُضير ، أخبرنا ابن يوسف ، أخبرنا البرمكي ، أخبرنا ابن مرْدك ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم ، حدثني أبو بكر محمد بن عبَّاس المكي ، سمعت الورْكاني جارَ أحمد بن حنبل ، قال : يوم مات أحمد بن حنبل وقع المأتم والنَّوح في أربعة أصناف : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وأسلم يوم مات عشرون ألفاً . وفي رواية ظفر : عشرة ألاف من اليهود والنصارى والمجوس .

هذه حكاية منكرة ، تفرَّد بنقلها هذا المكي عن هذا الوركاني ، ولا يُعرف ، وما ذا بالوركاني المشهور محمد بن جعفر الذي مات قبل أحمد بن حنبل بثلاث عشرة سنة ، وهو الذي قال فيه أبو زرعة : كان جاراً لأحمد بن حنبل . ثم العادةُ والعقلُ تحيل وقوع مثل هذا . وهو إسلام ألوفٍ من الناس لموتِ وليٍّ لله ، ولا ينقلُ ذلك إلا مجهولٌ لا يعرف . فلو وقع ذلك ، لا شتهر ولتواتر لتوفر الهمم والدواعي على نقل مثله . بل لو أسلم لموته مئة نفس ، لقُضي من ذلك العجب . فما ظنك ؟ ! [1].

(١) السير (١١ / ٣٤٣) .

حماه الله وخار له

قال سَلاَّمُ بن مسكين : سمعتُ الحسن يقول : لما كان من أمر الناس ما كان زمن الفتنة ، أتوا ابن عمر ، فقالوا : أنت سيِّدُ الناس وابن سيِّدهم ، والناس بك راضون ، اخرجْ نُبايعْكَ . فقال : لا والله لا يهراق فيَّ محجمةٌ من دم ولا في سببي ما كان فيَّ روح .

وعن نافعٍ ، قال : قال أبو موسى يوم التحكيم : لا أرى لهذا الأمر غير عبدالله بن عمر . فقال عمرو بن العاص لابن عمر : إنا نُريد أن نبايعك ، فهل لك أن تُعْطى مالاً عظيماً على أنْ تدع هذا الأمر لمن هو أحرصُ عليه منك ؟ فغضِب ، وقام . فأخذ ابن الزُّبير بطرف ثوبه ، فقال : يا أبا عبدالرحمن إنما قال : تُعطِي مالاً على أن أُبايعك .

فقال : والله لا أُعطي عليها ولا أُعطى ولا أقبلها إلا عن رضىً من المسلمين .

قلت : كاد أن تنعقد البيعة له يومئذ ، مع وجود مثل الإمام عليٍّ وسعد ابن أبي وقاص ، ولو بُويع ، لما اختلف عليه اثنان ، ولكن الله حماه وخار له[1].

---

(١) السير (٣ / ٢٢٦ - ٢٢٧) .

٢- عجائب رويت :

تُبْ .. تُبْ

قال القاضي أبو الطيب : كنا في مجلس النظر بجامع المنصور ، فجاء شابٌ خُراساني ، فسأل عن مسألةِ المُصرَّاة [١] ؛ فطالب بالدليل ، حتى استدلَّ بحديث أبي هريرة الوارد فيها .

فقال - وكان حنفياً - : أبو هريرة غيرُ مقبول الحديث .

فما استتمَّ كلامه ، حتى سقط عليه حيَّةٌ عظيمةٌ من سقف الجامع ، فوثب الناسُ من أجلها ، وهرب الشابُّ منها ، وهي تتبعه .

فقيل له : تُبْ ، تُبْ . فقال : تبتُ . فغابت الحيةُ ، فلم يُر لها أثرٌ. **إسنادها أئمة** [٢].

غرائب مجاهد

لمجاهد أقوال وغرائب في العالم والتفسير تُسْتنكر . وبلغنا أنه ذهب إلى بابل ، وطلب من متولِّيها أنْ يوقفهُ على هاروت وماروت . قال : فبعث معي يهودياً ، حتى أتينا تنُّوراً في الأرض ، فكشف لنا عنهما ، فإذا بهما معلقان منكَّسان ، فقلتُ : آمنت بالَّذي خلقكما ؛ فاضطربا ، فغُشي عليَّ وعلى اليهودي ؛ ثم أفقنا بعد حين ، فلامني اليهودي وقال : كِدْت أن تُهلِكنا [٣].

---

(١) المُصرَّاة : الناقة أو البقرة أو الشاة يُصرِّي اللبن في ضرعها ، أي : يجمع ويحبس ، ثم تباع ، فيظنها المشتري كثيرة اللبن ، فيزيد في ثمنها ، فإذا حلبها مرتين أو ثلاثاً ، وقف على التصرية والغرور. وحديث أبي هريرة الوارد فيها عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال : ((ولا تصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد ذلك ، فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، إن رضيها أمسكها ، وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر)) رواه الشيخان ومالك ، أي : يردها بعيب التصرية ، ويرد معها صاعاً من تمر مكان ما حلب من اللبن ، وهو قول مالك والشافعي والليث بن سعد وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وأبي ثور .

(٢) السير (٢ / ٦١٨ - ٦١٩) .

(٣) السير (٤ / ٤٥٥) .

لا يثبت هذا

قال عبد الواحد بن زيد : كنت مع أيوب السَّخْتِيانيّ على حِراء ، فعطشت عطشاً شديداً ، حتى رأى ذلك في وجهي ، وقلت لـه ، قـد خفت على نفسي . قال : تسْتُر عليَّ ؟ قلت نعـم ، فاستحلفني ، فحلفت لـه إلاَّ أخبر أحداً ما دام حياً. فغمز برجله على الحراء ، فنبع الماءُ ، فشربت حتى رويتُ، وحملت معي من الماء .

قلت : لا يثبت هذا ، وعثمان تالفٌ [١].[٢]

في صحة هذا نظر

قال أحمد بن النَّضْر الهلالي ، سمعت أبي يقول : كنت في مجلس سفيان بن عُيينة ، فنظر إلى صبي ، فكأنَّ أهل المسجد تهاونوا به لصغره ، فقال سفيان : ﴿**كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم**﴾ [النساء : ٩٤] ثم قال : يا نضْر لو رأيتني ولي عشرُ سنين ، طولي خمسة أشبار ، ووجهي كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابي صغار ، وأكمامي قصار ، وذيْلي بمقدار ، ونعلي كآذان الفار ، أختلف إلى علماء الأمصار ، كالزُّهري ، وعمرو بن دينار ، أجلسُ بينهم كالمسمار ، ومحْبرتي كالجوزة ، ومقلمتي كالموزة ، وقلمي كاللوزة ، فإذا أتيتُ، قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير . ثم ضحك .

قال الذهبي : في صحة هذا نظر ، وإنما سمع من المذكورين وهو ابن خمس عشرة سنة أو أكثر [٣].

---

(١) إسناده مسلسل بالضعفاء ، وعبدالواحد بن زيد متروك .
(٢) السير (٦ / ٢٣) .
(٣) السير (٨ / ٤٥٩) .

باطلة المعصوب

البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا الزبيرُ بن عبد الواحد الحافظ ، حدثنا إبراهيم بن عبد الواحد البلدي ، سمعتُ جعفر بن محمد الطيالسي ، يقول: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرُّصافة ، فقام قاصٌّ ، فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالا : حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس، قال رسول الله ﷺ : ((**من قال : لا إله إلا الله ، خلق الله من كل كلمة طيراً ، منقاره من ذهب ، وريشه مِنْ مرجان**)) . وأخذ في قصةٍ نحواً من عشرين ورقة ، وجعل أحمد ينظر إلى يحيى ، ويحيى ينظر إلى أحمد ، فقال : أنت حدثته بهذا ؟ فيقول : والله ما سمعت به إلا الساعة . فسكتا حتى فرغ ، وأخذ قِطاعه ، فقال له يحيى بيده : أن تعال . فجاء مُتوهِّماً لنوال . فقال : من حدثك بهذا ؟ فقال : أحمد وابن معين . فقال : أنا يحيى، وهذا أحمد، ما سمعنا بهذا قط. فإنْ كان ولا بدَّ والكذب، فعلى غيرنا . فقال : أنت يحيى بن معين ؟ فقال . نعم قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ما علمتُ إلا الساعة . كأنْ ليس في الدنيا يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل غيركما !! كتبتُ عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما . فوضع أحمدُ كمه على وجهه، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستُهزئ بهما .

هذه الحكاية اشتهرت على ألسنة الجماعة ، وهي باطلة . أظن البلدي وضعها ، ويعرف بالمعصوب . رواها عنه أيضاً أبو حاتم بن حبان فارتفعت عنه الجهالة [1].

---

(١) السير (١١ / ٣٠٠ - ٣٠١) .

فِرْيَةٌ بلا مُرْيَة

نقل السُّلمي حكايةً منكرة ، عن محمد بن عبدالله ، ونقلها ابنُ باكويه ، عن أبي بكر الغازي ، سمعا أبا بكرٍ الشَّبَّاك ، سمعتُ يوسف بن الحسين يقول : كان بين أبي سليمان الداراني وأحمد بن أبي الحواري عقدٌ لا يخالفه في أمر ، فجاءه يوماً وهو يتكلَّم في مجلسه ، فقال أحمد : إن التنور قد سُجِر ، فما تأمر؟ فلم يجبه ، فأعاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال : اذهب فاقعُد فيه - كأنَّه ضاق به- وتغافل أبو سُليمان ساعة ثم ذكر ، فقال : اطلبوا أحمد فإنه في التَّنُّور ، لأنه على عقدٍ أن لا يُخالفني ، فنظروا فإذا هو في التنور لم يحترق منه شعرة[1].

ولكن تحيله العادة

قال محمد بن الهيثم البَجَلي : كان ببغداد قائدٌ من قوَّاد المتوكلِ ، وكانت امرأتُهُ تلد البنات ، فحملت مرة ، فحلف القائد إنْ ولدتِ هذه المرة بنتاً قتلتُكِ بالسيف . فلما جلستْ للولادة هي والقابلة ، ألقت مثل الجُرِيِّب وهو يضْطرب فشقُّوهُ ، فخرج منه أربعون ابناً . وعاشُوا كلُّهم ، وأنا رأيتهُم ببغداد ركباناً خلف أبيهِم ، وكان اشترى لكل واحدٍ منهم ظئراً .

قال أبو بكر : فحضرت مجلس محمد بن إسماعيل البخاري ، فحدَّثه أبي بما حكى لنا ابن هيثم ، فقال : إنه صدوقٌ مستور .

قال غَنجار : توفي سنة تسعٍ وأربعين ومئتين .

قلت : وبكر ثقة . فسبحان القادر على كُلِّ شيء[2].

(١) السير (١٢ / ٩٣) .

(٢) السير (١٢ / ٣٣٠) ترجمة الحافظ المحدث محمد بن الهيثم البجلي .

إيلام وتخجيل

قال أبو حامد بن الشَّرْقي : سمعت عبد الرحمن يقول : احتلمت ، فدعا أبي عبد الرزاق ، وأصحاب الحديث الغرباء فلما فرغوا من الطعام قال : اشهدوا أن ابني قد احتلم وهو ذا يسمع من عبدالرزاق ، وقد سمع من سفيان ابن عُيينْة.

قلت : هذا الإعلام إيلامٌ للصبي ، وتخجيلٌ له [1].

قصص وعبر

قال الحاكم : حدثنا أبي ، سمِع الطَّهْماني يقول : رأيتُ بخوارزم امرأةً لا تأكل ولا تشرب ، ولا تروث .

وقال ولدُه أبوه صالح محمد بن عيسى : مات أبي في صفر ، سنة ثلاثٍ وتسعين ومئتين .

وقال يحيى العنبري : سمعتُ الطهماني يحكي شأن التي لا تأكل ولا تشرب ، وأنها عاشت كذلك نيفاً وعشرين سنة ، وأنه عاين ذلك .

قلت : سقتُ قِصَّتها في ((تاريخ الإسلام)) ، وهي : رحمة بنت إبراهيم ، قتل زوجها ، وترك ولدين ، وكانت مسكينة ، فنامت فرأت زوجها مع الشُّهداء ، يأكل على موائد ، وكانت صائمةً ، قالت : فاستأذنهم ، وناولني كِسرةً ، أكلتها ، فوجدْتُها أطيب من كل شيء ، فاستيقظتْ شبعانة. واستمرت .

وهذه حكاية صحيحة ، فسبحان القادر على كل شيء .

---

(١) السير (١٢/ ٣٤٢) ترجمة الحافظ المحدث الثقة الإمام عبد الرحمن بن الحكم بن بشر .

وحكى الشَّيخ عز الدين الفارُوثي : أن رجلاً بعد الست مئة كان بالعِراق ، دام سنين لا يأكل .

وحكى لي ثقات ممن لحِق عائشة الصَّائمة بالأندلس ، وكانت حيَّةً سنة سبع مئة ، دامت أعواماً لا تأكل [١].

لا يوبّخ

قال يحيى بن أكثم : صحبت وكيعاً في الحضر والسفر ، وكان يصوم الدهر ، ويختم القرآن كل ليلة .

قلت : هذه عبادةٌ يخضعُ لها ، ولكنَّها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضُولةٌ ، فقد صح نهيه عليه السلام عن صوم الدهر ، وصح أنه نهى أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، والدِّين يُسْرٌ ، ومتابعةُ السنة أولى ، فرضي الله عن وكيع ، وأين مثلُ وكيع ؟ ومع هذا فكان مُلازماً لشُربِ نبيذ الكوفة الذي يُسْكِرُ الإكثار منه فكان مُتأوِّلاً في شربه ، ولو تركه تورُّعاً ، لكان أولى به ، فإن من توقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، وقد صح النهي والتحريم للنبيذ المذكور ، وليس هذا موضع هذه الأمور ، وكل أحد يُؤخذ من قوله ويترك ، فلا قدوة في خطأ العلم ، نعم ، ولا يوبخ بما فعله باجتهاد ، نسأل الله المُسامحة [٢].

(١) السير (١٣ / ٥٧٢) .
(٢) السير (٩ / ١٤٢ - ١٤٤) .

صفات المحمديين

الطريقة المثلى هي المحمَّديَّة ، وهي الأخذُ من الطيبات ، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف ، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الرسلُ كلوا من الطيبات، واعملوا صالحاً** ﴾ [المؤمنون : ٥١]. وقد قال النبي ﷺ : ((**لكني أصوم وأُفطر، وأقوم وأنام ، وآتي النساء ، وآكل اللحم . فمن رغب عن سنتي فليس مني**))[١]، فلم يشرع لنا الرَّهبانية ، ولا التَّمزُّق ولا الوصال بل ولا صوم الدهر ، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة ، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه ، كما قال تعالى : ﴿ **لِيُنفقْ ذو سعةٍ منْ سعتِهِ** ﴾ [الطلاق : ٧] وقد كان النساء أحبَّ شيء إلى نبينا ﷺ ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمِسْك ، وهو أفضل الخلق وأحبُهم إلى الله تعالى . ثم العابدُ العريُّ من العلم ، متى زهد وتبتَّل وجاع ، وخلا بنفسه ، وترك اللحم والثمار ، واقتصر على الدُّقة والكِسْرة ، صفت حواسه ولطُفَت ، ولازمته خطرات النفس ، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر ، لا وجود لذلك الخطاب - والله - في الخارج ، وولج الشيطان في باطنه وخرج ، فيعتقد أنه قد وصل ، وخُوطب وارتقى ، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له ، فينظر الى المؤمنين بعين الازدراء ، ويتذكر ذنوبهم ، وينظر إلى نفسه بعين الكمال ، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه وليٌ ، صاحب كرامات وتمكنٍ ، وربما حصل له شك ، وتزلزل إيمانه ، فالخلوة والجوع أبوجاد الترهُّب ، وليس ذلك من شريعتنا في شيءٍ. بل ، السلوك ، الكامل هو الورع في القُوت ، والورع في المنطق ، وحفظ اللسان ، وملازمة الذكر ، وترك مخالطة العامة ، والبكاء على الخطيئة ، والتلاوةُ بالترتيل والتدبر ، ومقْتُ النفس وذمها في ذات الله ، والإكثار من الصوم المشروع ، ودوامُ التهجد ، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم ، والسماحة وكثرة البِشْر، والإنفاق مع الخصاصة ،

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري ، ومسلم .

وقول الحق المر برفق وتؤدةٍ ، والأمر بالعُرف ، والأخذ بالعفو ، والإعراض عن الجاهلين ، والرباط بالثغْر ، وجهاد العدو ، وحج البيت ، وتناول الطيبات في الأحايين ، وكثرة الاستغفار في السَّحَر . فهذه شمائلُ الأولياء ، وصفات المحمديين . أماتنا الله على محبَّتهم [1].

مكمن السعادة

قال أبو محمد الجريري : سمعت الجنيد يقول : ما أخذنا التَّصوف عن القال والقيل ، بل عن الجوع ، وترك الدُّنيا ، وقطع المألوفات .

قلت : هذا حسن ، ومراده : قطع أكثر المألوفات ، وترك فضول الدنيا ، وجوعٌ بلا إفراط. أمَّا منْ بالغ في الجوع كما يفعله الرُّهبان، ورفض سائر الدنيا، ومألوفات النفس، من الغذاء والنوم والأهل، فقد عرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله، وفاته بذلك كثيرٌ من الحنيفية السمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، والسعادة في متابعة السنن، فزن الأمور بالعدل، وصُم وأفطر، ونَمْ وقُمْ، والزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله لك، واصمت إلا من خير، فرحمة الله على الجُنيد، **وأين مثل الجُنيد في علمه وحاله؟**.

التصوف الحق

ومن كلامه (ابن الاعرابي) في ترجمة أبي الحسين النوري ، قال : مات وهم يتكلمون عِنده في شيء ، سكوتهم عنه أولى لأنه شيءٌ يتكهنون فيه ، ويتعسفون بظُنونهم ، فإذا كان أولئك كذلك ، فكيف بمن حدث بعدهم ؟.

---

(١) السير (١٢ / ٨٩ - ٩١) .

قال أيضاً : إنما كانوا يقولون « جمع » ، وصورة الجمع عند كل أحد بخلافها عند الآخر ، وكذلك صورة الفناء ، وكانوا يتَّفِقُون في الأسماء ، ويختلفون في معناها ؛ لأن ما تحت الاسم غير محصور ، لأنها من المعارف .

قال : وكذلك عِلْمُ المعرفة غير محصور لا نهاية له ولا لوجوده ، ولا لذوقه. إلى أن قال : - ولقد أحسن في المقال - فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء ، أو يجيب فيهما ، فاعلم أنه فارغٌ ، ليس من أهل ذلك إذ أهلهما لا يسألون عنه لِعْلمهم أنه لا يدرك بالوصف .

قلت : إي والله ، دققوا وعمّقوا ، وخاضُوا في أسرار عظيمة ، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظنٍّ وخيالٍ ، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسُّكر إلا مجرَّد خطرات ووساوس، ما تفوه بعبارتهم صدِّيق، ولا صاحبٌ ، ولا إمام من التابعين ، فإن طالبتهم بدعاويهم مقتوك ، وقالوا : محجوب ، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان ، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال ، ورمقْت العُباد بعين المقت ، وأهل القرآن والحديث بعين البُعْد ، وقلت : مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنما التصوف والتألُّه والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله ، ولزوم تقوى الله ، والجهاد في سبيل الله ، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر ، والقيام بخشية وخشوع ، وصوم وقت وإفطار وقت ، وبذل المعروف ، وكثرة الإيثار ، وتعليم العوام ، والتواضع للمؤمنين ، والتعزز على الكافرين ، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

والعلم إذا عريَ من التصوف والتأله ، فهو فارغ ، كما أن الصُّوفي إذا عري من علم السنة ، زلَّ عن سواء السبيل [(١)].

---

(١) السير (١٥ / ٤٠٩ - ٤١٠) ترجمة الإمام المحدث القدوة الصدوق الحافظ شيخ الإسلام أبو سعيد بن الاعرابي البصري الصوفي .

وأين مثل المقدسي ؟

قد جمع له الحافظ الضياء سيرة في جزئين وكفى ، وقال : كان لا يسمع دعاءً إلا ويحفظه في الغالب ، ويدعو به ، ولا حديثاً إلا وعمل به ، ولا صلاة إلا صلاها ، كان يصلي بالناس في النصف [1] مئة ركعة وهو مسن ، ولا يترك قيام الليل من وقت شُبُوبيته ، وإذا رافق ناساً في السفر ناموا وحرسهم يصلي.

قلت : كان قُدوة صالحاً ، عابداً قانتاً لله ، ربانياً ، خاشعاً مخلصاً ، عديم النظير ، كبير القدر ، كثير الأوراد والذكر ، والمروءة والفُتوة والصفات الحميدة ، قلَّ أن ترى العيون مثله ، قيل : كان ربما تهجد فإن نعس ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس ، وكان يكثر الصيام ، ولا يكاد يسمع بجنازة إلا شهدها ، ولا مريض إلا عادهُ ، ولا جهاد إلا خرج فيه ، ويتلو كل ليلة سُبْعاً مرتلاً في الصلاة ، وفي النهار سبعاً بين الصلاتين ، وإذا صلى الفجر تلا آيات الحرس ويس والواقعة وتبارك ، ثم يُقرئ ويلقن إلى ارتفاع النهار ، ثم يصلي الضُحى ، فيطيل ويصلي طويلاً بين العشائين ، ويصلي صلاة التسبيح كل ليلة جُمُعة ، ويصلي يوم الجمعة بمئة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ؛ فقيل : كانت نوافله في كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة ، وله أذكار طويلة ، ويقرأ بعد العشاء آيات الحرس ، وله أوراد عند النوم واليقظة ، وتسابيح ، ولا يترك غُسل الجمعة ، وينسخ ((الخِرَقي)) من حفظه ، وله معرفة بالفقه والعربية والفرائض . وكان قاضياً لحوائج الناس ، ومن سافر من الجماعة يتفقد أهاليهم ، وكان الناس يأتونه في القضايا فيُصلح بينهم ، وكان ذا هيبة ووقع في النفوس [2].

---

(١) يعني في نصف شعبان .

(٢) السير (٦/٢٢ - ٧) ترجمة الإمام العالم الفقيه المقرئ البركة شيخ الإسلام أبو عمر محمد بن أحمد بن أحمد بن قدامة المقدسي .

دواؤه الانقطاع

قيل لضيغم الزاهد : ما الزُّهد ؟ قال : القُنوع ، قيل : ما الورعُ ؟ قال : اجتناب المحارم . قيل : ما العبادة ؟ قال : أداء الفرائض . قيل : ما التواضع ؟ قال : أن تخضع للحق . وقال : أشد الورع في اللسان .

قلت : هكذا هو ، فقد ترى الرجل ورعاً في مأكله وملبسه ومعاملته ، وإذا تحدَّث يدخل عليه الداخل من حديثه ، فإما أن يتحرى الصدق ، فلا يكمل الصدق ، وإما أن يصدق ، فينمق حديثه ليُمدح على الفصاحة ، وإما أن يُظهر أحسن ما عنده ليعظم ، وإما أن يسكت في موضع الكلام ، ليُثْني عليه . ودواءُ ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة[1] .

الزهد الخالص

عن ابن عمر : أنَّ عمر حين قدم الشام ، قال لأبي عبيدة : اذهب بنا إلى منزلك ، قال : وما تصنع عندي ؟ ما تريد إلا أن تُعصِّر عينيك عليَّ . قال : فدخل ، فلم ير شيئاً ، قال : أين متاعك ؟ لا أرى إلا لِبْداً أو صحفة وشناً ، وأنت أمير ، أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة إلى جونةٍ ، فأخذ منها كُسيرات ، فبكى عمر ، فقال له أبو عبيدة : قد قلت لك : إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين ، يكفيك ما يُبلغك المقيل . قال عمر : غيرتنا الدنيا كلّنا غيرك يا أبا عبيدة[2].

أخرجه أبو داود في ((سننه)) من طريق ابن الأعرابي .

وهذا والله هو الزهد الخالص ، لا زهد من كان فقيراً مُعْدِماً[3].

---

(١) السير (٨ / ٤٣٤) .

(٢) إسناده ضعيف لضعف عبدالله بن عمر ، وهو عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر ابن الخطاب : أبو عبدالرحمن المدني . قال الحافظ في ((التقريب)) : ضعيف عابد . وروايته السنن من طريق ابن الأعرابي غير موجودة لدينا حتى نحيل إليها .

(٣) السير (١ / ١٧) .

ورع دقيق

عن خالد بن معدان ، عن عمرو بن الأسود العَنْسي ، أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله ، فسُئل عن ذلك فقال : مخالفة أن تُنافق يدي.

قلت : يمسكها خوفاً من أن يخطُر بيده في مشيته فإن ذلك من الخيلاء [١].

هذا الورع

قال شُعيب بن حرب : سمعتُ شعبة يقول : لأن أُقَدَّم ، فتُضْرَبَ عنقي ، أحب إليَّ من أحدِّث عن أبي هارون العبْدي .

وقال بشر بن عمر الزَّهراني : سمعت شعبة يقول : لأن أخِرِ من السماء أو من فوق هذا القصر أحبُّ إليَّ من أن أقول : قال الحكم ، لشيء لم أسمعه منه .

قلت : هذا - والله - الورعُ [٢].

(١) السير (٤ /٨٠ - ٨١) .
(٢) السير (٧ /٢٢١) .

لم تغيره الإمارة

عن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري : أن معاوية كتب إليه : أمَّا بعد : فإنَّ عمرو بن العاص قد بايعني على ما أُريد ، وأقسم بالله ، لئن بايعتني على الذي بايعني ، لأستعملنَّ أحد ابنيك على الكوفة ، والآخر على البصرة ؛ ولا يُغلقُ دونك باب ، ولا تُقضى دونك حاجة ، وقد كتبتُ اليك بخطي ، فاكتب إليَّ بخطٍّ يدك .

فكتب إليه : أما بعدُ : فإنك كتبت إليَّ في جسيم أمر الأمة ، فماذا أقول لربي إذا قدِمْتُ عليه ، ليس لي فيما عرضت من حاجة ، والسلام عليك .

قال أبو بردة : فلما ولي معاويةُ أتيتُه ، فما أغلق دوني باباً ، ولا كانت لي حاجة إلا قُضيت [1].

قلت : قد كان أبو موسى صوَّاماً قواماً ربَّانياً زاهداً عابداً ، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر ، لم تُغيِّره الإمارة ، ولا اغتر بالدنيا [2].

هكذا كانوا

عن أبي بشر قال : كان كُرز بن وبرة من أعبد الناس ، وكان قد امتنع من الطعام ، حتى لم يوجد عليه من اللحم ، إلا بقدر ما يُوجد على العصفور ، وكان يطوي أياماً كثيرة ، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يميناً ،

---

(١) وأخرجه ابن سعد ٤/١١١ - ١١٢ من طريق عفان بن مسلم ، وعمرو بن عاصم الكلابي ، ويعقوب ابن إسحاق الحضرمي ، وثلاثتهم عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة ... وهذا سند صحيح .

(٢) السير (٢ /٣٩٦) .

ولاشمالاً . وكان من المحبين المُخْبتين لله ، قد ولِهَ مِن ذلك ، فربما كُلِّم فيُجيب بعد مدة مِن شدة تعلق قلبه بالله ، واشتياقه إليه .

وعن كُرز قال : لا يكون العبدُ قارئاً حتى يزهد في الدرهم .

وعن عمرو بن حميد الدِّينوري ، عن بعض أهل جُرجان ، عن أبيه ، رأيتُ في النوم : كأني أتيت على قبور أهل جُرجان ، فإذا هم جلوس على قبورهم ، عليهم ثيابٌ بيض فقلت : يا أهل القبور ما لكم ؟ قالوا : إنا كُسينا ثياباً جدداً لقدوم كُرز بن وبرة علينا .

قلت : هكذا كان زهادُ السلف وعُبَّادهم ، أصحاب خوف وخُشوع ، وتعبد وقُنوع ، ولا يدخلون في الدنيا وشهواتِها ، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء ، والمحو ، والاصطِلام ، والاتحاد ، وأشباه ذلك ، مما لا يُسوّغُه كبار العلماء .

فنسأل الله التوفيق والإخلاص ، ولزوم الاتباع (١).

---

(١) السير (٦ / ٨٦) .

ل- البدع والمبتدعة

اصرعه واخنقه

عن أيُّوب ، قال : قال أبو قِلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم ، فإنّي لا آمن أن يغمروكم في ضلالتهم ، أو يُلْبسُوا عليكم ما كنتم تعْرفون[1].

وعن أيُّوب ، عن أبي قلابة ، قال : إذا حدَّثت الرجل بالسُّنَّة ، فقال : دعْنا من هذا ، وهاتِ كتاب الله ، فاعْلَمْ أنَّهُ ضالٌ .

قلت أنا : وإذا رأيت المتكلِّمَ المبتدع يقول : دعْنا من الكتاب والأحاديث الآحاد ، وهات « العقل » فاعلمْ أنه أبو جهْل ؛ وإذا رأيت السَّالك التوحيدي يقول : دعْنا من النَّقْل ومن العَقْل ، وهات الذَّوْقَ والوجْد ، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر ، أو قد حلَّ فيه ، فإنْ جبُنْتَ منه ، فاهرُبْ ، وإلا فاصرعه وابرُك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه [2].

ادعى النبوة

قال ابن أبي خيثمة : حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي ، سمعتُ أبا بكر بن عياش يقولُ : رأيتُ خالداً القسري حين أتى بالمغيرة بن سعيد وأصحابه ، وكان يُريهم أنه يُحيي الموتى ، فقتل خالدٌ واحداً منهم ، ثم قال للمغيرة : أحيه فقال : والله ما أُحيي الموتى ، قال : لتُحيينه أو لأضربنَّ عنقك ، ثم أمر بطنٍّ من قصب فأضرموه ، وقال : اعتنقْه ، فأبي ، فعدا رجل من أتباعه فاعتنقه ، قال أبو بكر : فرأيتُ النار تأكلُه وهو يُشير بالسبابة ، فقال خالد : هذا والله أحقُّ بالرئاسة منك ، ثم قتله وقتل أصحابه .

---

(١) الحلية ٢/٢٨٧ ، وابن سعد ٧/١٨٤ وفيه : ((ولا تجادلوهم فإني لا آمنُ أن يغمسوكم))
(٢) السير (٤/٤٧٢) .

قلت : كان رافضياً خبيثاً كذاباً ساحراً ، ادَّعى النبوة ، وفضَّل علياً على الأنبياء ، وكان مجسماً ، سقت أخباره في ((ميزان الاعتدال)) [١].وكان خالد على هناته يرجع إلى اسلام [٢] .

ينتصر لإبليس

بشار بن برد : شاعر العصر ، أبو مُعاذٍ البصري الضَّرير ، بلغ شعره الفائقُ نحواً من ثلاثة عشر ألف بيت . نزل بغداد ومدح الكُبراء . وهو من موالي بني عُقيل ، ويلقب بالمُرعَّثِ للبسه في الصغر رعاثاً وهي الحلق ، واحدها رعثة . وولد أعمى .

قال أبو تمام : هو أشعرُ الناس ، والسَّيِّد الحِميريُّ في وقتهما.وهو القائل :

أنا والله أشْتَهي سِحْر عيْنيْكِ   وأخشى مصارع العُشاقِ

وله :

هلْ تعْلمِينَ وراء الحُبِّ منْزِلةً   تُدْني إليكِ فإنَّ الحُبَّ أقْصانِي

قلت : اتُهم بالزَّندقة ، فضربه المهدي سبعين سوطاً ليُقِرَّ ، فمات منها .

وقيل : كان يُفضِّل النار ، وينتصِرُ لإبليس [٣].

---

(١) (٤/ ١٦٠- ١٦٢) .

(٢) السير (٥/ ٤٢٦) .

(٣) السير (٧/ ٢٤ - ٢٥) .

مسألة كبيرة

قال الحافظ محمد بن البرقي : قلت ليحيى بن معين : أرأيت من يرمى بالقدر يُكتب حديثه ؟ قال : نعم ، قد كان قتادة ، وهشام الدَّسْتوائي ، وسعيد بن أبي عروبة ، وعبدالوارث - وذكر جماعة - يقولون بالقدر ، وهم ثقات، يُكتب حديثهم ما لم يدعو إلى شيء .

قلت : هذه مسألة كبيرة، وهي : القدري والمعتزلي والجهمي والرافضي، إذا عُلِم صدقُه في الحديث وتقواه ، ولم يكن داعياً إلى بدْعته ، فالذي عليه أكثرُ العلماء قبولُ روايته ، والعملِ بحديثه ، وترددوا في الداعية ، هل يُؤخذ عنه ؟ فذهب كثير من الحفَّاظ إلى تجنُّب حديثه ، وهِجرانه ، وقال بعضهم : إذا علمنا صدقه ، وكان داعية ، ووجدنا عنده سُنَّة تفرد بها ، فكيف يسوغُ لنا تركُ السُّنَّة؟ فجميع تصرفات أئمة الحديث تؤذِن بأن المبتدع إذا لم تُبح بدعتُه خروجه من دائرة الإسلام ، ولم تُبح دمه ، فإن قبول ما رواه سائغ .

وهذه المسألة لم تتبرهن لي كما ينبغي ، والذي اتضح لي منها أن من دخل في بدعة ، ولم يُعدَّ من رؤوسها ، ولا أمعن فيها ، يُقبلُ حديثُه كما مثَّل الحافظ أبو زكريا بأولئك المذكورين ، وحديثهم في كتب الإسلام لصدقهم وحفظهم[1].

فوا غربتاه

قال هانئ بن المتوكل : حدثني محمد بن عبادة المعافري قال : كنا عند أبي شُرَيْح - رحمه الله - فكثرت المسائلُ ، فقال : قد درِنتْ قُلُوبكم ، فقوموا إلى خالد بن حمَيْد المهري اسْتقِلُّوا قلوبكم ، وتعلَّموا هذه الرغائب والرقائق ، فإنها

(١) السير (٧ / ١٥٣ - ١٥٤) .

تُجدِّدُ العبادة ، وتُورث الزهادة ، وتجر الصَّداقة ، وأقلُّوا المسائل ، فإنها في غير ما نزل تُقسِّي القلب ، وتُورِث العداوة .

قلت : صدق واللهِ ، فما الظَّنُّ إذا كانت مسائل الأصول ، ولوازم الكلام في معارضة النَّص ، فكيْف إذا كانت مِن تشكيكات المنطق ، وقواعد الحكمة ، ودين الأوائل ؟! فكيف إذا كانت من حقائق ((الاتّحادِيَّةِ)) [١]، وزندقة ((السَّبعينية)) [٢] .

ومرق ((الباطنية))[٣] ؟! فواغُربتاه ، ويا قِلَّة ناصراه . آمنت بالله ، ولا قوة إلا بالله [٤].

تحذير

وعن (الثوري) من أصغى بسمعه إلى أصحاب بدْعة ، وهو يعلم ، خرج من عصمة الله ، ووُكل إلى نفسه . وعنه : من سمع ببِدْعة فلا يحكها لجلسائه ، ولا يُلقها في قلوبهم .

قلت : أكثر أئمة السَّلف على هذا التَّحذير، يرون أن القلوب ضعيفة ، والشُّبه خطَّافة [٥].

---

(١) وهم الذين يقولون بوحدة الوجود .

(٢) السبعينية : فرقة نسبت إلى رئيسها : عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي ، المتوفى سنة (٦٦٩هـ) وهو من القائلين بوحدة الوجود . قال ابن دقيق العيد : جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر ، وهو يسرد كلاماً تُعقل مفرداته ولا تعقل مركباته . واشتهر عنه أنه قال : لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله : ((لا نبي بعدي)) وكان يقول في الله عز وجل : إنه حقيقة الموجودات . وقد فصد بمكة فترك الدم يجري حتى مات نزفاً.

(٣) الباطنية : دعوة ظهرت أولاً في زمان المأمون ، وانتشرت في زمان المعتصم . وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين ، ومنهم : ميمون بن ديْصان المعروف بالقداح ، ومحمد ابن الحسن الملقب بدندان ، ثم حمدان قرمط وأبو سعيد الجنابي.

(٤) السير (١٨٢/٧ - ١٨٣) ترجمة الإمام القدوة الرباني عبدالرحمن بن شرع .

(٥) السير (٢٦١/٧) .

واشتد النزاع

عن ليث بن سعد يقول : بلغتُ الثمانين، وما نازعتُ صاحب هوىً قطُّ.

قلت : كانت الأهواء والبدع خاملةً في زمن الليث ، ومالك ، والأوزاعي، والسنن ظاهرة عزيزة . فأما في زمن أحمد بن حنبل ، وإسحاق ، وأبي عُبيد ، فظهرت البدعةُ ، وامْتحِن أئمة الأثر ، ورفع أهلُ الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم ، فاحتاج العلماءُ إلى مجادلتهم بالكتاب والسنّة ، ثم كثر ذلك ، واحتجَّ عليهم العلماءُ أيضاً بالمعقول ، فطال الجدالُ، واشتد النزاع ، وتولّدت الشُّبهُ . نسألُ الله العافية [١].

ما أنت وذا ؟

قال العُقيلي بشر بن السرى في الحديث مستقيم . حدثنا الأبَّار ، حدثنا عوَّام، قال : قال الحُميدي : كان جهْميّاً ، لا يحلُّ أن يُكتب حديثه .

قلت : بل حديثُه حُجَّةٌ ، وصح أنَّه رجع عن التَّجهُّم .

وكان الثوري يستثقله ؛ لأنه سأل سفيان عن أطفالِ المشركين ، فقال ما أنت وذا يا صبيّ ؟

قلت : هكذا السلف يزجرون عن التعمق ويبدّعون أهل الجدال [٢].

---

(١) السير (٨/١٤٤) .

(٢) السير (٩/ ٣٣٣) ترجمة الواعظ الزاهد العابد الإمام الحجة بشر بن السرى .

معرفة السنن

أحمد بن عطاء الهجيمي شيخ الصوفية العابد القانت البصري القدري المبتدع فما أقبح بالزهاد ركوب البدع ...

قال زكريا السَّاجيُّ : هو صاحب المِضمار ، وكان مُجْتهداً - يعني في العبادة - وكان مُغَفَّلاً يحدث بما لم يسمع .

وقال عليٌّ بن المديني : أتيتُهُ يوماً ، فوجدتُ معه درجاً يُحدِّث به ، فقلتُ له : أسمعت هذا ؟ قال : لا ولكن اشتريتُهُ وفيه أحاديث حِسانٌ أُحدِّث بها هؤلاء ، فقلتُ : أما تخاف الله ؟ تُقرِّبُ العباد إلى الله بالكذِبِ على رسول الله ﷺ !

قلت : ما كان الرّجل يدري ما الحديثُ ، ولكنه عبد صالح ، وقع في القدر ، ونعوذُ بالله من تُرَّهات الصَّوفية ، فلا خير إلا في الاتِّباع ، ولا يمكن الإتباع إلا بمعرفة السُّنن [١].

قولةٌ خفيفةٌ وأخرى صعبة

عبد المجيد بن الإمام عبد العزيز بن أبي روَّاد ، العالِمُ القدوة الحافظُ الصَّادق، شيخ الحرم ، أبو عبد المجيد المكِّي ، مولى المهلَّب بن أبي صُفرة ...

كان من المُرجئة ، ومع هذا فوثَّقه أحمد ، ويحيى بن معين .

وقال أحمد : كان فيه غُلوٌّ في الإرجاء ، يقول : هؤلاء الشُّكّاك ، يريد قول العلماء : أنا مؤمنٌ إن شاء الله [٢].

---

(١) السير (٩/ ٤٠٩).

(٢) ((تهذيب الكمال)) لوحة ٨٥١ ، والقول الفصل في هذه المسألة أن المستثني إن أراد الشك في أصل إيمانه ، منع من الاستثناء وهذا مما لا خلاف فيه .

وقال يعقوب بن سفيان : كان مُبتدعاً داعية .

قال سلمة بن شبيب : كنت عند عبد الرزاق فجاءنا موت عبد المجيد ، وذلك في سنة ست ومئتين . فقال : الحمد لله الذي أراح أمة محمدٍ من عبدالمجيد.

وقال هارون بن عبد الله الحمَّال : ما رأيتُ أخشع لله من وكيع ، وكان عبدالمجيد أخشع منه .

قلت : خشوعُ وكيع مع إمامته في السنة جعله مُقدماً ، بخلاف خشوع هذه المُرجئ - عفا الله عنه - أعاذنا الله وإيَّاكم من مخالفة السنة ، وقد كان على الإرجاء عددٌ كثيرٌ من علماء الأمة ، فهلاَّ عُدَّ مذهباً ، وهو قولهم : أنا مؤمنٌ حقّاً عند الله الساعة ، مع اعترافهم بأنهم لا يدرون بما يموتُ عليه المسلم من كفر أو إيمان ، وهذه قولةٌ خفيفةٌ ، وإنما الصعب من قولِ غُلاة المرجئة : إن الإيمان هو الاعتقاد بالأفئدة ، وإن ترك الصلاةِ والزكاة ، وشرب الخمر ، وقاتل النفس، والزاني ، وجميع هؤلاء يكونون مؤمنين كاملي الإيمان، ولا يدخلون النار ، ولا يُعذَّبون أبداً ، فرَدُّوا أحاديث الشفاعة المُتواترة ، وجسَّروا كلَّ فاسق وقاطع طريقٍ على الموبقات ، نعوذُ بالله من الخذلان [1].

وأين مثل الذهبي

مات بشر المريسي في آخر سنة ثماني عشرة ومئتين ، وقد قارب الثمانين. فهو بشرُ الشرِّ والحافي بشرُ الخير ، كما أنَّ أحمد بن حنبل هو أحمدُ السنَّة ، وأحمد ابن أبي دواد أحمدُ البدعة .

ومن كُفِّر ببدعةٍ وإن جلَّت ، ليس هو مثل الكافر الأصليِّ ، ولا اليهوديِّ والمجوسيِّ ، أبى الله أن يجعل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، وصام

(١) السير (٩/٤٣٤ - ٤٣٦) .

وصلّى وحج وزكى وإن ارتكب العظائم وضلّ وابتدع ، كمن عاند الرسول ، وعبد الوثن ، ونبذ الشرائع وكفر ، ولكن نبرأ إلى الله من البدع وأهلها [١].

بِشر بن المعتمر

العلامةُ ، أبو سهل الكوفي ، ثم البغدادي ، شيخ المعتزلة ، وصاحبُ التصانيف .كان من القرامي [٢] الكبار أخبارياً شاعراً متكلماً ، وكان أبرص ذكياً فطِناً ، لم يُؤْت الهُدى ، وطال عُمُره فما ارعوى ، وكان يقعُ في أبي الهُذيل العلاّف ، وينسُبُه إلى النِّفاق .

وله كتاب ((تأويل المتشابه)) ، وكتاب ((الردِّ على الجهال)) ، وكتاب ((العدل)) وأشياء لم نرها ولله الحمدُ [٣].

مبلغهم من العلم

هشام بن عمر المعتزلي ، صاحبُ ذكاءٍ وجدلٍ وبدعةٍ ووبال .

نهى عن قول : ((حسبُنا الله ونعم الوكيل)) وقال : لا يُعذِّبُ الله كافراً بالنار ، ولا يُحيي أرضاً بمطر ، ولا يهدي ولا يُضِلُّ ، ويقول : يُعذَّبون في النار لا بها ، ويحيي الأرض عند المطرِ لا به ، وأنَّ معنى : نعم الوكيلُ ، أي المُتوكَّل عليه .

قال المُبرد : قال رجلٌ لهشام الفُوطي : كم تعدُّ من السنين ؟ قال : من واحدٍ إلى أكثر من ألف . قال : لم أُرِدْ هذا ، كم لك من السِّن ؟ قال : اثنان وثلاثون سِنّاً . قال : كم لك من السِّنين ؟ قال : ما هي لي ، كلُّها لله قال : فما سِنُّك ؟. قال : عظم . قال : فابنُ كم أنت ؟ قال : ابنُ أُمٍّ وأب . قال : فكم أتى

---

(١) السير (١٠/ ٢٠٢) ترجمة المتكلم المناظر البارع بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي.
(٢) أي من الأصول .
(٣) السير (١٠/ ٢٠٣).

عليك ؟ قال : لو أتى عليَّ شيءٌ ، لقتلني ، قال : ويحك ، فكيف أقولُ ؟ قال: قل : كم مضى من عُمُرك .

قلت : هذا غايةُ ما عند هؤلاء المُتقعِّرين من العلم ، عباراتٌ وشقاشِقُ لا يعبأ الله بها ، يُحرِّفون بها الكلِم عن مواضعه قديماً وحديثاً ، فنعوذ بالله من الكلام وأهله [١].

بين ذلك سبيلاً

قال أبو الحسن عبد الملك الميموني : قال رجلٌ لأبي عبد الله : ذهبتُ إلى خلفٍ البزّار أعِظهُ ، بلغني أنه حدَّث بحديثٍ عن الأحْوص عن عبد الله قال : ((ما خلق الله شيئاً أعظم ...)) وذكر الحديث ، فقال أبو عبد الله : ما كان ينبغي له أن يُحدِّث بهذا في هذه الأيام - يُريد زمن المِحنة - والمتنُ : ((ما خلق الله من سماءٍ ولا أرضٍ أعظم من آية الكرسي)) [٢] وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة : إن الخلق واقعٌ ها هنا على السماء والأرض وهذه الأشياء ، لا على القرآن .

قلت : كذا ينبغي للمُحدِّث أن لا يُشهِر الأحاديث التي يتشبثُ بظاهرها أعداءُ السُّنن من الجهمية ، .... ، وأهل الأهواء ، والأحاديث التي فيها صفاتٌ لم تثبت ، فإنك لن تحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم ، إلا كان فتنةً لبعضهم ، فلا تكْتُم العِلم الذي هو عِلمٌ ، ولا تبذُله للجهلة الذين يشْغبُون عليك ، أو الذين يفهمون منه ما يضُرُّهم [٣].

---

(١) السير (١٠ / ٥٤٧).

(٢) أورده السيوطي في ((الدر المنثور)) ١/ ٣٢٣ ، ونسبه إلى أبي عبيد وابن الضُّريس ومحمد بن نصر عن ابن مسعود .

(٣) السير (١٠ / ٥٧٨).

الصوفي الثقة

قال الحافظُ أبو سعيد النقاش في كتاب ((طبقات الصوفية)) : **محمد بن منصور الطوسي** أستاذُ أبي سعيد الخرَّاز ، وأبي العباس بن مسروق ، كتب الحديث الكثير ، ورواه .

قلت : متى رأيت الصوفي مُكِبّاً على الحديث فثِقْ به ، ومتى رأيته نائياً عن الحديث ، فلا تفرح به ، لا سيما إذا انْضاف إلى جهلِه بالحديث عكُوفٌ على ترهات الصوفية ، ورموز الباطنية ، نسألُ الله السلامة ، كما قال ابنُ المبارك :

وهلْ أفسد الدِّين إلا الملوكُ وأحبارُ سوءٍ ورُهْبانُها[1]

فتنة الزنج

قال علي بن أبي أمية : لمَّا كان من دخول الزَّنْجِ البصرة ما كان ، وقتْلِهم بها من قتلوا ، وذلك في شوال سنة سبع ، بلغنا أنهم دخلوا على الرَّياشي المسجد بأسيافهم ، والرياشي قائمٌ يُصلِّي الضحى ، فضربوه بالأسياف ، وقالوا : هات المال ، فجعل يقول : أيُّ مال ، أيُّ مال ؟!! حتى مات . فلما خرجت الزِّنجُ عن البصرة ، دخلناها ، فمررنا ببني مازن الطَّحَّانين - وهناك كان ينزلُ الرَّياشي - فدخلنا مسجده ، فإذا به مُلقى وهو مُسْتقبل القبلة ، كأنَّما وُجِّه إليها . وإذا بشملةٍ تحركها الريح وقد تمزقت ، وإذا جميع خلْقِه صحيح سويّ لم ينشق له بطنٌ ، ولم يتغير له حالٌ ، إلا أنَّ جلده قد لصِق بعظمه ويبس ، وذلك بعد مقتله رحمه الله .

قلت : فتنةُ الزِّنْج كانت عظيمةً ، وذلك أنَّ بعض الشياطين الدُّهاة ، كان طُرقيّاً أو مؤدِّباً ، له نظرٌ في الشِّعرِ والأخبار ، ويظهر من حاله الزندقة والمروق ،

---
(١) السير (١٢ / ٢١٣).

ادّعى أنه علويٌّ ، ودعا إلى نفسه ، فالتفَّ عليه قُطَّاع طريقٍ ، والعبيد السُّود من غلمان أهل البصرة ، حتى صار في عِدة ، وتحيلوا وحصلوا سُيوفاً وعِصيّاً ، ثم ثاروا على أطراف البلد ، فبدَّعوا وقتَّلوا ، وقووا ، وانضمَّ إليهم كل مجرم ، واستفحل الشرُّ بهم ، فسار جيشٌ من العراق لحربهم ، فكسروا الجيش ، وأخذوا البصرة ، واستباحوها ، واشتد الخطْبُ ، وصار قائدهم الخبيثُ في جيشٍ وأُهبةٍ كاملة ، وعزم على أخذ بغداد ، وبنى لنفسه مدينة عظيمةً ، وحار الخليفة المعتمد في نفسه ، ودام البلاءُ بهذا الخبيث المارق ثلاث عشرة سنة ، وهابته الجيوش ، وجرت معه ملاحِمُ ووقعاتٌ يطول شرحها . وقد ذكرها المؤرخون إلى أن قُتل . فالزَّنْجُ هم عبارةٌ عن عبيد البصرة الذين ثاروا معه . لا بارك الله فيهم [١].

البِسْطَامي

سُلطانُ العارفين ، أبو يزيد ، طيْفُور بن عيسى بن شرْوسان البسطامي ، أحد الزُّهاد ، وقلَّ ما روى ، وله كلامٌ نافعٌ .

وعنه قال : هذا فرحي بك وأنا أخافُك ، فكيف فرحِي بك إذا أمنْتُكَ ؟ ليس العجب من حُبِّي لك ، وأنا عبدٌ فقيرٌ ، إنما العجب من حبك لي ، وأنت ملكٌ قدير .

وعنه - وقيل له : إنك تَمُرُّ في الهواء - فقال : وأيُّ أعجوبة في هذا ؟ وهذا طيرٌ يأكل الميتة ، يمُرُّ في الهواء .

وقال : لله خلقٌ كثيرٌ يمشون على الماء ، لا قيمة لهمْ عند الله ، ولو نظرْتُم إلى من أُعطي من الكرامات حتَّى يطير ، فلا تغترُّوا به حتى تروا كيف هو عند الأمْر والنَّهي ، وحِفظ الحدود والشَّرْع .

---

(١) السير (١٢/ ٣٧٤ - ٣٧٥) ترجمة العلامة الحافظ شيخ الأدب عباس ابن الفرج الرياشي .

وله هكذا نُكتٌ مليحةٌ ، وجاء عنه أشياءُ مُشْكِلةٌ لا مساغ لها ، الشَّأنُ في ثُبُوتها عنه ، أو أنه قالها في حال الدهْشةِ والسُكر، والغيْبة والمحو ، فيُطْوى، ولا يُحتجُ بها ، إذ ظاهرها إلحادٌ ، مثل : سبحاني ، وما في الجُبَّة إلا الله ، ما النار ؟ لأسْتَنِدَنَّ إليها غداً ، وأقول : اجعلْني فداءً لأهلها ، وإلا بلعتُها . ما الجَنَّةُ ؟ لعبة صبيان ، ومراد أهل الدُّنيا . ما المُحدِّثون ؟ إنْ خاطبهم رجلٌ عن رجلٍ ، فقد خاطبنا القلبُ عن الرَّبِّ .

وقال في اليهود : ما هؤلاء ؟ هبْهُم لي ، أي شيءٍ هؤلاء حتى تُعذِّبهم ؟.

قال السُّلمي في ((تاريخ الصُّوفية)) : توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة ، وله كلامٌ حسنٌ في المعاملات .

ثم قال : يُحكى عنه في الشَّطح أشْياء ، منها ما لا يصحُّ ، أو يكون مقولاً عليه ، وكان يرْجع إلى أحوالٍ سنيَّة ، ثم ساق بإسنادٍ له ، عن أبي يزيد، قال : من نظر إلى شاهدي بعين الاضطراب ، وإلى أوْقاتي بعين الاغْتِراب ، وإلى أحْوالي بعين الاسْتدراج ، وإلى كلامي بعين الافتراء ، وإلى عبارتي بعين الاجتراء، وإلى نفْسي بعين الازْدِراء ، فقد أخطأ النَّظر فيَّ [1].

وعنه قال : لو صفا لي تهْليْلةٌ ما باليتُ بعدها .

فكيف الحيلة ؟

قال الحاكم : سمعت الدارقطني يقول لا بأس به (الأزرق) وهو من أصحاب حسين الكرابيسي يطعن عليه في اعتقاده ...

قلت : له أُسْوةٌ بخلقٍ كثير من الثقات الذين حديثهم في ((الصحيحين)) أو أحدهما ، ممن له بدْعةٌ خفيفةٌ بل ثقيلة ، فكيف الحيلة ؟ نسألُ الله العفْو والسَّماح [2].

---

(١) السير (١٣ / ٨٦ - ٨٩) .

(٢) السير (١٣/ ٣٩٤ - ٣٩٥) ، ترجمة المحدث العالم المسند أبو بكر محمد بن الفرج بن محمود الأزرق .

يا ليته لم يؤلفه

قال السُّلمي : حدثنا علي بن بُنْدار الصَّيْرفي ، سمعتُ أحمد بن عيسى الجُوْزْجاني ، سمعت محمد بن علي التِّرمذي يقول : ما صنَّفْتُ شيئاً عن تدْبير، ولا لأن يُنسب إليَّ شيءٌ منه ، ولكنْ كان إذا اشتد عليّ وقتي كنتُ أتسلى بمصنَّفاتي .

و قال السُّلمي : هُجِر لتصنيفه كتاب : ((ختم الولاية))، و((علل الشَّريعة)) ، وليس فيه ما يوجب ذلك ، ولكن لبعد فَهْمهم عنه .

قلت :كذا تُكُلِّم في السُّلمي من أجل تأليفه كتاب :((حقائق التفسير)) ، فياليته لم يؤلفه ، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاّجية ، والشطحات البِسْطامية ، وتصوف الاتحادية ، فوا حُزْناه على غُرْبة الإسلام والسُّنَّة [1]، قال الله تعالى : ﴿**وأَنَّ هذا صِراطي مُسْتَقِيْماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عنْ سَبِيْلِه ..**﴾ [**الأنعام** : **١٥٣**] .

الذكاء الملعون

قال ابنُ عقيل : عجبي كيف لم يُقتل ! وقد صنَّف الدَّامغ يدمغ به القُرآن، والزُّمُرَّدة يُزري فيه على النُّبوَّات .قال ابنُ الجوزي : فيه هذيانٌ باردٌ [2] لا يتعلَّق بشبهة ! يقول فيه : إنَّ كلام أكثم بن صيفْي فيه ما هو أحسنُ من سورة الكوثر ! . وإنَّ الأنبياء وقعوا بطلاسم . وألفَّ لليهود والنَّصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوة سيِّد البشر .

قال أبو علي الجُبَّائي : طلب السلطانُ أبا عيسى الورَّاق وابن الرِّيونْدِيّ ، فأما الورَّاق فسُجن حتى مات ، واسمه : محمد بن هارون ، من رؤوس

---

(١) السير (١٣/ ٤٤١ - ٤٤٢) .

(٢) الضمير في ((فيه)) عائد إلى كتاب ((الزمردة)) . وعبارة ابن الجوزي في ((المنتظم)) : ((وقد نظرت في كتاب ((الزمرد)) فرأيت فيه الهذيان البارد)) .

المتكلمين ، وله تصانيف في الرّد على النصارى وغيرهم . واختفى ابنُ الرَّيونْدي عند ابن لاوي اليهودي ، فوضع له كتاب ((الدِّامغ)) ، ثم لم يلبثْ أنْ مرض ومات ، إلى اللعنة ، وعاش نيَّفاً وثمانين سنة ، وقد سرد ابن الجوْزي من بلاياه نحواً من ثلاثة أوراق .

قال البلخي : لم يكن في نُظراء الرَّاونْدي مثله في المعقول ، وكان أول أمره حسن السِّيرة ، كثير الحياء ، ثم انسلخ من ذلك لأسباب ، وكان علمُهُ فوق عقله . قال : وقد حُكي عن جماعة أنه تاب عند موته .

قال في بعض المعجزات : يقول المنجِّم كهذا .

وقال : في القرآن لحن .

وألَّف في قدم العالم . ونفى الصَّانع .

وقال : يقولون : لا يأتي أحدٌ بمثل القُرآن . فهذا إقليدس لا يأتي أحدٌ بمثله ، وكذلك بَطْلَيْموس .

وقيل : ما طال عمرهُ ، بل عاش ستّاً وثلاثين سنة .

لعن الله الذَّكاء بلا إيمان ، ورضي الله عن البلادة مع التَّقوى [١].

ترهات وضلال

وقال القرميسيني : عِلْمُ الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحْدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المُغالطة والزَّنْدقة .

قلت : صدقت والله ، فإنَّ الفناء والبقاء من تُرَّهات الصُّوفيَّة ، أطلقه بعضُهم ، فدخل من بابه كلُّ إلحادي وكلُّ زنديق ، وقالوا : ما سوى الله باطلٌ فإن الله تعالى هو الباقي ، وهو هذه الكائنات ، وما ثمَّ شيء غيره .

---

(١) السير (١٤/ ٦٠ - ٦٢) ترجمة الملحد عدوّ الدين أحمد بن يحيى بن اسحاق الريوندي صاحب التصانيف في الحط على الملة .

ويقول شاعرهم :

وما أنت غير الكون بل أنت عَيْنُه

ويقول الآخر :

وما ثمَّ إلا اللهُ ليس سواه .

فانظرْ إلى هذا المروق والضّلال ، بل كلُّ ما سوى الله محدثٌ موجود . قال الله تعالى : ﴿ **خلق السَّماواتِ والأرض وما بيْنهما في ستةِ أيام** ﴾ [السجدة : ٤]

وإنما أراد قُدماء الصُّوفية بالفناء نسيان المخلوقات وتركها ، وفناء النَّفس عن التشاغل بما سوى الله ، ولا يُسَلَّمُ إليهم هذا أيضاً ، بل أمرنا الله ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها ، وتعظيم خالقها ، وقال تعالى : ﴿ **أولم ينظُروا في ملكوت السَّماوات والأرض وما خلق اللهُ منْ شيء** ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ، وقال : ﴿ **قُل انظروا ماذا في السَّماوات والأرْض** ﴾ [يونس:١٠١] .

وقال عليه السلام : ((**وحُبِّبَ إليَّ النِّساء والطِّيب**)) (١).

وقال : ((**كأنك علمت حُبَّنا للحم**)) . وكان يحِبُّ عائشة ، ويحب أباها ، ويحبُّ أُسامة ، ويحب سِبْطيْه ، ويحب الحلْواء والعسل ، ويحب جبل أُحد ، ويحب وطنه ، ويحب الأنْصار ، إلى أشياء لا تحصى مما لا يغني المؤمن عنها قطٌ(٢).

(١) أخرجه النسائي في أول عشرة النساء ، وأحمد ١٢٨/٣ و ١٩٩ و ٢٨٥ من طرق عن سلام أبي المنذر ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ((حبب إلي من الدنيا النساء والطيب ، وجعل قرة عيني في الصلاة)) وهذا سند قوي ، وصححه الحاكم .

تنبيه : يزيد بعضهم بعد قوله ((حبب إلي من الدنيا)) لفظاً ثلاثاً وهي زيادة شاذة لم تقع في شيء من كتب الحديث ، وهي زيادة مفسدة للمعنى ، لأن الصلاة من أمور الدنيا .

(٢) السير (١٥ / ٣٩٣ - ٣٩٤) ترجمة شيخ الصوفية أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسيني .

صوفي جاهل

قال إبراهيم بن أحمد الطَّبري : سمعت الخُلْدي يقول : مضيتُ إلى عبَّاس الدُّوري ، وأنا حدث ، فكتبت عنه مجلساً ، وخرجتُ ، فلقيني صُوفيٌ ، فقال : أيشٍ هذا ؟ فأريته ، فقال : ويحك ، تدع علْم الخرق ، وتأخذ علْم الورق ! ثم خرَّق الأوراق ، فدخل كلامُه في قلبي ، فلم أعدْ إلى عبَّاس ، ووقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفه .

قلت : ما هذا إلا صْوفيٌ جاهلٌ يمزِّق الأحاديث النبوية ، ويحُضُّ على أمرٍ مجهول ، فما أحوجه إلى العلم [١].

أبو حيّان التوحيدي

الضّالُ المُلحد ، أبو حيّان ، عليُّ بن محمد بن العباس ، البغداديُّ الصوفيُّ ، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية ، ويقال : كان من أعيان الشافعية .

قال ابن بابي في كتاب ((الخريدة والفريدة)) : كان أبو حيّان هذا كذّاباً قليل الدِّين والورع عن القذْف والمُجاهرة بالبُهتان ، تعرَّض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل ، ولقد وقف سيدُنا الوزير الصاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغِلُه ويُخفيه من سوء الاعتقاد ، فطلبه ليقتله ، فهرب ، والتجأ إلى أعدائه ، ونفَقَ عليهم تزخرفُهُ وإفكُه ، ثم عثروا منه على قبيح دِخْلته وسوء عقيدته ، وما يُبطنه من الإلحاد ، ويرومُه في الإسلام من الفساد ، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح ، ويُضيفُه إلى السلف الصالح من الفضائح ، فطلبه

---

(١) السير (١٥/ ٥٥٩) ترجمة الشيخ الإمام القدوة المحدث شيخ الصوفية محمد بن نصير بن قاسم البغدادي .

الوزير المُهَلَّبي ، فاستتر منه ، ومات في الاستتار ، وأراح الله منه العباد ، ولم يُؤثر عنه إلا مثلبةٌ أو مُخزية .

وقال أبو الفرج بن الجوزي : زنادقة الإسلام ثلاثةٌ : ابن الرَّاونْدي ، وأبو حيان التوحيدي ، وأبو العلاء المعري ، وأشدُّهم على الإسلام أبو حيان ، لأنهما صرّحا ، وهو مُجمِح ولم يُصرِّح .

قلت : وكان من تلامذة علي بن عيسى الرُّماني ، ورأيته يبالغ في تعظيم الرمّاني في كتابه الذي ألفه في تقريط الجاحظ ، فانظر إلى المادح والممدوح ! وأجودُ الثلاثة الرُّماني مع اعتزاله وتشيُّعه [١].

الأبْـهري

القدوةُ شيخُ الزُّهاد ، أبو محمد ؛ جعفرُ بن محمد بن الحسين ، الإبْهَريُّ ثم الهمداني .

قال شيْرويه : كان وحيد عصره في علم المعرفة والطريقة ، بعيد الإشارة ، دقيق النظر .

وكان ثقةً عارفاً ، له شأنٌ وخطر ، وكرامات ظاهرة .

قيل : إنه عمل له خلوةً ، فبقي خمسين يوماً لا يأكل شيئاً ، **وقد قلنا** : إنَّ هذا الجوع المُفرِط لا يسُوغ ، فإذا كان سرْدُ الصِّيام والوصال قد نُهي عنهما ، فما الظَّنُّ ؟ وقد قال نبيُّنا ﷺ : ((**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضَّجيعُ**)) [٢]. ثم قلَّ منْ عمل هذه الخلواتِ المُبْتَدعة إلا واضطرب ، وفسد عَقْلُه ، وجفَّ دماغُه ، ورأى مرأىً ، وسمع خطاباً لا وُجود له في الخارج ، فإن كان مُتمكّناً من العلم والإيمان ، فلعلَّه ينجو بذلك من تزلزُل توحيده ، فإن كان

---

(١) السير (١٧/ ١١٩ - ١٢٠) .

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٤٧) والنسائي ٢٦٣/٨ ، وابن ماجه (٣٣٥٤) وسنده حسن .

جاهلاً بالسنن وبقواعد الإيمان ، تزلزل توحيده ، وطمع فيه الشيطان ، وادَّعى الوصول ، وبقي على مزلَّةِ قدم ، وربما تزندق ، وقال : أنا هو . نعوذ بالله من النفس الأمارة ، ومن الهوى ، ونسألُ الله أن يحفظ علينا إيماننا آمين [١].

سر الجهل

قال أبو حامد الغزالي : وصُدُورُ الأحرار قُبُورُ الأسرار ، ومن أفشى سِرَّ الربوبية ، كفر ، ورأى قتل مثل الحلاج خيراً من إحياء عشرة لإطلاقه ألفاظاً ، ونقل عن بعضهم قال : للربوبية سِرٌّ لو ظهر ، لبطلت النُّبوة ، وللنبوة سِرٌّ لو كشف ، لبطل العلمُ ، وللعلم سِرٌّ لو كشف ، لبطلت الأحكامُ .

قلت : سِرُّ العلم قد كشف لصوفية أشقياء ، فحلُّوا النظام ، وبطل لديهم الحلالُ والحرامُ [٢].

أحمق سمع طيش دماغه

قال الغزَّالي في العارف : فتتجلى له أنوارُ الحقِّ ، وتتكشف له العلوم المرموزةُ المحجوبةُ عن الخلق ، فيعرفُ معنى النبوة ، وجميع ما وردت به ألفاظُ الشريعة التي نحن منها على ظاهرٍ لا على حقيقة .

وقال عن بعضهم : إذا رأيته في البداية ، قلت : صديقاً ، وإذا رأيته في النهاية ، قلت : زنديقاً ، ثم فسَّره الغزَّالي ، فقال : إذ اسمُ الزنديق لا يُلصق إلا بمعطِّل الفرائض لا بمعطل النوافل . وقال : وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ، فيجلس فارغ القلب ، مجموع الهَمِّ يقول : اللهُ اللهُ اللهُ [٣]،

---

(١) السير (١٧/٥٧٦ - ٥٧٧) .

(٢) السير (١٩/ ٣٣٣) .

(٣) الذكر بالاسم المفرد لم يرد في السنة ؛ لأن الذكر ثناء على الله ، والثناء لا يكون إلا بجملة تامة ، وهدي رسول الله ﷺ واجب الاتباع في هذا وأمثاله ، وقد ثبت عنه ﷺ قوله : ((أفضلُ ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) .

على الدوام ، فليُفرِّغ قلبه ، ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث . قال : فإذا بلغ هذا الحد ، التزم الخلوة في بيت مظلم ، وتدثّر بكسائه ، فحينئذ يسمعُ نداء الحق : ﴿ يا أيُّها المُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر : ١] و ﴿ يا أيُّها المُزمِّلُ ﴾ [المزمل : ١] .

قلت : سَيِّدُ الخلق إنما سمِع ﴿ يا أيُّها المُدَّثِّرُ ﴾ من جبريل عن الله ، وهذا الأحمق لم يَسْمعْ نداء الحقِّ أبداً ، بل سَمِعَ شيطاناً ، أو سمع شيئاً لا حقيقة له من طيش دماغه ، والتوفيق في الاعتصام بالسنة والإجماع [١].

طاش و فاش

قال عمر بن الحاجب : طاف البلاد وسمع واستوطن خُوارزم ، وصار شيخ تلك الناحية ، وكان صاحب حديث وسنّة ، ملجأً للغُرباء ، عظيم الجاه ، لا يخاف في الله لومة لائم .

وقال ابن هلالة : جلستُ عنده في الخلوة مراراً ، وشاهدت أموراً عجيبة ، وسمعت من يخاطبني بأشياء حسنة .

قلت : لا وجود لمن خاطبك في خلوتك مع جوعك المُفرط ، بل هو سماع كلام في الدِّماغ الذي قد طاش و فاش وبقي قرعة كما يتِمُّ للمُبرْسم[٢] والمغمور بالحمى والمجنون ، فاجزِم بهذا واعبد الله بالسُّنن الثابتة تفلح ! [٣]

---

(١) السير (١٩ / ٣٣٣ - ٣٣٤) .
(٢) البرسام : عِلّة يُهذى فيها .
(٣) السير (٢٢ / ١١٢) ترجمة الشيخ الامام القدوة والمحدث الشهيد شيخ خراسان نجم الكبراء ، ويقال نجم الدين الكبرى أحمد بن عمرو بن محمد الخوارزمي الصوفي .

عقباها موت

قال مَكّيُّ بن عمر البيِّع : سمعت محمد بن عيسى يقول : صام طاهرٌ أربعين يوماً أربعين مرة ، فآخر أربعين عملها صام على قِشْر الدُّخن ، فلِيُبْسِهِ قرِعَ رأسُه، واختلط في عقله ، ولم أر أكثر مجاهدة منه .

قلت : فعلُ هذه الأربعينات حرامٌ قطعاً ، فعُقباها موتٌ من الخور أو جُنونٌ واختلاطٌ ، أو جفافٌ يوجب للمرء سماع خطاب لا وجود له أبداً في الخارج ، فيظنُّ صاحبه أنه خطابٌ إلّي [١]. كلا والله [٢].

ورطات متتالية

قال أبو عبدالرحمن السُّلمي : كان النصراباذي شيخ الصُّوفية بنيْسابور ، له لسانُ الإشارة مقروناً بالكتاب والسُّنَّة ، وكان يرجع إلى فنونٍ منها حفظ الحديث وفهْمُه ، وعلم التاريخ ، وعلومُ المعاملات والإشارة ، لقي الشِّبْليِّ ، وأبا الرُّوذباري ، قال : ومع عظم محلِّه كم من مرةٍ قد ضُرب وأهين ، وكم حُبس، فقيل له : إنك تقول الروحُ غيرُ مخْلوقة ، فقال : لا أقول ذا ، ولا أقول إنها مخلوقة بل أقول : الروحُ من أمر ربِّي ، فجهِدُوا به ، فقال : ما أقول إلاّ ما قال الله .

قلت : هذه هفوةٌ ، بل لا ريب في خلقها ، ولم يكن سؤال اليهود لنبينا ﷺ عن خلقها ولا قدمها ، إنما سألوا عن ماهيتها وكيْفيتها ، قال الله تعالى : ﴿ **اللهُ خالِقُ كُلِّ شيْءٍ** ﴾ [الزمر : ٦٢] فهو مُبدع الأشياء وموجدُ كلِّ فصيح وأعجم ،

---

(١) أي : إلهي ، فقد جاء في اللسان : الإل : الله عز وجل .. والمعنى أنه مما يوسوس له يخيل إليه أنه يسمع كلاماً ويظن أن الله يخاطبه به .

(٢) السير (١٧ / ٣٩١) ترجمة شيخ الزهاد طاهر بن حسن بن ابراهيم الجصاص .

ذاته وحياته وروحه وجسده ، وهو الذي خلق الموت والحياة والنفوس ، سبحانه.

ثم قال السُّلمي ، وقيل له : إنك ذهبت إلى النَّاووس وطُفت به ، وقلت : هذا طوافي فَتَنَقَّصْتَ بهذا الكعبة !! قال : لا ، ولكنَّهما مخلوقان ، لكنْ بها فضلٌ ليس هنا ، وهذا كمن يُكرمُ كلباً ، لأنه خَلْقُ الله ، فعوتب في ذلك سنين .

قلت : وهذه ورْطةٌ أُخرى . أفتكون قبلةُ الإسلام ، كقبرٍ ويُطاف به ، فقد لعن رسول الله ﷺ من اتَّخذ قبْراً مسْجداً .

قال السُّلمي : سمعتُ جدِّي يقول : منذ عرفتُ النَّصْراباذي ما عرفتُ له جاهليّة .

وقال الحاكم : هو لسان أهل الحقائق في عصره ، وصاحب الأحوال الصحيحة ، كان جمَّاعةً للرِّوايات من الرَّحالين في الحديث، وكان يُورِّق قديماً ، ثم غاب عن نيسابور نيفاً وعشرين سنة ، وكان يعظُ ويذكر ، وجاور في سنة خمس وستين ، وتعبد حتى دُفن بمكة ، في ذي الحجة سنة سبع وستين وثلاث مئة ، ودُفن عند الفُضيْل ، وبيعتْ كُتُبُه ، فكشفت تلك عن أحوال والله أعلم . وسمعته يقول ، وعوتب في الروح ، فقال : إنْ كان بعد الصّديقين موحدٌ فهو الحلاَّج .

قلت : وهذه ورْطةٌ أخرى ، بل قُتل الحلاَّج بسيف الشرع على الزَّندقة وقد جمعتُ بلاياه في جُزءين ، وقد كان النَّصْراباذي صحب الشِّبلي ، ومشى على حذوه ، فواغوثاه بالله [1].

(١) السير (١٦/ ٣٦٤ - ٣٦٥) ترجمة الإمام المحدث القدوة الواعظ شيخ الصوفية إبراهيم بن محمد بن أحمد النصراباذي النيسابوري الزاهد .

م- ملوك وكبراء

لا دنيا ولا آخرة

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي (بن سلول) : استشهد عبد الله يوم اليمامة ، وقد مات أبوه سنة تسع ، فألبسه النبيُّ ﷺ ، قميصه وصلّى عليه ، واستغفر له إكراماً لولده ، حتى نزلت : ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره** ﴾ [التوبة : ٨٩] .

وقد كان رئيساً مطاعاً ، عزم أهلُ المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ ، على أن يُملِّكوه عليهم ، فانحلَّ أمره ، ولا حصَّل دنيا ولا آخرة ، نسأل الله العافية [1].

لعله أسلم !

قال الوليد بن مسلم : حدثنا أبو عمرو ، ومالك بن أنس : أن أهل قيْسارية أسروا ابن حذيفة ، فأمر به ملكهم ، فجُرِّب بأشياء صبر عليها . ثم جعلوا له في بيت معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثاً لا يأكل ، فاطَّلعوا عليه ، فقالوا للملك : قد انثنى عُنُقُه ، فإنْ أخرجته وإلا مات ، فأخرجه ، وقال : مامنعك أن تأكل وتشرب ؟

قال : أما إنَّ الضرورة كانت قد أحلَّتها لي ، ولكن كرِهتُ أن أُشمتك بالإسلام . قال : فقبِّل رأسي ، وأخلِّي لك مئة أسير . قال : أما هذا فنعم .

فقبَّل رأسه ، فخلَّى له مئة ، وخلَّى سبيله . وقد روى ابن عائذ قصة ابن حذيفة فقال : حدثنا الوليد بن محمد : أن ابن حذيفة أسر . فذكر القصة مطولة ، وفيها : أطلق له ثلاث مئة أسير وأجازه بثلاثين ألف دينار ، وثلاثين وصيفة ، وثلاثين وصيفاً .

---

(١) انظر السير (١/ ٣٢٣).

ولعل هذا الملك قد أسلم سِرّاً . ويدلُّ على ذلك مبالغتُه في إكرام ابن حذيفة. وكذا القول في هرقل إذْ عرض على قومه الدخول في الدين ، فلما خافهم قال : إنما كنتُ أختبرُ شِدَّتكُم في دينكم . فمن أسلم في باطنه هكذا ، فيُرجى له الخلاص من خلود النار ؛ إذْ قد حصَّل في باطنه إيماناً ما وإنما يُخاف أن يكون قد خضع للإسلام وللرسول ، واعتقد أنهما حق ، مع كون أنه على دين صحيح ، فتُراه يُعظِّمُ للدينين ، كما قد فعله كثيرٌ من المسلمانية الدواوين، فهذا لا ينفعه الاسلام حتى يتبرأ من الشرك [1].

لا نسبّه ولا نحبّه

له (يزيد بن معاوية) على هناتِهِ حسنة ، وهي غزْوُ القُسْطنْطِينية ، وكان أمير ذلك الجيش ، وفيهم مثلُ أبي أيُّوب الأنصاري .عقد له أبوه بولاية العهْد من بعده ، فتسلم المُلْك عند موت أبيه في رجب سنة ستين ، وله ثلاثٌ وثلاثون سنة . فكانت دولته أقلَّ منْ أربع سنين ؛ ولم يُمْهِلْهُ الله على فعله بأهل المدينة لمّا خلعوه . فقام بعده ولده نحواً من أربعين يوماً ، ومات . وهو أبو ليلى معاوية . عاش عشرين سنة ، وكان خيْراً من أبيه ، وبويع ابن الزُّبيْر بالحجاز والعراق والمشْرق .

ويزيد ممّن لا نسبُّهُ ولا نُحِبُّهُ ، وله نُظراء من خلفاء الدَّولتين ، وكذلك في ملوك النَّواحي ، بل فيهم من هو شرٌّ منه ، وإنَّما عظُم الخطب لكونه وُلّي بعد وفاة النبي ﷺ بتسع وأربعين سنة ، والعهدُ قريب ، والصحابة موجودون، كابن عُمر الذي كان أوْلى بالأمر منه ومن أبيه وجدِّه ...

وعن محمد بن أحمد بن مِسمع قال : سكِر يزيد ، فقام يرقصُ ، فسقط على رأسه فانشقَّ وبدا دماغُه .

---

(١) انظر السير (٢ / ١٥ - ١٦).

قلت : كان قوياً شجاعاً ، ذا رأيٍ وحزْم ، وفطنة ، وفصاحة ، وله شعر جيِّد وكان ناصبياً [١] ، فظّاً ، غليظاً ، جِلْفاً . يتناول المُسْكِر ، ويفعل المُنْكر .

افتتح دولته بمقتل الشهيد الحُسين ، واختتمها بواقعة الحرَّة ، فمقته الناس. ولم يُبارَكْ في عمره . وخرج عليه غيرُ واحد بعد الحُسين . كأهل المدينة قاموا لله ، وكمرادس بن أُديَّة الحنظليّ البصريّ ، ونافع بن الأزْرق ، وطوَّاق بن معلّى السدوسي ، وابن الزُّبير بمكة [٢].

لا تمكر بنا

قال ابن عائشة : أفْضى الأمرُ [٣] إلى عبد الملك والمُصْحفُ بين يديه ، فأطبقهُ وقال : هذا آخر العهْد بك . **قلت** : اللهمَّ لا تمْكُر بنا .

قال الشعبي : خطب عبد الملك ، فقال : اللهمَّ إن ذنوبي عِظام ، وهي صغار في جنْب عفوك يا كريم ، فاغفرها لي .

قلت : كان من رجال الدَّهر ودُهاة الرجال ، وكان الحجَّاج من ذنوبه [٤].

الحجَّاج

أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهْلاً ، وكان ظلُوماً ، جباراً ، ناصبيّاً ، خبيثاً ، سفَّاكاً للدماء . وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء ، وفصاحةٍ وبلاغة ، وتعْظيمٍ للقرآن . قد سُقْتُ من سوء سيرته في تاريخي الكبير ، وحصاره لابن الزُبير بالكعبة ، ورمْيه إياَّها بالمنجنيق ، وإذلاله لأهل الحرمين ، ثم ولايته على العراق والمشرق كُلّه عشرين سنة ، وحروب ابن الأشعث له ، وتأخيره

(١) من ((الناصبية)) وهم المنافقون المتديِّنون ببغض عليٍّ رضي الله عنه ، سموا بذلك لأنهم نصبوا له وعادوه .
(٢) انظر السير (٤/ ٣٦ - ٣٨).
(٣) أي : أمر الملك والخلافة .
(٤) انظر السير (٤/ ٢٤٨ - ٢٤٩).

للصلوات إلى أن استأصله الله . فنسبُّه ولا نُحبُّه ، بل نُبغِضُهُ في الله . فإنَّ ذلك من أوثق عُرى الإيمان .

وله حسناتٌ مغمورة في بحرْ ذنوبه . وأمْرُه إلى الله . وله توحيدٌ في الجُملة ، ونُظراء مِنْ ظلمةِ الجبابرة والأمراء [(١)].

القتلة الجاهلية

(يزيد بن المهلب) وكان ذا تيهٍ وكبْر ؛ رآه مُطرِّف بن الشِّخِّير يسحبُ حُلَّتهُ، فقال له : إنَّ هذه مِشْيةٌ يُبْغضُها الله ؛ قال : أوما تعرفني ؟! قال : بلى ، أوَّلك نُطْفةٌ مذِرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك تحمل العذِرة .

وعنه ، قال : الحياة أحبُّ إليَّ من الموت ، وحُسْن الثناء أحبُّ إليَّ من الحياة.

وقيل له : ألا تُنشِئ لك داراً ؟ قال : لا ، إنْ كنتُ مُتولياً فدار الإمارة ؛ وإنْ كنتُ معزولاً فالسجن .

قلت : هكذا هو ؛ وإنْ كان غازياً فالسَّرْجُ ، وإنْ كان حاجاً فالكُور[(٢)]، وإن كان ميتاً فالقبْر ؛ فهلْ منْ عامرٍ لدار مقرِّه ! .

ثم إنَّ يزيد بن المُهلَّب ، لما استُخلِف يزيدُ بن عبد الملك غلب على البصرة، وتسمَّى بالقحْطاني ، فسار لِحَرْبه مسلمة بن عبد الملك ، فالتقوْا ، فقتل يزيد في صفر سنة اثنتين ومئة .

قلت : قُتل عن تسعٍ وأربعين سنة ، ولقد قاتل قتالاً عظيماً ، وتفلَّلتْ جموعُهُ ، فما زال يحملُ بنفسه في الألوف ، لا لِجهاد ، بلْ شجاعةً وحميَّةً ، حتَّى ذاق حِمامه . نعوذ بالله من هذه القِتْلة الجاهلية [(٣)].

---

(١) السير (٤ / ٣٤٣).
(٢) الكور : الرَّحْل .
(٣) السير (٤ / ٥٠٥ - ٥٠٦).

عجيب الشأن

أبو مسلم الخراساني اسمه عبد الرحمن بن مسلم ، ويقال : عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني ، الأمير ، صاحب الدعوة ، وهازم جيوش الدولة الأموية ، والقائم بإنشاء الدولة العباسية .

كان من أكبر الملوك في الإسلام . كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب مِنْ رجل يذهب على الحمار بإكافٍ من الشام حتى يدخل خراسان ، ثم يملِكُ خراسان بعد تسعة أعوام ، ويعود بكتائب أمثال الجبال ، ويقلب دولة ، ويُقيم دولة أخرى ! .

ذكره القاضي شمس الدين بن خلكان فقال : كان قصيراً ، أسمر ، جميلاً ، حلواً ، نقي البشرة ، أحور العين ، عريض الجبهة ، حسن اللحية ، طويل الشعر ، طويل الظهر ، خافض الصوت ، فصيحاً بالعربية وبالفارسية ، حلو المنطق ، وكان راوية للشعر ، عارفاً بالأمور ، لم يُر ضاحكاً ، ولا مازحاً إلا في وقته ، وكان لا يكاد يُقطّب في شيء من أحواله .

تأتيه الفتوحات العظام ، فلا يظهر عليه أثرُ السرور ، وتنزل به الفادحة الشديدة ، فلا يُرى مكتئباً . وكان إذا غضب لم يستفزه الغضب ... إلى أن قال : وكان لا يأتيه النساء في العام إلا مرة ، يشير إلى شرف نفسه ، وتشاغلها بأعباء الملك [1].

جهل خيرٌ من علم

قال سعيد بن عُفير : ما رأيت أخطب منه على هذه الأعواد . كان جامعاً لكل سُؤْدُد ، ويعرف الفلسفة ، وضرب العود ، والنجوم .

قلت : عِلْمُه هذا الجهلُ خيرٌ منه [2].

---

(١) السير (٦/ ٤٨).

(٢) السير (٨/ ٣٥٩) ترجمة إسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي نائب مصر ثم حلب .

فــارس الإســلام

الإمامُ ، الزَّاهد ، العابد المجاهد ، فارس الإسلام ، ابو اسحاق احمد بن اسحاق السرماري ، بشجاعته يُضْرب المثل .

قال إبراهيم بن عفان البزَّاز : كنتُ عند أبي عبد الله البخاري ، فجرى ذكرُ أبي إسحاق السُّرْماري ، فقال : ما نعلم في الإسلام مثله . فخرجتُ ، فإذا أحيد رئيسُ المُطَّوِّعة ، فأخبرته ، فغضب ودخل على البُخاري ، وسأله ، فقال : ما كذا قلتُ : بل : ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا الجاهلية مثلُه .

وعن أحمد بن إسحاق ، قال : ينْبغي لقائد الغُزاة أن يكون فيه عشرُ خصال : أنْ يكون في قلب الأسد : لا يجْبنُ ، وفي كِبر النمر : لا يتواضع ، وفي شجاعة الدب : يقتل بجوارحه كلها ، وفي حمْلة الخنزير : لا يولي دُبُره ، وفي غارة الذئب : إذا أَيِس من وجْهٍ أغار من وجه ، وفي حمْل السلاح كالنملة : تحمل أكثر من وزنها ، وفي الثبات كالصخر ، وفي الصبر كالحمار ، وفي الوقاحة كالكلب : لو دخل صيده النار لدخل خلفه ، وفي التِماس الفرصة كالديك . قال : ذاك أحمد السُّرماري . قال : فلِم لم تحمله معك ؟ قلتُ : توفي ، فصكَّ في وجهي ، وقال : لو أعلمتني أنه هو لكنتُ أُعطيه خمس مئة برْذون ، وعشرة آلاف شاةٍ .

قال غُنجار : سمعت محمد بن خالد وأحمد بن محمد ، قالا : سمعنا عبدالرحمن بن محمد بن جرير ، سمعت عبيد الله بن واصل ، سمعت أحمد السرماري يقول ، وأخرج سيفه ، فقال : أعْلمُ يقيناً أني قتلتُ به ألف تُركي ، وإن عشت قتلتُ به ألفاً أخرى ، ولولا خوفي أن أكون بدْعة لأمرت أن يُدفن معي .وعن محمود بن سهل الكاتب ، قال : كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكاناً ، ورئيس العدو قاعدٌ على صفَّة [1]، فرمى السرماري سهماً ، فغرزه في

---

(١) الصفة : الظلمة ، والبهو الواسع العالي السقف .

الصفة ، فأومأ الرئيس لينزعه ، فرماه بسهمٍ آخر خاط يده ، فتطاول الكافرُ لينزعه من يده ، فرماه بسهم ثالث في نحره ، فانهزم العدو ، وكان الفتح .

قلت : أخبار هذا الغازي تُسرُّ قلب المسلم [(١)].

الشيطان المريد

صاحب مِصْر الحاكم بأمر الله ، أبو علي منصور بن العزيز نزار بن المُعزِّ معدّ بن منصور إسماعيل بن القائم محمد بن مهدي ، العُبيدي المِصري الرَّافضي ، بل الإسْماعيلي الزنديق المدَّعي الربوبية .

مولود في سنة خمس وسبعين وثلاث مئة .

وأقاموه في الملك بعد أبيه ، وله إحدى عشر سنة ، فحكى هو ، قال : ضمَّني أبي وقبَّلني وهو عُرْيان ، وقال : امضِ فالعب ، فأنا في عافية . قال : ثم توفِّي ، فأتاني برجوان [(٢)]، وأنا على جُميزة في الدار ، فقال : انزلْ ويْحك ، الله الله فينا ، فنزلتُ ، فوضع العمامة بالجواهر على رأسي ، وقبل الأرض ثم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وخرج بي إلى الناس ، فقبلوا الأرض ، وسلَّموا عليَّ بالخلافة .

قلت : وكان شيطاناً مريداً جبَّاراً عنيداً ، كثير التلوُّن ، سفَّاكاً للدماء ، خبيث النِّحلة ، عظيم المكْر جواداً مُمدِّحاً ، له شأنٌ عجيب ، ونبأٌ غريبٌ ، كان فرعون زمانه ، يخْترع كل وقت أحكاماً يُلزمُ الرعية بها ، أمر بسبِّ الصحابة رضي الله عنهم ، وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع ، وأمر عُمَّاله بالسب ، وبقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلاث مئة ، وأبطل الفُقَّاع [(٣)]

---

(١) السير (١٣ / ٣٧ - ٤٠).
(٢) هو أبو الفتوح ، برجوان ، كان من خدام العزيز ، ومدبِّري دولته .
(٣) شراب يتخذ من الشعير .

والمُلوخيا ، وحرَّم السَّمك الذي لا فُلُوس عليه [١]، ووقع ببائعٍ لشيء من ذلك فقتلهم [٢].[٣]

القِرْمِطيُّ

عدوُّ اللهِ ملكُ البحرين ، أبو طاهر ، سُليمان بن حسين ، القِرْمِطيُّ الجنَّابي ، الأعرابي الزنديق .

الذي سار إلى مكة في سبع مئة فارس ، فاسْتباح الحجيج كلَّهم في الحرم ، **واقتلع الحجر الأسود** ، **وردم زمزم بالقتلى** ، **وصعِد على عتبة الكعبة** ، يصيح :

أنا بالله وبالله أنا   يخلق الخلق وأُفنيهم أنا

فقتل في سكك مكة وما حولها زُهاء ثلاثين ألفاً ، وسبى الذُّرية ، وأقام بالحرم ستة أيام .

بذل السَّيف في سابع ذي الحجة ، ولمْ يعرِّف [٤] أحدٌ تلك السنة [٥] ، فلله الأمر . وقتل أمير مكة ابن محارب ، وعرَّى البيت ، وأخذ بابه ، ورجع إلى بلاد هَجَر [٦].

وقيل : دخل قِرْمطيٌّ سكران على فرسٍ ، فصفَّر له ، فبال عند البيت ، وضرب الحجر بدبوس هشمه ثم اقتلعه . وأقاموا بمكة أحد عشر يوماً . وبقي الحجر الأسود عندهم نيفاً وعشرين سنة .

---

(١) ((وفيات الأعيان)) : ٢٩٣/٥ الفلس : القشرة على ظهر السمكة .

(٢) الوجه : فقتله .

(٣) السير (١٥ / ١٧٣ - ١٧٤).

(٤) لم يقف أحد على جبل عرفة .

(٥) سنة : ٣١٧ هـ .

(٦) إحدى بلاد الأحساء انظر ((وفيات الأعيان)) : ١٥٠/٢ وانظر ((المنتظم)) : ٣٢٣/٦.

ويقال : هلك تحته إلى هجر أربعون جملاً ، فلما أُعيد كان على قعُودٍ [1] ضعيف ، فسمن .

وكان بُجْكُم التُرْكيُّ [2] دفع لهم فيه خمسين ألف دينارٍ ، فأبوا ، وقالوا : أخذناه بأمرٍ ، وما نردُّه إلا بأمر .

ثم جرتْ لأبي طاهر مع المسلمين حروبٌ أوْهنته . وقُتِلَ جُنْدُه ، وطلب الأمان على أن يرُدَّ الحجر ، وأن يأخذ عن كل حاج ديناراً ويخفرهم .

قلت : ثم هلك بالجدري - لا رحمه الله - في رمضان سنة اثنتين وثلاث مئة بهجر كهْلا [3].

رفيع له الهنات

قيل إن ابن عبد البر حمل إلى السلطان محمود بن سبكتكين ليسمع وعظه فلما دخل جلس بلا إذن ، وأخذ في رواية حديثٍ بلا أمر ، فتنمَّر له السلطان ، وأمر غلاماً ، فلكمهُ لكمةً أطْرشتْهُ ، فعرَّفه بعضُ الحاضرين منزلته في الدين والعلم ، فاعتذر إليه ، وأمر له بمال ، فامتنع ، فقال : يا شيخ : إن لِلْمُلْكِ صولة ، وهو مُحتاجٌ إلى سياسة ، ورأيتُ أنك تعدَّيت الواجب ، فاجعلني في حِلٍّ . قال : الله بيننا بالمرصاد ، وإنما أحضرتني للوعظ ، وسماع حديث الرسول ﷺ ، وللخشوع لا لإقامة قوانين الرئاسة . فخجل الملك ، واعتنقه .

قلت : رُتبةُ محمودٍ رفيعةٌ في الجهاد وفتح الهند وأشياء مليحة ، وله هناتٌ ، هذه منها ، وقد ندِم واعتذر ، فنعوذ بالله من كل مُتكبر جبَّار . وقد رأينا الجبَّارين المتمردين الذين أماتوا الجهاد ، وطغوا في البلاد ، فواحسرةً على العباد [4].

---

(١) البعير من الإبل ، وهو البكر الفتي .

(٢) أمير الأمراء في بغداد زمن الراضي بالله والمتقي . كان داهية ، شجاعاً ، قتله الأكراد سنة ٣٢٩هـ . انظر ما كتبه عنه الصولي في ((أخبار الراضي والمتقي)) : ١٩٣ - ١٩٧ وانظر ((المنتظم)) : ٦/ ٣٢٠ - ٣٢٢ .

(٣) السير (١٥/ ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٥) .

(٤) السير (١٨/ ١٧٣ - ١٧٤) .

المستنجد بالله العباسي

قيل : إنَّ المُستنجد كان فيه عدلٌ ورِفق ، بطل مُكوساً كثيرة .

قال ابن النجار : كان موصوفاً بالفهم الثاقب ، والرأيِ الصائب ، والذكاء الغالب ، والفضل الباهر ، له نظمٌ ونثرٌ ، ومعرفة بالأسْطُرلاب ، تُوفي في ثامن ربيع الآخر سنة ستٍّ وستين وخمس مئة ، وقام بعده ابنه المستضيء .

قلت : الإمامُ إذا كان له عقلٌ جيدٌ ودين متينٌ ، صلح به أمر الممالك فإن ضعُف عقله ، وحسُنت ديانته ، حمله على مُشاورة أهل الحزْم ، فتسدَّدت أموره ، ومشت الأحوال ، وإن قلَّ دينه ، ونبل رأيه ، تعبت البلاد والعباد ، وقد يحْملُهُ نُبْلُ رأيه على إصلاح ملكه ورعيته للدنيا لا للتقوى ، فإن نقص رأيه، وقلَّ دينه وعقله ، كثر الفساد ، وضاعت الرعية ، وتعبوا به، إلا أن يكون فيه شجاعة وله سطوةٌ وهيبةٌ في النفوس ، فينجرُ الحالُ، فإن كان جباناً، قليل الدين ، عديم الرأي ، كثير العسْف ، فقد تعرَّض لبلاءٍ عاجل ، ورُبما عُزل وسجن إن لم يقتل ، وذهبت عنه الدنيا ، وأحاطت به خطاياه ، وندم - و الله - حيث لا يغني الندم ، ونحن آيسون اليوم من وجود إمام راشدٍ من سائر الوجوه ، فإن يسَّر الله للأمَّةِ بإمام فيه كثرةُ محاسن وفيه مساوئ قليلة ، فمنْ لنابه ، اللهم فأصلح الراعي والرعية ، وارحم عبادك ، ووفقهم ، وأيد سُلطانهم ، وأغنهم بتوفيقك [1].

---

(١) السير (٢٠ / ٤١٨) .



ن- أدبيـــات

المجنون

قيس بن الملوَّح ، وقيل : ابن مُعاذ ، وقيل : اسمه بَخْتَريٌّ بن الجَعْد ، وقيل غير ذلك . من بني عامر بن صَعْصعة . وقيل من بني كعْب بن سعْد . الذي قتله الحبُّ في ليلى بنتِ مهدي العامريَّةِ .

وقد أنكر بعضُهم ليلى والمجنون ، وهذا دفْعٌ بالصَّدر ، فما منْ لمْ يعلمْ حُجَّة على منْ عنده عِلْم ، ولا المثبتُ كالنَّافي ، لكن إذا كان المثبتُ لشيءٍ شَبْه خُرافة ، والنافي ليس غَرَضُهُ دفْع الحقّ ، فهنا النَّافي مقدَّمٌ ، وهنا تقعُ المكابرة وتُسْكبُ العبْرة .

فقيل : إنَّ المجنون علِق ليلى علاقة الصِّبا وكانا يرْعيان البهم [1].

ألا تسمع قوله ، وما أفحل شعره :

تَعلَّقْتُ ليلى وهْي ذاتُ ذؤابةٍ ولم يبْدُ للأتْراب منْ ثدْيها حجْمُ

صغيريْن نرْعى البهْم يا ليْت أننا إلى اليوْم لمْ نكْبر ولم تكْبر البهْم

وعلِقتْه هي أيضاً ، ووقع بقلبها . وهو القائل :

أظنُّ هواها تاركي بمضلَّةٍ من الأرض لا مالٌ لديَّ ولا أهْلُ

ولا أحدٌ أقْضي إليه وصيَّتي ولا وارثٌ إلا المطيَّةُ والرحْلُ

محا حُبُّها حُبَّ الأُلى كُنَّ قبْلها وحلَّتْ مكاناً لم يكُنْ حُلَّ منْ قبلُ

.... فاشتدَّ شغفُهُ بها حتى وُسوس وتخبّل في عقله فقال :

إني لأجلِسُ في النادي أُحدِّثهم فأستفيقُ وقد غالتني الغُولُ [2]

---

(١) البهم : جمع بهْمة ، وهو الصغير من الضأن ، الذكر والأنثى في ذلك سواء .

(٢) الغول : نوع من الشياطين كانت العرب تزعم أنها تظهر للناس في الفلاة ، فتتلون لهم بصور شتى ، وغالتني : أضلتني وأهلكتني .

يُهْوي بقلبي حديثُ النَّفس نحوكُم حتى يقول جليسي أنت مخْبولُ

قال أبو عُبيدة : تزايد به الأمر حتى فقد عقْله ، فكان لا يُؤويه رحْلٌ ولا يعلوه ثوبٌ إلا مزَّقه . ويقال : إن قوم ليلى شكوا المجنون إلى السلطان ، فأهدر دمه ، وترحَّل قومها بها . فجاء وبقي يتمرَّغُ في المحلَّة ، ويقول :

أيا حرجات الحيّ حيْثُ تحمَّلُوا بذي سلمٍ لا جادكُنَّ ربيعُ

وخيْماتُكِ اللّاتي بمنْعرج اللّوى بلين بلى لمْ تبْلهُنَّ رُبُوعُ

وقيل : إن قومه حجُّوا به ليزور النبي ﷺ ويدعو ، حتى إذا كان بمنىً سمع نداءً : ياليلى ، فغشي عليه ، وبكى أبوه فأفاق يقول :

وداعٍ دعا إذْ نحن بالخيْفِ منْ منى فهيَّج أطْراب الفُؤاد ولم يدْرِ

دعا باسْم ليلى غيرها فكأنّما أطار بليلى طائراً كان في صدري

و جزعت هي لفراقه وضنيتْ . وقيل : إن أباه قيَّده ، فبقي يأكلُ لحم ذراعيه ، ويضربُ بنفسه فأطلقهُ ، فهام في فلاة ، فوُجد ميْتاً فاحتملوه إلى الحيِّ وغسَّلوه ودفنوه . وكثُر بكاء النساء والشباب عليه [1].

ولكنها حِكَمٌ

بلغنا عن الإمام الشافعيِّ ألفاظٌ قد لا تثبُتُ ، ولكنها حِكَمٌ ، فمنها : ما أفلح من طلب العلم إلا بالقِلَّة .

وعنه قال : ما كذبتُ قط ، ولا حلفتُ بالله ، ولا تركتُ غُسْل الجمعة ، وما شبعتُ منذ ستَّ عشرة سنة ، إلا شبعة طرحتها من ساعتي .

وعنه قال : من لم تُعِزَّهُ التقوى ، فلا عِزَّ له .

---

(١) السير (٤ / ٥ - ٧) .

وعنه : ما فزِعتُ من الفقرِ قطّ . طلبُ فضول الدنيا عقوبةٌ عاقب بها الله أهل التوحيد .

وقيل له : مالك تُكثر من إمساك العصا ، ولست بضعيف ؟ قال : لأذكُر أني مسافر .

وقال : من لزِم الشهوات ، لزمته عبودية أبناء الدُّنيا .

وقال : الخيرُ في خمسة : غنى النفسِ ، وكفِّ الأذى ، وكسْبِ الحلال ، والتقوى ، والثقةِ بالله .

وعنه : أنفعُ الذخائر التقوى ، وأضرُّها العُدوان .

وعنه : اجتنابُ المعاصي ، وترْكُ ما لا يعنيك ، يُنوِّرُ القلب ، عليك بالخلوة ، وقِلَّة الأكل ، إيَّاك ومُخالطة السُّفهاء ومن لا يُنصِفك ، إذا تكلمت فيما لا يعنيك ملكتْك الكلمةُ ، ولم تملكْها .

وعنه : لو أوصى رجلٌ بشيءٍ لأعقلِ الناس ، صُرف إلى الزُّهاد .

وعنه : سياسةُ الناس أشدُّ من سياسة الدواب .

وعنه : العاقلُ من عَقَلَهُ عقْلُه عن كلِّ مذمُوم .

وعنه : للمروءة أركان أربعة : حسنُ الخلق ، والسخاءُ ، والتواضعُ ، والنُّسُك .

وعنه : لا يكمُلُ الرجل إلا بأربعٍ : بالديانة ، والأمانة ، والصِّيانة ، والرَّزانة .

وعنه : ليس بأخيك من احتجت إلى مُداراته .

وعنه : علامةُ الصَّديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً .

وعنه : منْ نمَّ لك نمَّ عليك .

وعنه قال : التواضع من أخلاق الكرام ، والتكبُّر من شيم اللِّئام ، التواضع يورث المحبة ، والقناعة تورث الراحة .

وقال : أرفعُ الناس قدراً من لا يرى قدره ، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله .

وقال : ما ضُحِك من خطأ رجل إلا ثبت صوابه في قلبه .

لا نُلامُ والله على حُبِّ هذا الإمام ؛ لأنه من رجال الكمال في زمانه رحمه الله ، وإن كُنا نحبُّ غيره أكثر [١].

لا تبع الدين

قال حمَّاد بن سلمة : ما كنا نُشبِّه شمائل إسماعيل بن عُليَّة إلا بشمائل يونس حتى دخل فيما دخل فيه .

قلت : يُريدُ ولايتهُ الصَّدقة ، وكان موصوفاً بالدِّين والورع والتألُّه ، منظوراً إليه في الفضلِ والعلم ، وبدتْ منه هفواتٌ خفيفة ، لم تُغير رُتبتهُ إن شاء الله.

وقد بعث إليه ابن المبارك بأبياتٍ حسنةٍ يُعنِّفُهُ فيها ، وهي :

يا جاعل العِلْم له بازياً ... يصطادُ أمْوال المساكينِ

احتلت للدُّنيا ولذَّاتها ... بحيلة تَذْهبُ بالدينِ

فصِرْت مجنوناً بها بعْدما ... كُنت دواءً لِلْمجانِينِ

أين رِوايتك العِلْم بآثاره ... في ترْكِ أبواب السَّلاطينِ

تقول : أُكرِهْتُ ، فماذا كذا ... زلَّ حِمارُ العِلْمِ في الطينِ

لا تبِعْ الدِّين بالدُّنيا كما ... يفْعل ضُلاَّلُ الرُّهابينِ [٢]

---

(١) السير (١٠ / ٩٧ - ٩٩) .
(٢) السير (٩/١١٠) .

لحسن عمله ملاقياً

قال ابن خُزيمة وغيره : حدثنا المُزنيُّ قال : دخلتُ على الشافعيِّ في مرضِهِ الذي مات فيه ، فقلتُ : يا أبا عبدالله ، كيف أصبحت ؟ فرفع رأسهُ ، وقال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مُفارقاً ، ولسوء عملي مُلاقياً ، وعلى الله وارِداً ، ما أدري روحي تصيرُ إلى جنةٍ فأُهنِّيها ، أو إلى نارٍ فأُعزِّيها ، ثم بكى ، وأنشأ يقولُ :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلْتُ رجائي دُوْن عفوك سُلَّما

تعاظمني ذَنْبي فلمّا قرنْتُهُ ... بعفْوك ربي كان عفْوُك أعْظما

فما زِلت ذا عفْوٍ عن الذنْب لم تزلْ ... تجود وتعْفو منَّةً وتكرُّما

فإن تنتقم مني فلستُ بآيسٍ ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما

ولولاك لم يُغْوى بإبليس عابدٌ ... فكيف وقد أغوى صفيَّك آدما

وإني لآتي الذَّنْب أعرِفُ قدْرهُ ... وأعْلمُ أن الله يعفُو ترَحُّما

إسناده ثابت عنه [1] .

نكت العارفين

ويُروى عن حاتم الاصم قال : أفرحُ إذا أصاب منْ ناظرني ، وأحزن إذا أخطأ . وقيل : إن أحمد بن حنبل خرج إلى حاتِم ، ورحَّب به ، وقال له : كيف التخلُّص من الناس ؟ قال : أن تُعطيهم مالك ، ولا تأُخذ من مالهم ، وتقْضي حقوقهم ، ولا تستقضي أحداً حقَّك ، وتحْمِل مكروههم ، ولا تُكرِهُهم على شيء ، وليتك تسْلم .

---

(١) السير (١٠/ ٧٥ - ٧٦) .

وقال أبو تراب : سمعتُ حاتماً يقول : المؤمن لا يغيب عن خمسة : عن الله ، والقضاء ، والرزق ، والموت ، والشيطان .

وعن حاتم قال : لو أنَّ صاحب خبرٍ جلس إليك ، لكنت تتحرز منه ، وكلامُك يُعرض على الله فلا تحترز .

قلت : هكذا كانت نُكتُ العارفين وإشارتُهم ، لا كما أحدث المتأخّرون من الفناء والمحو والجمع الذي آل بجهلتهم إلى الاتّحاد ، وعدم السِّوى (١).

أو مَنْ تحت التراب

ومن كلام القاسم : رأسُ الأعمالِ الرضى عن الله ، والورعُ عمادُ الدين ، والجوع مخُ العبادة ، والحِصنُ الحصينُ الصَّمْتُ .

وقال قاسمٌ الجوعيُّ : سمعتُ مسلم بن زياد يقول: مكتوبٌ في التوراة : من سالَم سلِم ، ومن شاتم شُتِم ، ومن طلب الفضل من غير أهله ندِم .

وقال : الشهوات نفسُ الدنيا ، فمن ترك الشهواتِ فقد ترك الدُّنيا . إذا رأيت الرجل يُخاصمُ فهو يحبُّ الرئاسة .

قال عمرو بنُ دُحيم : توفي قاسمٌ الجوعُي في رمضان سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين .

قلت : كان زاهد الوقت هذا الجوعيُّ بدمشق ، والسَّرِيُّ السَّقطِيُّ ببغداد ، وأحمد بن حرب بنيسابور ، وذو النون بمصر ، ومحمد بن أسْلم بطوس . وأين مثلُ هؤلاء السادة ؟ ما يملأ عيني إلا التراب ، أو من تحت التراب (٢).

---

(١) السير (١١ / ٤٨٧) .
(٢) السير (١٢ / ٧٩) .

شعر رائق

وفي ترجمة الحافظ الإمام الصدوق هلال بن العلاء الباهلي الأمير الأديب قال رحمه الله[1] : له شِعْر رائقٌ ، لائقٌ بكل ذائق ، فمنه :

سيبْلى لِســانٌ كان يـُعْربُ لفظهُ   فيا ليتهُ منْ وقفةِ العرضِ يسلمُ

وما تنفعُ الآداب إنْ لمْ يكنْ تُقيً   وقد ضرَّ ذا تقوى لِسانٌ مُعجَّمُ

وله :

اقْبل معاذيْــر منْ يأتِيْك مُعْتذِراً   إنْ برَّ عنْدك فيما قال أو فــجرا

فقد أطاعك منْ أرْضاك ظاهِره   وما أجلَّك منْ يعـصيك مُسْتترا

نقيب العلوية

العلاَّمةُ الشريفُ المُرْتضى ، نقيبُ العلوية ، أبو طالب ؛ عليُّ بنُ حسين بن موسى ، القُرشيُّ العلويُّ الحُسينيُّ المُوسويُّ البغداديُّ ، من ولد موسى الكاظِم .

قلت : هو جامعُ كتاب « نهج البلاغة » ، المنسوبة ألفاظُه إلى الإمام عليّ رضي الله عنه ، ولا أسانيد لذلك ، وبعضُها باطلٌ ، وفيه حقٌ ، ولكن فيه موضوعاتٌ حاشا الإمام من النُّطق بها ، ولكن أين المُنصِفُ ؟! وقيل : بل جمْعُ أخيه الشريف الرضي .

وديوانُ المرتضى كبيرٌ وتواليفه كثيرةٌ ، وكان صاحب فُنُون .

وكان من الأذكياء الأولياء ، المُتبحِّرين في الكلام والاعتزالِ ، والأدب والشعر ، لكنه إماميٌّ جلْدٌ . نسأل الله العفو .

---

(١) السير (١٣ / ٣١٠) .

قال ابن حزم : الإماميَّةُ كُلُّهم على أنَّ القرآن مُبدَّلٌ ، وفيه زيادةٌ ونقصٌ سوى المرتضى ، فإنه كفَّر من قال ذلك ، وكذلك صاحباه أبو يعلى الطُّوسي ، وأبو القاسم الرازي .

قلت : وفي تواليفه سبُّ أصحابِ رسول الله ﷺ، فنعوذُ بالله من علمٍ لا ينفع [1].

صدق الناظم

أنبأني أحمدُ بن سلامة ، عن الحافظ عبدالغنيِّ بن سرورٍ ، أنشدنا أبو طاهرٍ السِّلفيُّ لنفسه في رجب سنة ست وستين وخمس مئة :

دعُوْني عنْ أسانيدِ الضَّلالِ — وهاتوا منْ أسانيدٍ عوالي

رخاصٍ عنْد أهل الجهل طُرّاً — وعند العارفين بها غوالي

عن اشْياخ الحديث وما رواه — إمامٌ في العُلُوم على الكمال

كمالكٍ [2] أو معمرٍ [3] المُزكّى — وشعبة [4] أو كسُفْيان [5] الهلالي

وسفيان [6] العراق وليث [7] مِصر — فقدْماً كان معْدُوْم المِثالِ

.... — ....

.... — ....

مضوا والذكرُ منْ كُلٍ جميلٌ — على المعْهُودِ في الحُقُبِ الخوالي

أطاب الله مثْواهُمْ فقِدْماً — تعنَّوا في طِلابهمُ العوالي

---

(١) السير (١٧/ ٥٨٨ - ٥٩٠) .

(٢) هو مالك بن أنس صاحب المذهب ، المتوفى سنة ١٧٩هـ .

(٣) معمر بن راشد الأزدي ، مولاهم ، المتوفى سنة ١٥٤ هـ .

(٤) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكيُّ ، مولاهم المتوفى سنة ١٦٠ هـ .

(٥) يعني سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ثم المكي ، المتوفى سنة ١٩٨ هـ .

(٦) سفيان بن سعيد الثوري إمام أهل الكوفة ، المتوفى سنة ١٦١ هـ .

(٧) الليث بن سعْد بن عبد الرحمن الفهمي المصري ، المتوفى سنة ١٧٥ هـ .

وبعد حصُولها لهم تصدَّوا كذلك للرِّواية والأمالي
وتُلْفي الكُلَّ منهم حين يُلْقى من آثار العِبادةِ كالخِلالِ
وها أنا شارعٌ في شرح ديني ووصْفِ عقيدتي وخفيِّ حالي
وأجهدُ في البيان بقدْرِ وُسعي وتخْليْصِ العقُول من العِقالِ
بشعْرٍ لا كشعر بل كسِحْرٍ ولفظٍ كالشَّمُول بل الشَّمالِ
فلستُ الدَّهر إمعةً وما إنْ أزلُّ ولا أزولُ لذي النِّزالِ
فلا تصْحبْ سِوى السُّنِّيِّ ديناً لتحْمد ما نصحْتُك في المآلِ
وجانبْ كل مبتدع تراه فما إنْ عندهُمْ غيرُ المُحالِ
ودع آراء أهل الزَّيغ رأساً ولا تغْررك حذْلقة الرُّذال
فليس يدوم للبدْعيِّ رأيٍ ومن أيْن المقرُّ لذِي ارتحالِ
يوافي حائراً في كلِّ حالٍ وقد خلَّى طريق الإعتدال
ويترك دائباً رأْياً لرأْيٍ ومنه كذا سريعُ الإنْتقالِ
وعُمدَةُ ما يدين به سفهاً فأحدثٌ من ابواب الجدال
وقولُ أئمة الزَّيغ الذي لا يُشابهُهُ سوى الدَّاء العُضال
كمعبدٍ [1] المضلِّلِ في هواه وواصل [2] أو كغيْلان [3] المحال
وجعْدٍ [4] ثم جهْمٍ [5] وابن حربٍ [6] حميرٌ يسْتحقون المخالي
وثورٍ [7] كاسمه أو شئت فاقلِبْ وحفصٍ [8] الفرد [9] قردٍ ذي افتعالِ

---

(١) معبد بن عبدالله الجهني البصري ، أول من قال بالقدر في البصرة ، قتل سنة ٨٠ هـ .
(٢) واصل بن عطاء الغزال ، رأس المعتزلة والمتكلمين ، وتنسب إليه طائفة ((الواصلية)) من المعتزلة . مات سنة ١٣١ هـ.
(٣) أبو مروان غيلان بن مسلم الدمشقي ، وإليه تنسب فرقة ((الغيلانية)) من القدرية ، قتله الخليفة هشام بن عبدالملك.
(٤) الجعد بن درهم الذي كان مؤدباً لمروان بن محمد آخر الأمويين ، وكان من القائلين بخلق القرآن ، قتله خالد القسري .
(٥) جهم بن صفوان ، وهو مشهور بآرائه التي أثرت في تكوين آراء المعتزلة ، ومات سنة ١٢٨
(٦) جعفر بن حرب الهمداني ، من أئمة معتزلة بغداد ، مات سنة ٢٣٦ .
(٧) ثور بن يزيد الكلاعي ، أبو خالد الحمصي ، وكان قدرياً ، مات سنة ١٥٣ .
(٨) أحد المبتدعة كما في ((ميزان)) الذهبي ١/٥٦٤ .
(٩) في الميزان : ((القرد)) بالقاف ، ولعل الذي ورد هنا هو الصحيح .

وبشـرٍ[١] لا رأى بُشـرى فمنـه ... تـولـد كـلُّ شـرٍّ واخْتـلالِ
وأتْبـاعُ ابـن كُـلاَّبٍ[٢] كِـلابٌ ... على التَّحقيق هـم مـنْ شـرِّ آلِ
كذاك أبُـو الـهُـذيل[٣] وكـان مـولىً ... لـعبـدِ الـقيس قـدْ شـان المـوالي
ولا تـنس ابـن اشْـرسٍ المُكـنى ... أبـا معـنٍ ثُمـامة[٤] فهـو غـالي
ولا ابـن الـحارثِ البصـريَّ ذاك ... المضـل على اجتهـادٍ واحْتفال
ولا الكـوفيَّ أعنيـه ضـرار بـن ... عـمرو فهـو للبصـري تـالي
كـذاك ابـن الأصـمِّ[٥] ومـن قـفاه ... من اوْباش البهاشمة[٦] النغـالِ
وعمـرٌو هكـذا أعْـني ابـن بحْـرٍ[٧] ... وغيرُهُمُ من أصحاب الـشِّمال[٨]
فـرأيُ أُولاء ليْـس يُفيـدُ شيئـاً ... سـوى الـهـذيان مـنْ قـيلٍ وقـالِ
وكُـلٌّ هـوىً ومُـحْدثةٍ ضـلالٌ ... ضعـيفٌ فـي الحقيقـة كـالخيـالِ
فهـذا مـا أدِيـنُ بـه إلـهـي ... تعـالى عـنْ شبيـهٍ أو مثـالِ
ومـا نـافاه مـنْ خُـدعٍ وزُورٍ ... ومـنْ بـدعٍ فـلمْ يخْطـرُ ببالـي

صدق الناظمُ رحمه الله ، وأجاد ، فلأنْ يعيش المسلمُ أخرس أبكم خيرٌ له من أنْ يمتلئ باطنه كلاماً وفلسفةً ! .

---

(١) لدينا اثنان يعرفان بهذا الاسم من كبار المعتزلة : الأول : بشر بن المعتمر البغدادي، الكوفى سنة ٢١٠ ، وإليه تنسب الطائفة ((البشرية))، والثاني هو : بشر بن غياث بن عبدالرحمن المريسي، المتوفى سنة ٢١٨ ، وإليه تنسب الطائفة ((المرسية))، ولعله هو المقصود هنا.

(٢) عبدالله بن سعيد بن كلاب - بضم الكاف وتشديد اللام -البصري المتكلم ، رئيس الطائفة المعروفة بالكلابيّة .

(٣) أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة البصريين ، توفي سنة ٢٢٦ .

(٤) كان ثمامة بن أشرس من كبار المعتزلة ، ومات سنة ٢١٣ .

(٥) البصري وضرار بن عمرو القاضي وابن الأصم من كبار المعتزلة .

(٦) نسبة إلى أبي هاشم عبدالسلام بن أبي الجبائي ، رئيس معتزلة البصرة بعد أبيه ، والمتوفى سنة ٣٢١ ، وتسمى فرقته ((البهشمية)) وأتباعها : البهاشمة .

(٧) يعني الجاحظ الأديب المشهور ، وكان معتزلياً كما هو معروف .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وأصْحابُ الشِّمال ما أصحاب الشِّمال . في سموم وحميم وظلٍّ منْ يحموم لا باردٍ ولا كريم ﴾ [الواقعة : ٤١-٤٣].

الفهرست